کتابخانه آستان قدس

اسم کتاب حقایق — عربی

مصنف / مؤلف ملا محسن فیض کاشانی

خطی / چاپی نستعلیق ۲۱ سطری

سال طبع یا تحریر ۱۱۹۵ عدد اوراق ۱۶۴

جزء کتب اخلاق شماره ۱۳۴

شماره عمومی ۳۵۲۵ شماره قبض

واقف میرزا رضاخان نائینی تاریخ وقف مرداد ۱۳۱۰

طول ۱۶ عرض ۱۱ سانتیمتر قفسه ۹

فهرست هذا الكتاب المشتمل على ست مقالات

المقالة الاولى فيما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلثة ابواب

الباب الاول في العلم الباب الثاني في العقايد الباب الثالث في معرفة النفس

المقالة الثانية في مساوي الاخلاق وتقديمها وفيها اربعة ابواب

الباب الاول في الخلق و[illegible] الباب الثاني فيما يؤدي الى مساوي الاخلاق

الباب الثالث في الغضب والحقد والحسد الباب الرابع في الريا والكبر والعجب [illegible]

المقالة الثالثة في ذم الدنيا والاعراض عنها وفيها خمسة ابواب

الباب الاول في معرفة الدنيا والآخرة الباب الثاني فيما ورد في ذم الدنيا

الباب الثالث في ذم حب المال الباب الرابع في ذم حب الجاه

الباب الخامس في ذم الغرور المقالة الرابعة في مكارم الاخلاق وتحصيلها

وفيها ستة ابواب الباب الاول في الصبر الباب الثاني في الرضا والشكر

الباب الثالث في الرجاء والخوف الباب الرابع في المحبة والانس الباب الخامس في [illegible]

والتوكل الباب السادس في الصدق واداء الامانة المقالة الخامسة في العبادات

واسرارها وفيها سبعة ابواب الباب الاول في النية والاخلاص

الباب الثاني في الطهارة والنظافة الباب الثالث في الصلوة

والذكر الباب الرابع في الحج وزيارة المشاهد [illegible] المقالة السادسة

في سائر الاعمال الصالحة وفيها خمسة ابواب الباب الاول

في التوبة الباب الثاني في المحاسبة والمراقبة

الباب الثالث في التفكر والتدبر الباب الرابع في ذكر الموت و

الامل الباب الخامس في [illegible] خاتمة الكتاب

في نوع الكتب [illegible] ومدة عمر المصنف ووقت تصنيفه وفائدة [illegible] التصنيف

تم الفهرس

الباب [illegible] في تلاوة القرآن
الباب [illegible] في الزكوة
والامر بالمعروف
الباب السادس
في الصوم [illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر قلوبنا بنور الايمان وعرّفنا من اسرار الحديث والقرآن والصلوة على محمد سيّد المرسلين وعلى آله الطاهرين المعصومين اما بعد فيقول الفقير الى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ايّده الله اني اذكر ان شاء الله في هذا الكتاب من اسرار الدين ما يرتقي به من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد الى معارج اليقين وانما اخذته من كتاب الله وسنّة سيّد المرسلين واحاديث الائمة المعصومين واضفت اليها ما وجدت في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب احياء علوم الدين لابي حامد محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لان يكون بيانا لمبانيه وتفسيرا لمعانيه تقريرا للحق ومزيد تحقيق مؤثرا للفوائد مجتنبا سبيل الزوائد وسمّيته بالحقائق ورتّبته على ست مقالات في كل مقالة ابواب في كل باب فصول ومن الله التأييد

المقالة الاولى فيما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلاثة ابواب

الباب الاول في العلم اعلم ان السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله تعالى هو العلم قال الله سبحانه الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وفي الحديث النبوي العلماء ورثة الانبياء وفيه اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون بعدي ويروون حديثي وسنّتي وفي الحديث العلوي ان كمال

الدين

الدين طلب العلم والعمل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال ان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه وعن السجاد عليه السلام لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن الباقر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وعن الصادق عليه السلام من علم خيرا فله مثل اجر من عمل به وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى آرائهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلوتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حيوة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الآخرة والاولى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظه والاخبار في فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان تحصى

فصل اعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه

ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته
اشرف وافضل مما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره اشرف مما يطلب
لذاته فحسب والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة
فيهما ولولا ان الله عز وجل يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة
واحدة والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل
مطلوبة من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشى بها والتوصل الى المآرب
والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا فى نفسه
فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى سعادة الدنيا والاخرة
وذريعة الى القرب من الله فانه لا يتوصل اليها الا به واعظم الاشياء
رتبة فى حق الادمى السعادة الابدية والقرب من الله وافضل الاشياء
ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل
ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة فى الدنيا والاخرة هو العلم
فهو اذا افضل الاشياء وكيف لا وقد يعرف فضيلة الشىء بشرف ثمرته وقد عرفت
ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملئكة
ومقاربة الملأ الاعلى هذا فى الاخرة واما فى الدنيا فالعز والوقار
ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع حتى ان اغبياء
الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم
لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر
الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم
مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف مراتبها فيتفاوت لا محالة فضائلها
بتفاوتها الى ان ينتهى الى معرفة الله تعالى بحقيقة اليقين التى هى

والذى يطلب لذاته كاللذات صح

حصل

3

اصل كل معرفة الى آخره قال الغزالى تعلم الناس ما فى فضل معرفة الله تعالى ما مدوا
اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت
دنياهم عندهم مما يطئونه بارجلهم ولتنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا
بها تلذذ من لم يزل فى روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله تعالى
انس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل
ضعف وشفاء من كل سقم ثم قال قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون
وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شىء
مما هم فيه من غير ترة وتروها من فعل ذلك بهم ولا اذى بما نقموا منهم
الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد فسلوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب
دهركم تدركوا سعيهم فصل العلم علمان علم الدنيا وعلم الاخرة وعلم الدنيا
ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وعلم الاخرة علمان علم
يقصد لذاته وعلم يقصد للعمل ليتوصل به الى العلم المقصود لذاته فان
اريد به الدنيا التحق بعلم الدنيا وعلم الاخرة محمود كله واما علم الدنيا
فمنه محمود ومنه مذموم اما العلم المقصود لذاته فهو نور يظهر فى القلب
عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور امور
كان يسمع من قبل اسمائها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك
حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته التامات بقدر الامكان
وبافعاله وبحكمته فى خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا
والمعرفة بمعنى النبوة والنبى وبمعنى الامامة والامام ومعرفة معنى الوحى والالهام
ومعنى الملئكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور
الملك للانبياء وكيفية وصول الوحى الى النبى وحديث الملك مع الامام

والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة
والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة
الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والشفاعة والحساب
ومعنى قوله عز وجل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار
الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه
الكريم ومعنى القرب منه والمقام في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة
الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات
اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء
الى غير ذلك مما يطول تفصيله فان للناس في معاني هذه الامور
بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي
اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى
ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى
بعضهم ان منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي
امورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله تعالى
ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه سبحانه عالم قادر سميع بصير متكلم مريد
فنعني بالعلم المقصود لذاته ان يرتفع الغطاء حتى تتضح جلية الحق في هذه
الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه وهذا ممكن في جوهر
الانسان الا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا
فلا بد من تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه
وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصقيلها وتطهيرها بالكف عن الشهوات

والاقتدا

والاقتداء بالانبياء والائمة في جميع احوالهم فبقدر ما يتجلى من القلب ويحاذى به
شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل الى ذلك الا بالتعلم والهدى
والخشية والتقوى والفطنة والذكاء وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب
ولا يتحدث بها من انعم الله عليه بشيء منها الا مع اهله وهو المشارك
فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله
فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يحمله الا اهل صفات الاولياء
الاعتراف بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله علما فان الله عز وجل
لم يحقره اذ اتاه اياه وعن امير المؤمنين انه قال ان من احب عباد الله
اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر
مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم
الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار
من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله
وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال
بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام اخر له قد احيا قلبه
وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق
فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة
ودار الاقامة وثبتت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة
بما استعمل قلبه وارضى ربه وقال اني اندمجت على مكنون علم لو بحت به
لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة وقال تعلمت من رسول
الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم ففتح لي كل باب الف باب وقوله

كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال ما لك والحقيقة قال اولست صاحب سرك
قال بلى ولكن يترشح عليك ما يطفح مني ثم اجابه عما سأل فقال في رواية اخرى
انه ع اخذ بيدي فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال لي
يا كميل ابن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ عني ما اقول
لك الناس ثلثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع
كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن
وثيق الى ان قال ع ها ان ههنا لعلما جما واشار الى صدره لو اصبت له حملة
بلى اصيب لقنا غير مامون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا ومستظهرا
بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له
في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا
ولا ذاك او منهوما باللذات سلس القياد للشهوة او مغرى بالجمع
والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شبها بهما الانعام
السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله
بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته
وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا الاعظمون
قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها
في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح
اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش
منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا
الى رؤيتهم وعن السجاد ع انه قال والله لو علم ابو ذر ما في قلب
سلمان

۵

سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ان علم العلماء صعب
مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه
للايمان قال وانما صار سلمان من العلماء لانه امرء منا اهل البيت فلذلك
نسبته الى العلماء اراد ع اهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت
النسوان والصبيان والاهل والاولاد وفي الحديث النبوي صلى الله عليه
والآية سلمان منا اهل البيت وفي رواية لو علم ابو ذر ما في بطن سلمان من الحكمة
لكفره وفي رواية لقتله وعن السجاد ع في ابيات منسوبة اليه اني لاكتم
من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا ... وقد تقدم في هذا ابو حسن
الى الحسين ووصى قبله الحسنا ... يا رب جوهر علم لو ابوح به ... لقيل لي انت
ممن يعبد الوثنا ... ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون اقبح ما ياتونه حسنا
وعن الباقر ع كلهم بهائم الا قليل من المؤمنين اقول والتصديق بذلك
قول الله سبحانه ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم
اضل سبيلا وعن الصادق ع ان امرنا سر مستور في سر مقنع بالميثاق من هتكه
اذله الله وقال ع ان امرنا سر مستور في سر وسر مستسر وسر لا يفيده
الا سر وسر على سر مقنع بسر وقال ع هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن
الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر المستسر وسر مقنع بالسر وقال ع
مشيرا الى وجوب كتمان هذا السر التقية من ديني ودين آبائي فمن
لا تقية له لا دين له وقال ع خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم
مما ينكرون ولا تحملوا على انفسكم وعلينا ان امرنا مستصعب صعب
لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه للايمان
فصل واما العلم المقصود للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود لذاته فقسمان

احدهما علم الاخلاق والثاني علم الشرايع اما علم الاخلاق فهو علم احوال القلب
اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والتسليم والرضا والزهد
والتقوى والقناعة والسخاء و[illegible]ال وحسن الظن وحسن المعاشرة
واداء الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال
فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب
وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى من علم الاخرة
واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش
وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر
والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة
والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر
والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق والخوض فيما
لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والمداهنة والعجب والاشتغال
عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية
منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق
واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب
ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول
الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها
والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والاعانة منهم على الدين
والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها
من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها
وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور

وحقايقها

وحقايقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين على من له
اهلية ذلك والا فبقدر حوصلته لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما علم
الشرايع فهو العلم بكيفية العبادات المشروعة من الطهارة والصلوة والزكوة
والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واسرارها
والعلم بالاحكام المحدودة من الحلال والحرام في المكاسب والمعاملات
من البيع والشراء والربا والقرض والقراض والاجارة والشركة
والمزارعة والمداينة والرهن والضمان والكفالة والوكالة والوديعة
والاقرار والصلح والعطايا والبر والنكاح والفراق وقسمة المواريث
والعلم بالحدود والتعزيرات والقصاص والديات وتجهيز الاموات والعلم
باداب الاكل والشرب واللباس والمسكن والتحية والضيافة والطب
والكلام والمواخاة والمعاشرة والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا
فرض عين بقدر الاحتياج والدكا وفرض كفاية للفتيا والقضا واما
الطريق الى تحصيل هذين العلمين اعني علم الاخلاق وعلم الشرايع فهو ما نتلوا
عليك فاستمع واتبع سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون **فصل** اعلم ان كلا من العلوم الثلثة الاخروية يسمى بعلم الدين
وعلم الفقه وتعلمه يسمى بالتفقه في الدين قال الله عز وجل فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون وقال الصادق ع لاصحابه عليكم بالتفقه في دين الله
ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيمة
ولم يزك له عملا وقال ع ليت السياط على رؤس اصحابي حتى يتفقهوا
في الحلال والحرام وقال ع ان اية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء

معنى التفقه

والارض والمشرق والمغرب فلو سألته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء
الى غير ذلك مما في هذا المعنى فالتفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة
في المسائل الدينية علمية كانت او عملية باطنية او ظاهرية متعلقة
بالعبادات او المعاملات فرضا معرفتها او العمل بها او سنة او ادبا
وغرضنا الآن بيان كيفية هذا التحصيل فان الناس اختلفوا فيه
حتى اوقع الجماهير في التيه ونحن بتأييد الله عز وجل نكشف عن وجه
الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى معه شك ولا ارتياب فنقول ان الناس
كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذون العلم عنه بما يوحى اليه واما بعده
فصاروا فرقتين فرقة قالوا بالاجماع الزور في تعيين الامام
وباتباع المتشابهات في العقايد والاحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء
الفتنة وابتغاء التأويل واختيار المدلول قبل حصول الدليل وهم
اصحاب ابي بكر بن ابي قحافة التيمي وعمر ابن الخطاب العدوي ومن يحذو
حذوهم من الذين قالوا بالاجتهاد والرأي في كل شيء فتبدل آراؤهم
وتختلف علماؤهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وان هم
الا يخرصون وهؤلاء صنفان مجتهد ومقلد اما مجتهدهم فكيفية التفقه
عنده استفراغ الوسع في تحصيل الظن فيما يحتاج اليه الناس من العلوم
الدينية اصولية كانت او فروعية من القوانين التي وضعوها والقواعد
التي اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات واما مقلدهم
فكيفية التفقه عنده ان يأخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بوسطة
او وسايط وفرقة قالوا بالنص من الله عز وجل في تعيين الامام والاقتصار
على اتباع المحكمات في العقايد والاحكام والوقوف على ما جاء به الوحي

والتنزيل

والتنزيل وفي اتقائها كاد يفضي الى الضلال والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين علي بن
ابي طالب عليه السلام الذين لا يقولون الا على النصوص بالخصوص في كل شيء مسلمين
لائمتهم الآخذ علمهم من الله ومن رسوله في كل ما انهاه اليهم في شيء شيء
مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث قال فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وحيث قال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم واما ما نرى من اجتهاد بعض متأخري اصحابنا وتدوينهم الاصول
وخوضهم في الفضول فانما ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم كما بيناه
في مسفوراتنا مع احتمال ان يكون سبب حدوثه فيهم اولا مصلحة رأوها
وحاشاهم مع مخالفيهم راعوها لئلا يزعموا ان دقايق العلم ليست فينا
ثم صار ذلك شبهة لمن تأخر عنهم جرت فيهم ثم سرت في ذويهم وعلى التقديرين
فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا ولا سببا لالحاقهم بالفرقة الاولى
حاشاهم عن ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية الجليلة بترويجهم
المذهب الحق بمساعيهم الجميلة ورفعهم حبل التقية عن كثير من العباد والبلاد
فجزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد وهؤلاء
الفرقة الثانية يرجعون الى امامهم في التفقه حيث يتيسر لهم ذلك والا
فهم ايضا صنفان بصير ومستبصر وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه وبعبارة
ثالثة خاصي وعامي وان شئت فسمهما المجتهد والمقلد فلا مشاحة
في الالفاظ اما بصيرهم وهو الذي له فهم وذكاء وقوة قدسية وزهد
في الدنيا وورع في الدين فكيفية التفقه عنده ان يتتبع محكمات الكتاب
والسنة ومحكمات احاديث اهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم فيستفهم منها ما يجب
اعتقاده وما يجب ان يعمل به ويشيده بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم

نفع [illegible] النعيم [illegible]
[illegible] ورحل الى [illegible]

والمشاجرة [illegible] القوم
الا لبعضهم على بعض [illegible]
[illegible]

فصل في تعاضد العقل

ويؤيده بواتره ويرد على دهنه المهتدي باعماله الصالحة المرضية وقلبه المنور بنور اخلاقه
المهذبة الزكية فان شرف الحق لا يخفى ولولا العقل ما عرف الشرع وكان الشرع
من داخل كما ان الشرع عقل من خارج وهما يتعاضدان ويتظاهران بل انهما
كانهما متحدان وفي الحديث ما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ
جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولوا الالباب
ولا تظنن ان خواص المؤمنين انما امنوا بالله واليوم الاخر بمحض دلائل
المتكلمين وادلة الملي دلين هيهات هيهات وانما عرفوا الله بمثل ما عرفناه
من تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخل مع النور الخارج كاجتماع
نور العين مع نور الشمس في الرؤية والى مثل هذا العقل اشير بقوله عز وجل
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يعني نور العقل والشرع
وفي الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله في قلب
من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين له الحكم بحيث لا شبهة
فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر الله وان اشتبه عليه الامر وكل علمه
الى الله والى ائمة المنصوص عليهم من الله وعمل فيه بالاحتياط ولا يفتي
فيه بشيء بالظن والتخمين قال ع انما انه شر عليكم ان تقولوا الشيء ما لم تسمعوه
منا وقال ع كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل واشار بيده الى بيته
فلا يخرج من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة ليقع الاختلاف
فيه كقاعدة حجية خبر الواحد او عدم حجيته على الاطلاق التي لم تحرر
محل التنازع فيه قط ولن تحرر الى غير ذلك من القوانين المسماة عندهم
باصول الفقه بل يتبع في كل مسألة ابهمته رواية خاصة يجوز التعويل عليها
ودراية تامة تطمئن النفس اليها ولا يحكم بالمتشابه الا بالمتشابه لا يحكم فيه

دكيف

٨

منع الاجماع

سبب التعدد

وكيف يجوز ان يحمل المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها فلا يعلم تأويله ولا يرد الى الله والى اهله
كما يفعله الذي في قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه جعل الامور ثلاثة كما ورد
في الحديث النبوي بين رشده فيتبع وبين غيه فيجتنب ومتشابهات بين ذلك
يرد حكمها الى الله والى الراسخين في العلم العالمين بتأويله فكيف يطلب التشبث فيما حكم
الله فيه بالتشبث مع ان في المتشابه حكما ومصالح يمتحن الله بها اصناف
عباده ولكي يجمع ايضا بين الاخبار المتعارضة الا بما شار اليه المروي عنهم ع
من التفصيل الذي ينتهي الى التخيير وبذلك يخرج البصير من الخلاف والاختلاف
والقول بالرأي والجزاف فلا اجتهاد عنده ولا رأي ولا اجماع بل ليس
معوله الا على الرواية والدراية والسماع ومعنى الاجماع عنده ليس الا اتفاق
قدماء الامامية على العمل بالنص المشهور بحيث صار من الضروريات عند
الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع عنده تابع
للنص مؤيد له لا النص مستنبط من الاجماع كما اشتهر بين طائفة
من اهل الخلاف والنزاع واليه اشير في كلام الصادق ع في خبر تعارض الاخبار
خذ بالمجمع عليه بين اصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه واما عوام هذه الفرقة
فكيفية تفقههم ان يأخذوا مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة او وسائط
الا ان اليوم اشتبه عليهم الامر غاية الاشتباه لالتباس من ليس من الخواص
بالخواص او دخالهم انفسهم في جملتهم فصار العوام حائرين بائرين لا يهتدون
الى شيء ولا يدرون انهم من اي فالحزم لهم ان يرجعوا في ذلك الى قوم
متدينين عارفين باهل البصيرة ليعرفوا اياهم فان لم يتيسر فليستفت
العامي من غلب على ظنه انه منهم وانه ممن لا يبيع دينه بدنياه فان افتاه
بحكم فليسئله هل هذا الحكم في كتاب الله او سنة رسول الله او حديث

احد من المعصومين ع فان قال نعم فليعمل به وان قال انه ليس في شيء منها بخصوصه وانما يستفاد
منها بالاستنباط او هو مما اجمعوا عليه من غير نص يلغى فيه او نحو ذلك
سئل غيره حتى يصادف من اجابه من القران والحديث بخصوصه ونصوص او اشار
له الى الاحتياط او التخيير فان فعل الناجي ذلك فهو المتفقه في تلك المسئلة هذا
هو الحق المبين ومذهب قدماء اصحابنا الاماميين وعليه المعول في الدين وليس
لمن انتسب الى اهل البيت ع ويسمى بالشيعة والامامي والاثنا عشري الا الاخذ
بذلك فان خرج عن هذا الطريق الى شيء من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج
عن صدق هذا الانتساب وهذه التسمية على وجه وان لم يشعر بذلك ثم
لا تظنن ان العلم بصدق نسبة مضمون خبر المعصومين ع اليهم لا بد ان يكون
كالعلم بوجودهم في الوضوح والامارة والقوة او تواتره كتواتره
والا فهي اخبار احاد لا تفيد الا الظن كلا كيف ولو زعمت ذلك فان اراك
تستيقن بامامتهم لان قوة علمك بامامتهم ليست كقوة علمك بوجودهم
ولا تواتره كتواتره قطعا بل لكونك لم تعرف بعد ان اليقين كالظن
له مراتب في القوة والضعف وانه يزداد بازدياد نوري العقل والشرع
وعضادة كل منهما الاخر وان في الاحكام الشرعية يكتفى باقل مراتبه الى ان كثيرا من
الاخبار ان الحكاية ليست في القوة باقل من اخبار الامامة متنا وسندا
فكل ما اطمانت اليه النفس من الاخبار نعمل به وكل ما لم تسكن اليه نذره
في سنبله روى في الكافي باسناده عن ابي عبد الله ع انه سئل عن اختلاف
الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال اذا ورد عليكم
حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله ص
والا فالذي جاءكم به اولى به وفيه باسناده عنه ع قال كل شيء

وجه الترجيح

مرد

مردود الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف
وفي عيون الاخبار عن الرضا ع في حديث طويل قال في اخره بعد ذكر العرض
على الكتاب ثم السنة ثم التخيير والرد الى رسول الله ص وما لم تجدوه في شيء
من هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه باراءكم
وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون حتى ياتيكم
البيان من عندنا وقد ورد في الحث على العمل باخبارهم ع اخبار بلغت
قريبا من مبلغ التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية
ومنها ما يدل على جواز العمل بها وان لم يصدر عنهم ع في الواقع وهو قول الصادق ع
من سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه
وذلك لانه تسليم وطاعة وانقياد لا راي فيه ولا اجتهاد وقال الصادق ع
احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها وقال للمفضل ابن عمر اكتب
وبث علمك في اخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك فانه ياتي على الناس
زمان هرج لا يانسون فيه الا بكتبهم وقال صاحب زماننا صلوات الله عليه واما
الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة
الله عليهم وبالجملة قد اذنوا في الاخذ بالاخبار والكتب للتسليم والانقياد
ولم ياذنوا في الاخذ بالاراء والاجتهاد بل نهوا فليس لنا الا الاتباع
والاقتصار على السماع من دون ابتغاء الدليل والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل فصل ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف
ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماما بعد امام فينا وان كان مستورا على اعدائنا
الى ان انقضى من الهجرة النبوية مائتان وستون سنة ثم جعل الاخير تغيبه
سفرا الى قريب من تمام ثلاثمائة وثلثين سنة وكان اصحابنا في هذه

ظاهرا م

المدة المديدة يأخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها على اطمئنان
من قلوبهم وانشراح من صدورهم بقدر قابليتهم ورتبتهم ومنزلتهم فاغناهم الله
بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده ونجاهم به من حيرة الحيران وبعد انقضاء
هذه المدة كانوا يرجعون الى الاصول المأخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج
اليه الناس حتى ان مسئلة ضرورية لا يكون فيها حكم جزئي او كلي عنهم عليهم السلام وفق له
من وفق قال امير المؤمنين عليه السلام يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا اياكم واصحاب
الرأي فانهم اعداء السنن تفلتت منهم الاحاديث ان يحفظوها واعيتهم
السنة ان يعوها فاتخذوا عباد الله خولا وماله دولا فذلت لهم الرقاب
واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا الحق اهله فتمثلوا بالائمة
الصادقين وهم من الجهال الملاعين فسئلوا عما لا يعلمون فانفوا ان يعترفوا
بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين بآرائهم فضلوا واضلوا اما لو كان الدين
بالقياس لكان باطن الرجلين اولى بالمسح من ظاهرهما وعن الباقر عليه السلام من افتى
الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد
الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم وعن الصادق عليه السلام قيل له ترد علينا اشياء لا نعرفها
في كتاب ولا سنة فننظر فيها قال لا اما انك ان اصبت لم تؤجر
وان اخطأت كذبت على الله وقال امير المؤمنين عليه السلام في ذم اختلاف
الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد
تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة
بذلك عند امامهم الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا والههم
واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد افأمرهم الله سبحانه بالاختلاف
فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم

على اتمامه

في ذم من اعمل الرأي

على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا
تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب
من شيء وفيه تبيان لكل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه
لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه
ولا تكشف الظلمات الا به وعنه عليه السلام اعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل
العام ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث
الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام
ما حرم الله فصل واما علم الكلام فخالصه ما يشتمل عليه من الادلة التي ينتفع
بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة
واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات
التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع
واكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء من ذلك مألوفا في العصر الاول
وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن اليوم صار حكمه لا بد منه حراسة
لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع
كما حدث حاجة الانسان الى الاستيجار للبذرقة في طريق الحج لحدوث
ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استيجار
الحراس من شروط طريق الحج والمتكلم ان تجرد للمناظرة ولم يسلك
طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن من جملة علماء
الدين اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه
سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي

الشيء الانيق المعجب صح

ازدراه وازدرى به اذا حقره والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عاب عليه فعله صح

بصفة النبي ودلائله والحجة به فاما معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا
اليه من العلوم الدينية فلا سبيل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا
عنه فانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال امير المؤمنين ع من طلب الدنيا بالجدل
تزندق وروي ان رجلا قال للحسين بن علي ع اجلس نتناظر في الدين فقال
يا هذا انا بصير بديني مكشوف علي هداي فان كنت جاهلا بدينك فاذهب فاطلبه
ما لي وللمماراة وعن الباقر ع الخصومة تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك
وعن الصادق ع لا يخاصم الا شاك او من لا ورع له وعن الكاظم ع انه قال
لعلي بن يقطين مر اصحابك ان يكفوا عن السنتهم ويدعوا الخصومة في الدين
ويجتهدوا في عبادة الله عز وجل وعن الرضا ع انه سئل في مكاتبة انهم نهوا
عن الكلام في الدين فتاول مواليك المتكلمون بانه انما نهى من لا يحسن
ان يتكلم فلم ينهه فهل ذلك كما تاولوا فكتب ع المحسن وغير المحسن لا يتكلم فيه
فان اثمه اكبر من نفعه فصل انما منعوا من الجدال والمناظرة لان لهما
آدابا وشروطا لا بد من مراعاتها وآفات يجب التجنب عنها وقل من
يهتدي اليها ويوفق لما يجب والا فالجدال بالتي هي احسن مامور به
قال ابو محمد الحسن العسكري ع ذكر عند الصادق ع الجدال في الدين وان رسول الله
صلى الله عليه وآله والائمة ع قد نهوا عنه فقال الصادق ع لم ينه عنه مطلقا
ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي احسن اما تسمعون الله يقول ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالجدال بالتي هي احسن قد امر به
العلماء بالدين والجدال بغير التي هي احسن محرم حرمه الله على شيعتنا
وكيف

بصفته

فيه منع الجدال

حتى

العلماء مامورين على الجدال

وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
قال الله تعالى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فجعل علم الصدق
الاتيان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان الا في الجدال بالتي هي احسن قيل يا بن
رسول الله فما الجدال بالتي هي احسن والتي ليست باحسن قال اما الجدال بغير التي
هي احسن فان تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجة قد نصبها الله
ولكن تجحد قوله او تجحد حقا يريد ذلك المبطل ان يعين به باطله فتجحد ذلك الحق
مخافة ان يكون له عليك فيه حجة لانك لا تدري كيف المخلص منه فذلك
حرام على شيعتنا ان يصيروا فتنة على ضعفاء اخوانهم وعلى المبطلين اما المبطلون
فيجعلون ضعف الضعيف منكم اذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له
على باطله واما الضعفاء فتغتم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل
واما الجدال بالتي هي احسن وهو ما امر الله به نبيه ان يجادل به من جحد
البعث بعد الموت واحياءه له فقال الله له حاكيا عنه وضرب لنا
مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فقال الله في الرد عليه قل
يا محمد ص يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل
لكم من الشجر الاخضر نارا الى آخر السورة فاراد الله من نبيه ان يجادل
المبطل الذي قال كيف يجوز ان يبعث هذه العظام وهي رميم فقال الله
قل يحييها الذي انشاها اول مرة فيعجز من ابتداه لا من شيء ان يعيده
بعد ان يبلى بل ابتداؤه اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اي اذا اكمن النار الحارة
في الشجر الاخضر الرطب ثم يستخرجها فعرفكم انه على اعادة ما بلي اقدر ثم قال
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو

الجدال بغير التي هي احسن

الجدال بالتي هي احسن

الخلاق العليم اي اذا كان خلق السموات اعظم وابعد في اوهامكم وقدركم ان تقدروا
عليه من اعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الاعجب عندكم والاصعب
لديكم ولم تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة البالي قال الصادق عليه السلام فهذا
الجدال بالتي هي احسن لان فيها قطع عذر الكافرين وازالة شبههم واما الجدال
بغير التي هي احسن فان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق بينه وبين باطل
من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو المحرم لانك مثله
جحد هو حقا وجحدت انت حقا اخر فصل وللعلم النافع صفات
وعلامات وآداب فعن الصادق عليه السلام في قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
قال يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم
وعنه عليه السلام اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه
العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب
باطلكم بحقكم وعن الرضا عليه السلام قال ان من علامات الفقه الحلم والصمت
وعن الصادق عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط
الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في معاصي
الله ولم يترك القران رغبة عنه الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه
تفهم الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها
الا لا خير في نسك لا ورع فيه يعني ان الفقيه حقيقة ليس الا من يكون
عالما بالمراد من الوعد والوعيد جميعا عارفا بالمقصود من الاوامر
والنواهي جملة بملاحظة بعضها الى البعض وانما عرف الفقيه بهذه العلامات
السلبية لان اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان يكون موصوفا
باضدادها فكانه عليه السلام عرض بالعلماء السوء والفقهاء الزور وقد بطل
بكل

صفات العلم

بكل علامة مذهبا من المذاهب الباطلة او اكثر في الاصول والفروع
فبالاولى بطل مذهب المعتزلة القائلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب
الكبيرة في النار ومذهب الخوارج المضيقين في التكاليف الشرعية وبالثانية
مذهب الحنابلة والاشاعرة ومن يشبههم كاكثر المتصوفة وبالرابعة
مذهب المتفلسفة الذين اعرضوا عن القران واهله وحاولوا اكتساب
العلم والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة ومذهب الحنفية الذين عملوا
بالقياس وتركوا القران والحديث للعلم الذي ليس فيه تفهم كالعلم
الظني والتقليدي ومجرد حفظ الاقوال والروايات فانها ليست بعلم
في الحقيقة وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل
ان الفقهاء لا يقولون هذا فقال يا ويحك هل رأيت فقيها قط
ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة المتمسك بسنة
النبي صلى الله عليه وآله وعن الصادق عليه السلام قال طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم
صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه
والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال في اندية الرجال
بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله
من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب
وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم
هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من اثار العلماء اثره
وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام
الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا
باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه

يوم القيمة امانه وعن النبي صلعم العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناجٍ وعالم
تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك
لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب له
وقبل منه فاطاع الله فادخله الله الجنة وادخل الداعي النار بتركه
علمه واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول
الامل ينسي الاخرة وعنه صلعم منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب
علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها
هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه
نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه وعن النبي صلعم مكتوب في الانجيل لا تطلبوا
علم ما لا تعملون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه
الا كفرا او لم يزدد من الله الا بعدا وعن ابي جعفر الباقر عم من طلب
العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس فليتبوأ
مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها وعن الصادق عم العلم مقرون
بالعمل فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه
وعنه عليه الصلوة والسلام اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم
فان كل محب لشيء يحوط ما احب فصل ينبغي للمتعلم ان يطهر نفسه اولا
من رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة
السر وقربة الباطن الى الله فكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح
الظاهرة الا بتطهير الظاهر من الاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن
وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف
قال النبي صلعم بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا او باطنا وقال الله تعالى

ادب التعلم

الاحداث ومن

انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورتين
على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه
نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه
وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال
مهلكات في المآل ولذلك قال رسول الله صلعم لا يدخل الملائكة بيتا فيه
كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم
والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب
واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم
لا يقذفه الله عز وجل في القلب الا بواسطة الملائكة فصل وينبغي للمعلم
ان يخلص تعليمه لله من غير طمع وان يشفق على المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر
فهمه وان يبذل العلم لاهله ويمنع غير اهله فعن الصادق عم قال قام عيسى بن
مريم ع خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة
فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وان لا يقول ما لا يعلم سئل الباقر ع
ما حق الله على العباد قال ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون
وعن الصادق ع قال ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان لا يقولوا
حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا وقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
ولما ياتهم تاويله وعنه ع اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك
اياك ان تفتي الناس برايك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر ع
من افتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه اراد بالعلم ما يستفاد من الالواح

ادب المعلم

الالهيه والالهامات الحقه كما هو للائمة ع وما لهدى ما يسمع من اهل بيت
النبوة كما هو لنا وبمثابة الرحمة الهادون لنفوس الاخيار الى مقاماتهم
فى درجات الجنان وبمثابة العذاب السائقون لنفوس الاشرار الى منازلهم
فى دركات الجحيم والنيران وعن الصادق ع اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل
لا ادرى ولا يقل الله اعلم فيوقع فى قلب صاحبه شكا واذا قال
المسئول لا ادرى فلا يتهمه السائل فصل وينبغى لمن اراد العبادة لله سبحانه
ان يحصل اولا العلم بكيفية تلك العبادة من ماخذه وماخذ العلوم جميعا
اهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحى وينابيع الحكمة الاخذين
علومهم من الله سبحانه سئل الباقر ع عن قول الله تع فلينظر الانسان
الى طعامه ما طعامه قال علمه الذى ياخذه عمن ياخذه ولما كان تفسير
الاية ظاهر لم يتعرض له وانما تعرض لبطنها وعن النبى ص من عمل بغير علم
كان ما يفسده اكثر مما يصلح وعن الصادق ع العامل على غير بصيرة كالسائر
على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والسر فى ذلك ان اصلاح القلب
وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال البدنية
ليست مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات وذوات العدم لا يكون
مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب ان ينكشف له المعارف الحقيقية
من العلم بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر لكل انسان بحسب عقله
وفهمه على تفاوت مراتبهم فى ذلك ولا ينكشف هذه المعارف
الا بان يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجه ماخوذ من صاحب
الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر فى سلوكه
على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة فالتصفية
تصير

تصير وبالا عليه اذ تحرك النفس بالخواطر الوهمية وتستولى عليها الوساوس النفسانية
فيشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة والافكار
الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه صلوات الله عليهم
فينشا فى القلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة واوهام كاذبة
وربما يتخيل فى ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر
والزندقة وفى زعمه انها صحيحة حقة نعوذ بالله منه وربما يقتدى به غيره فيتعدى
شره ويصير من الجاهلين المتنسكين القاصمين للظهر ثم مع ذلك قلما يخلو
من اعجاب بنفسه وافتخار بعمله واغترار بعبادته ونظر الى ساير الناس
بعين الاحتقار والازدراء وربما يتشحن باطنه بامراض نفسانية وهو غافل
عنها غير ملتفت الى معالجتها وازالتها وربما يظن الرذائل فضائل والعيوب
كمالات كما اخبر الله سبح بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل
سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال امير المؤمنين ع
قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس
بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه وقال الصادق ع لا يقبل الله عملا الا بمعرفة
ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة
له الا ان الايمان بعضه من بعض معناه ان كل معرفة تثمر حالا وصفاء
فى النفس وكل حال يحمل صاحبه على عمل وعبادة وكل عبادة تثمر حالا وصفاء
غير الاول وهو يثمر معرفة اخرى سوى الاولى وهكذا يتكامل ايمان المرء
بالمعرفة والعبادة حتى يبلغ الغاية ويخلص من التعب والمشقة ويستقر فى مقام
الامن والراحة ويصل الى عين اليقين ومثل ذلك مثل من يمشى بسراج
فى ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشى سببا لاضاءة

قطعة اخرى منه وهكذا في الحديث النبوي من علم وعمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم فصل قد ورد في ذم البدع والاهواء والجهال المتشبهين
بالعلماء اخبار كثيرة عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم ولنورد منها نبذا
يكون انموذجا لما سواها عن النبي ص قال رسول الله ص اذا رايتم اهل
البدع والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم
والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد في الاسلام
ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك
الحسنات ويرفع لكم به الدرجات وقال ص اذا ظهرت البدع
في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله وقال ص ان عند كل بدعة
تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من اهل بيتي موكلا به يذب
عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين
يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقال
ص كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المؤمنين ع في خطبة له انما بدء
وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله
يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف على ذي حجى
ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا
ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه
ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال ع ان من ابغض الخلق
الى الله تعالى لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل
مشعوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به
ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد موته حمال

خطايا

خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال الناس عان باغباش
الفتنة قد سماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر
ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكثر من غير طائل جلس
بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا
سبقه لم يامن ان ينقض حكمه من ياتي بعده كفعله بمن كان قبله وان نزلت
به احدى المبهمات المعضلات هيا لها حشوا من رايه ثم قطع فهو من لبس الشبهات
في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطا لا يحسب العلم في شيء مما انكر
ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه مذهبا ان قاس شيئا بشيء لم يكذب
نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكن الصواب
لكيلا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات
خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع
فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء
يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملي باصدار
ما عليه ورد ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق وقال الى الله
اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور
من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلى ثمنا من الكتاب
اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر
وعن الصادق ع ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس
من الحق الا بعدا وان دين الله لا يصاب بالمقاييس وعن الكاظم ع
من نظر برايه هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما كان غرضنا
في هذا الكتاب مقصورا على حقايق العلوم الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض

لا زيد منه ولا للعلوم الاخر وعن امير المؤمنين ع انه قال العلم اكثر من ان يحاط به فخذوا
من كل علم احسنه وزاد في رواية اخرى فان النحل ياكل من كل زهر ازينه فيتولد
جوهران احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء به اقول وتصديق ذلك
في قول الله سبحانه فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب الباب الثاني في العقايد
اعلم ان العقايد لا يجوز اخذها الا بالوحي من الله سبحانه بواسطة الانبياء ع والاوصياء
مع ما فطر الناس عليه من المعرفة قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فقد ورد ان المراد بها المعرفة
وفي رواية التوحيد وفي الحديث النبوي كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه والفطرة في الاصل الجبلة وهي عبارة عن العقل
المطبوع الذي هو شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج فان العقل
كالسراج والشرع كالزيت يمده فما لم يكن زيت لم يشتعل السراج
وما لم يكن السراج لم يضئ الزيت وايضا العقل كالبصر والشرع كالشعاع
ولم ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولم يغن الشعاع ما لم يكن بصر
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه فسحقا لاقوام عزلوا عقولهم
واعرضوا عن رسلهم واتبعوا اهواءهم فضلوا واضلوا ثم ان اعقل العقلاء
نبينا ص وخير الشرايع شرعه وانما ارسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم
الناس بالقسط فصدع بامر الله وهدى الخلق الى صراط الله وارشدهم
الى معرفة صانعهم ويوم اخرهم ببيان وبرهان يناسبان عقولهم ونبههم على ادلة
وحجج بلغت اليها افهامهم والى كل طائفة من ذلك بما يليق بعقله
وفهمه

وفهمه من برهان وخطابة وجدال بالتي هي احسن ومعجزة لمن له المعجزة ابين ليكونوا
على بصيرة من امرهم وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ثم اكمل لهم امور دينهم بحيث لم يحتج امته الى اثار السلف فيما بينهم
وبعضهم من امر الدين في كل ليس لقائل ان يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع
يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصانع وصفاته
بالانبياء والشرايع وذلك لانه لو لم يكن صاحب الكلام والبيان مقبول القول
ومعصوم الفعال لكان فيها الحجة من حيث مطابقتها لمقتضى العقول السليمة
فان براهينه هي المتبعة وبيناته وحججه هي المنزوه على ان ما يتوقف عليه الشرع
من معرفة الصانع وصفاته تجري مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له ادنى
مسكة قال الله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فقد ثبت ان ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء الى سبيل الحق مع ما جبل
عليه اهل السلامة من العقل المطبوع فلا حاجة الى تكلفات المتكلمين على اختلاف
طبقاتهم وتشعب ارائهم وتناقض اهوائهم في ابداء الادلة وانهاض الحجج
على امور الدين فانهم جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل فلكونهم ما عرفوا
موضع الدلالة فيما نصبه الحق دليلا واما سوء الادب فلتعرضهم له سبحانه
بما دخلوا فيه مما يزعمونه دليلا لتخبطوا بنظرهم في الدين ثم في الدلالة مما دل عليه
الحق تعالى عن ذلك افانزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه
ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول
ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء قال امير المؤمنين ع
القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف
الظلمات الا به فصل لما ثبت ان خيرة الله سبحانه نبينا ص وقد ثبت

انه ترك من بعده لحق فقه الثقلين كتاب الله وعترته المصطفين وما اوصى
امته في وكتابه الا بالتمسك بهما كما استفاض به الاخبار من طريق العامة
والخاصة جميعا على اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى ففي رواية اني
تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي
فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ومعنى عدم افتراقهما ان علم الكتاب
كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا وفي رواية اني
امرؤ مقبوض واوشك ان ادعى فاجيب وقد تركت فيكم الثقلين
وفي اخرى الاكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بايديكم
فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا والاصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا تقهروهم
فاني سئلت اللطيف الخبير ان يردا علي الحوض فاعطاني فقاهرهما قاهري
وخاذلهما خاذلي ووليهما وليي وعدوهما عدوي. وفي رواية وانهما
الخليفتان بعدي وسئل امير المؤمنين ع عن معنى الحديث من العترة فقال
انا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون
كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله حوضه وفي رواية من جعلهما
امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه قاداه الى النار وفي الخبر المستفيض
ان مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق
وروى الكافي عن الصادق ع قال قال رسول الله ص انا اول وافد على العزيز
الجبار يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسألهم ما فعلتم بكتاب الله
واهل بيتي وعن الصادق عن ابائه ع قال قال رسول الله ص ايها الناس
انكم في دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار
والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد وياتيان بكل موعود

والفرار من المهلكات واجب وانما المريض الفرار من ...
ان يحصل العلم بالحق ويكفر عنه ... نفكر

فاعدوا الجهاز لبعد المجاز قال فقام المقداد بن الاسود فقال يا رسول الله
وما دار الهدنة فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن
كقطع الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافع مشفع وماحل مصدق ومن جعله
امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل يدل على خير
سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل
وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه
نجوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل
على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب
ويتخلص من نشب فان التفكر حيوة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات
بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص وعنه ع قال قال رسول الله ص
القران هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة
وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن
وبلاغ من الدنيا الى الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القران الا
الى النار وعن الائمة المعصومين عليهم السلم من لم يعرف امرنا من القران
لم يتنكب الفتن وعنهم عليهم السلم من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه
زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال
ردته الرجال قال محمد بن يعقوب الكليني بعد نقله الحديث وهذه
العبر انشقت على اهل دهرنا بثوق هذه الاديان الفاسدة والمذاهب
المستشنعة التي قد استوفت شرايط الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق
الله عز وجل وخذلانه فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا
مستقرا سبب له الاسباب التي تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله

وسنة نبيه ص بعلم ويقين وبصيرة فذاك اثبت في دينه من الجبال الرواسي
ومن اراد الله خذلانه وان يكون ايمانه معارا مستودعا نعوذ بالله منه وبنزلـ
سبب له اسباب الاستحسان والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة فذاك في المشية
ان شاء الله تبارك وتع اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه
ان يصبح مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا لانه كلما راى
كبيرا من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن ظاهره قبله وقد قال العالم ع
ان الله تع خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء
على الوصية فلا يكونون الا اوصياء واعار قوما ايمانا فان شاء تممه
لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع وعن جابر بن عبد الله
الانصاري قال لما انزل الله عز وجل على نبيه ص يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله
ورسوله فمن اولوا الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال رسول
الله صلى الله عليه واله هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم علي بن ابي طالب
ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التورية بالباقر
وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقراه مني السلام ثم الصادق جعفر بن
محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن
بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن
بن علي ذلك الذي يفتح الله تع ذكره على يديه مشارق الارض
ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت
فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت له
يا رسول الله ص فهل ينتفع شيعته به في غيبته فقال اي والذي بعثني

بالنبوة

بالنبوة ليستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس
وان تجللها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه
الا عن اهله فصل اعلم ان الناس في فهم العقايد وقبولها على طبقات ومنازل
بعضها فوق بعض ليسوا في درجة واحدة وانما كلف الله عباده بقدر
ما اعطاهم من العقل والفهم والوسع قال الباقر ع ان المؤمنين على منازل
منهم على واحدة ومنهم على اثنين ومنهم على ثلث ومنهم على اربع ومنهم
على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة
ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين ثلاثا لم يقو وساق الحديث وقال
الصادق ع الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه
ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزايد رجحانه وقال ايضا لو علم
الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم احد احدا فينبغي ان يقدم الى الصبي
في اول النشوء وتمييزه ترجمة العقايد ليحفظها حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه
في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق
وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه
في اول النشوء للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك
وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتعليم المحض نعم يكون
الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء
على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولا بد من تقويته واثباته
في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ به ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته
واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره
وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال يقوى

اعتقاده ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه
من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات
ووظائفها وما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ورؤية سيماهم
وسيرتهم وهيئاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول
التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو
ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها
في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه
الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه والمشاهدة تكفيك في هذا
بيانا وناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام
الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود
الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده
بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة
هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد
تقليدا اذ لا فرق بين التقليد في تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل
شيء والاستقلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوؤه على هذه
العقايد ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة
باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه
العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد
ان يكون من سالكي طريق الآخرة وكان اهلا لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل
بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح
له ابواب من الهداية وتكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه
بسبب

الطود الجبل العظيم صح

بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية مقصد الصديقين والمقربين وله
درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى
الله وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه
وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء
والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذا هذه واما تفصيل معتقدات العقايد
للخواص وكيفية المجاهدة لهم فقد اشرنا اليها في الفصل الثالث من الباب
الاول فصل قال حجة الفرقة الناجية نصير الحق والدين محمد بن الحسن الطوسي
طاب ثراه اقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا اله الا الله محمد
رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات الله واليوم
الآخر وتعيين الامام المعصوم كل ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد
وبرهان اما في صفات الله فبانه حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير واما في الآخرة فبالايمان بالجنة والنار والصراط
والميزان والحساب والشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة
الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما قديم بل لو لم يخطر هذه بباله حاش اوهم
ومات مات مؤمنا فان غلب على قلبه شك واشكال فان امكن ازالته
بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا
فذلك كاف ولا حاجة الى التحقيق بالدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة
والجواب عنها ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن ان تتشبث بالخاطر والقلب
فيظنها حقة لقصوره عن ادراك جوابها اذ الشبهة قد تكون جلية
والجواب دقيقا لا يحمله عقله ولهذا ورد الزجر عن البحث والتفتيش

والكلام وانما زجروا ضعفاء العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في غمرة
الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطئ
الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر
في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف
في عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقايق كلها وانه من جملة الاقوياء
فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون والصواب منع الخلق
كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين
من تجاوز سلوك اهل العلم في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل
ما انزل الله واخبر به رسول الله صلعم حيث راى صحابه يخوضون بعد ان غضب
حتى احمرت وجنتاه افبهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض
انظروا الى ما امركم الله به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه
على منهج الحق وفي مصباح الشريعة قال النبي صلعم اتق الله وكن حيث شئت ومن اي
قوم شئت فانه لا خلاف لاحد في التقوى والمتقي محبوب عند كل فريق وفيه
جماع كل خير ورشد الى ان قال ان ازم ما اجمع عليه اهل الصفا والتقى من اصول الدين
وحقايق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم
فيصعب عليك وقد اجمعت الائمة المختارة بان الله واحد ليس كمثله شيء
وانه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له في شيء من صنعته
لم ولا كان ولا يكون شيء الا بمشيته وانه قادر على ما يشاء وصادق
في وعده ووعيده وان القران كلامه وانه كان قبل الكون والمكان
والزمان وان احداثه وافناءه غيره سواء لا يزداد باحداثه علما ولا ينقص
بفنائه ملكه عز سلطانه وجل سبحانه فمن اورد عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله

وجرد

فمن تشعب من الحق تشعب [illegible] فقد روي ان رسول الله صلعم [illegible]

٢٥

الاسرار المخفية عن العوام

وجرد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع الفائزين فصل اعلم ان الاسرار
التي يكتمها العلماء عن العوام منها ما يقصر عن ادراكه افهامهم ولا يبلغ اليه
عقولهم وذلك كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم
عن عالم الملك فاذا افشوه اليهم يصير فتنة لهم قال الله تعالى ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومنها
ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسر
القدر من هذا القبيل ولهذا منع من افشائه ولا استبعاد في ان يكون
ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش
وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا لفهم
ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه
في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كقول
قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء
العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق
اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير
تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك وكذلك ما ورد
في الحديث اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار
وذلك من حيث الصورة لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن
اذ حقيقة الحمار وخاصيته هي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام
فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل
الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم
فانهما متناقضان وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن

عين المعنى او مشبه ومن هذا القبيل قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين فانه تمثيل لتاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها
بامر المطاع وجاب المطيع الطائع ومنه قوله عز وجل انما قولنا اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون وهو نوع من الكلام باطنا من دون حرف وصوت ومنه
التعبير عن الصراط بالجسر الممدود بين الجنة والنار وعن الميزان بذى
الكفتين الى غير ذلك ومنها مثل ما يدرك الانسان الشىء جملة ثم يدركه
تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا مناسبا له فيتفاوت العلمان فيكون
الاول كالقشر والثانى كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك
كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا
راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخر
ضد الاول بل هو متمم له فكذلك فى العلم والايمان والتصديق ومن هذا
القبيل اكثر العقايد فصل فى تفسير الامام ابى محمد العسكرى ع فى قوله تعالى
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى قال رجل للصادق ع اذا كان
هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم
لا سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم
وهل عوام اليهود الا كعوامنا يقلدون علمائهم فقال ع بين عوامنا
وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة
فاما من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علمائهم كما ذم
عوامهم واما من حيث افترقوا فلا قال بين لى يا ابن رسول الله قال ع
ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علمائهم بالكذب الصراح وباكل الحرام
والرشى وبتغيير الاحكام عن وجهها بالشفاعات والعنايات والمصانعات

وعرفوهم

وعرفوهم بالتعصب الشديد الذى يفارقون به اديانهم وانهم اذا تعصبوا
ازالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم
من اجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى ان من فعل
ما يفعلونه فهو فاسق ولا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله
فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز قبول خبره
ولا تصديقه فى حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن لم يشاهدوه ووجب عليهم
النظر بانفسهم فى امر رسول الله ص اذ كانت دلائله اوضح من ان تخفى واشهر
من ان لا تظهر لهم وكذلك عوام امتنا اذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر
والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها واهلاك من يتعصبون
عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا وبالترفق بالبر والاحسان على من تعصبوا
له وان كان للاذلال والاهانة مستحقا فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء
الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم فاما
من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا
لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة
لا جميعهم فان من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء
العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة الباب الثالث
فى معرفة النفس ونعنى بها الجوهر اللطيف الملكوتى الذى يستخدم هذا البدن
الجسمانى فى حاجاته مسخر له تسخير المولى لخدمه وهو ذات الانسان وحقيقته
العالمة بالمعلومات وله فى هذا البدن جنود جسمانية اى الاعضاء وجنود روحانية
اى القوى قال الله تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وقال نبينا ص من عرف
نفسه فقد عرف ربه وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وقد يسمى هذا الجوهر الملكوتى

عرفه

بالروح لتوقف حيوة البدن عليه وبالقلب لتقلبه في الخواطر وبالعقل لاكتسابه
العلوم والتصرف بالمدركات وقد يستعمل هذه الالفاظ الاربعة في معان
اخر تعرف بالقرائن ثم النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت
تحت الامر والنواهي وزال عنها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس
المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية واذا لم يتم
سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة عليها سميت النفس
اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم
بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى
الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف
عم وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي **فصل** اعلم ان جندي
الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي
يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه
استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه
عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم
والحكمة والتفكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين
الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه
جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق
فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة
وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه **فصل**
ثم اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه
اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية

فهو من

فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغض والتهجم
على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم
من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل
الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص
والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية
والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة
والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب
الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف
الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهائم بالتمييز
مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار
شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر
والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان
ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية
والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير
وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما
للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع
الضاري او الكلب العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون
والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقور وفي باطن
الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره
الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان
لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما

بانهما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان
ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح
وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة
ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته
فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن
وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه
فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون
دائما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم
البطن والفرج ومنافسة الاعداء فصل اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر
منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة
والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب
الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة
والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة
الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة
المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والغش والخب والخنا و
وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر
في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقايق الاشياء
ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة
واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته والاستغناء عن عبادة
الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد
الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع
والتقوى

والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه
من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة
وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة
والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه
الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها
تزيد مرآة القلب صفاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف
فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله ص
اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله ص من كان له من قلبه
واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله
تع الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود
ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله وهو الطبع والرين قال الله تع كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع
بالتقوى حيث قال واتقوا الله واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم
الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك
الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور
الهم عليه فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن
وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك
الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى
اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال امير المؤمنين ع

واسمعوا

ان الايمان ليبدو لمظة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله
وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات زادت حتى يسود
القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال الباقر عم ان القلوب ثلثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو
قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر فيه يعتلجان فايهما كانت
منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة وهو
قلب المؤمن وقال الصادق عم ان القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار
ليس فيه ايمان ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال اما تجد ذلك من نفسك
قال ثم تكون النكتة من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان **فصل**
ان القلب مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب
او مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او مثال مرآة منصوبة
يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيترائى فيها صورة بعد صورة او مثال
حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه ومداخل هذه الآثار
المتجددة فيه في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن
فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه
اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة
مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة المزاج والآثار تبقى وينتقل الخيال
من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال
فالقلب دائما في التغير والتاثر من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة فيه
هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اما على سبيل التجدد
واما على سبيل التذكر والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم

والارادة

والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة
والرغبة تحرك النية والعزم والنية والعزم تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة
تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني
ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى الهاما والمذموم
يسمى وسوسة وسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الداعي الى الشر
يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي
به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والملك عبارة عن خلق
خلقه الله شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف والشيطان
عبارة عن خلق شانه الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر
والقلب متجاذب بينهما قال النبي صلعم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد
بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو
ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان
ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الآية وقال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن يقلبه كيف يشاء كنى به عن سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير
باستسخار الملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب
كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح
لقبول آثار الملئكة ولقبول آثار الشياطين قبولا متساويا وانما يترجح
احدهما على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او مخالفتهما
فمهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا
فوسوس ومهما انصرف الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل
الملك والهم فالتطارد بين جندي الملئكة والشياطين في معركة القلب دائم

[illegible]
معنى قلب المؤمن بين اصبعين

الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيسكن ولا يستوحش ويكون اجتياز الثاني اختلاسا
قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون **فصل** اعلم انه قد يتلبس لمة الشيطان بلمة الملك فان من مكايد
الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر
الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة
على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك
بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت
عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا يزال [يقرر] ذلك
في نفسه ويستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه
الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل
ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر
ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز
بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك
فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو
يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلعم ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر **فصل** قال بعض اهل المعرفة الهام الملك ووسوسة الشيطان
يقع في النفوس على وجوه وعلامات احدها كالعلم واليقين الحاصلين من جانب
يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة الحاصلتان من جانب الشمال وثانيها
كالنظر الى ايات الافاق والانفس على سبيل النظام والاحكام المزيل للشكوك
والاوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة التي هي على الجانب الايمن
من النفس

[illegible] يقرر

من النفس ويقابله النظر اليها على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشئة
منها الشبه والوساوس في الواهمة والمتخيلة التي على الجانب الايسر منها فان
الايات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانها
مبادي العلوم اليقينية والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية
لانها مبادي المقدمات السفسطية وثالثها كطاعة الرسول المختار والائمة
الاطهار في مقابلة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والتشبيه من الكفار
فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ومن سلك سبيل
الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشرور ورابعها كتحصيل العلوم والادراكات
التي هي في الموضوعات العالية والاعيان الشريفة كالايمان بالله وملائكته
ورسله واليوم الاخر والبعث وقيام الساعة ومثول الخلائق بين يدي
الله وحضور الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين في مقابلة تحصيل
العلوم والادراكات التي هي من باب الحيل والخديعة والسفسطة والتي
في الامور الدنيوية والخيالية الخارجة عن دار المحسوسات فان الاول يشبه الملائكة
الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوي والثاني
يشبه الابالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة من ولوج السموات
المحبوسة في الظلمات المحروسة في الدنيا عن الارتقاء المحجوبة في الاخرة
عن دار النعيم **فصل** اعلم ان ما يخطر بالبال من السيئة فلا مؤاخذة عليه لانه
لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل والهيجان لانهما ايضا لا يدخلان
تحت الاختيار واما الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد
بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه
يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الهم بالفعل فانه يؤاخذ الا انه

ان لم تفعل فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه كتب له حسنة لانه همه سيئة
وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة
عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده
في مخالفة الطبع بالعمل لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان
بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه
بالفعل وان تعوق الفعل لعايق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى
كتب عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل
ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة
وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة
انما تركها لاجلي وعن امير المؤمنين عليه السلام في قوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله ان هذه الاية عرضت على الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها
من ثقلها وقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضها على امته فقبلوها فلما رأى الله عز وجل
منهم القبول على انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها وعظم
ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي
ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر
ان ما لا يدخل تحت الوسع لا يؤخذ به وعن النبي صلى الله عليه وآله وضع عن امتي تسع خصال
الخطأ والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه وما استكرهوا
عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان
او يد وعن احدهما عليهما السلام ان الله تعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة
ولم يعملها كتب له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتب له عشرا ومن هم بسيئة
ولم يعملها لم تكتب عليه ومن عمل بها كتب له سيئة وفي رواية ان العبد

اذا اذنب

اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة الى الليل فان استغفر الله لم تكتب عليه وسئل
الصادق عليه السلام عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذه الله تعالى به فقال الله اكرم
من ان يستغلق على عبده وعنه عليه السلام ما من مؤمن الا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم
به وذلك قوله تعالى الا اللمم قال واللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه
وعن الكاظم عليه السلام ان الله ايد المؤمن بروح تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي
وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي فهي معه تهتز سرورا عند احسانه
وتسيخ في الثرى عند اساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم
تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا رحم الله امرءا هم بخير فعمله او هم
بشر فارتدع عنه ثم قال نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له المقالة
الثانية في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة ابواب الباب
الاول في معنى الخلق وتهذيبه اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس
يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت
الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة
خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت خلقا سيئا وانما شرطنا
الرسوخ لان من يصدر عنه بذل المال مثلا على الندور لحاجة عارضة
لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا
السهولة وعدم الروية لان من يتكلف بذل المال لا يقال خلقه السخاء
وليس عبارة عن الفعل فرب سخي خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال
او لمانع آخر وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او رياء فلا بد
في الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل
بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل

معنى الخلق وتهذيبه

له درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب والشهوة فحسنهما في ان يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة والدين واما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة القدرة منزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى ذلك تهورا وان مالت الى الضعف سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان سمي جمودا والمحمود هو الوسط وهو العدل والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق الحسنة الجميلة واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال

التهور ... الضعف ق

افراطها

الخبث الخداع الجربزة والمكر ق

في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الله تعالى مثنيا عليه وانك لعلى خلق عظيم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فينبغي ان يقتدى به فانه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه قوما فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال

فصل

اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان الاخلاق لا يمكن تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل عليه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فكما ان الخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فكذا الخلق الباطن والثاني ان حسن الخلق انما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها وهذا امر ممتنع والاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وهو محال فنقول لو كان الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب

بل من شره الاكل من الصيد الى التادب والى الامساك والفرس من الجماح الى السلاسة
والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك
ان نقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله
كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وبالجملة كل ما هو حاصل
كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة
الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست
بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليها
التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار
حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما
وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما
بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا
ووصولنا الى الله وليس المطلوب الا ذلك دون القمع بالكلية وهيهات
فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة الطعام
لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب
بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة
حب المال الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال
وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي
هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك
بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته
منقادا للعقل ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب
والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم صلعم انما انا بشر اغضب

كما يغضب

كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكره فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول
الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل
والفاقدين الغيظ وربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى
عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى الاعتدال
فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا ريب فيها

فصل قد يكون اعتدال القوتين فطريا بحيث يخلق الانسان وينشأ كامل العقل
حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب على عقله كالانبياء
والائمة عليهم السلام وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس على الاعمال
التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد ان يحصل لنفسه خلق الجود مثلا فطريقه
ان يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا
لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا ومن اراد
خلق التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين
مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه ويتكلف الى ان يصير ذلك خلقا وطبعا
وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل
الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله
عن كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق
الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات
السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة
ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلعم جعلت
قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة
واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة

خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعالى
وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال النبي اعبد الله في الرضا فان لم تستطع
ففي الصبر على ما يكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق
استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي
ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة
ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله عن السعادة فقال طول العمر
في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا
مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس
ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما المقصود بالعبادات تاثيرها
في القلب وانما يتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق
ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا شيء احب اليه
من الله سبحانه ولقائه وكل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى
يتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب
وطالب تزكية النفس لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم لكن
العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم يتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل
وتهجر التحصيل راسا وصغار المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة
بهدم اصل الايمان عند الخاتمة فلا ينبغي ان يستهان بتقليل الطاعة ولا بصغر
المعصية فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد
تاثير وربما يحصل الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم
وهم قرناء الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة ارباب الافعال السيئة ومصاحبتهم
وهم قرناء السوء فان الطبع يسترق من الطبع الخير والشر جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات

الثلث

الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان
رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعود
فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات
ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا
انفسهم يظلمون فصل اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه
العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى
في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه
فليطلب صديقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب احواله وافعاله صدوقا
فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه او يستفيد
معرفة عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساوي
كما قيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه حقيقة
بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول
على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع
بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم او يخالط
الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه وما يراه
محمودا يطالب نفسه به وينسبه الى نفسه فان المؤمن مرآة المؤمن
فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع
الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين الآخر عن اصله

ادعی اعظم منا او عن شیٔ منه فیتفقد نفسه ویطهرها عن کل ما یذمه من غیره وناهیک
بهذا تأدیبا فلو ترک الناس کلهم ما یکرهونه من غیرهم لاستغنوا عن المؤدب قیل
لعیسی علی نبینا وعلیه السلام من ادبک فقال ما ادبنی احد رایت جهل الجاهل فجانبته

الباب الثانی فیما یؤدی الی مساوی الاخلاق من البطن والفرج واللسان اعلم
ان الاخلاق انما ترسخ فی النفس بتکریر الاعمال والاعمال انما تصدر من القلب
بتوسط الجوارح وکل جارحة یصلح لان یصدر منه الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق
الجمیلة ولان یصدر منه الاعمال القبیحة المورثة للاخلاق السیئة فلا بد من مراعاة
القلب والجوارح بصرفهما الی الخیرات ومنعهما من الشرور واعظم المهلکات
لابن ادم شهوة البطن والفرج واللسان ففی الحدیث النبوی من وقی شر
قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقی والقبقب البطن والذبذب الفرج
واللقلق اللسان اما شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوا من دار القرار
الی دار الذل والافتقار اذ نهیا عن اکل الشجرة فغلبتهما شهوتهما
حتی اکلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن علی التحقیق ینبوع الشهوات ومنبت
الادواء والآفات اذ یتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الی المنکوحات
ثم یتبع شهوة المطعم والمنکح شدة الرغبة فی المال والجاه اللذین هما الوسیلة
الی التوسع فی المطعومات والمنکوحات ثم یتبع استکثار المال والجاه انواع
الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم یتولد من ذلک آفة
الریاء وغائلة التفاخر والتکاثر والکبریاء ثم یتداعی ذلک الی الحقد والحسد والعداوة
والبغضاء ثم یفضی ذلک بصاحبه الی اقتحام البغی والمنکر والفحشاء وکل ذلک
ثمرة اهمال المعدة وما یتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع
وضیق مجاری الشیطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلک سبیل البطر والطغیان
ولم تنجر

ولم ینجر به ذلک الی الانهماک فی الدنیا وایثار العاجلة علی العقبی ولم یتکالب
کل هذا التکالب علی الدنیا قال النبی صلی الله علیه وآله ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب
ابن ادم لقیمات یقمن صلبه فان کان ولا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه وقال صلی الله علیه وآله لا تمیتوا القلوب بکثرة الطعام والشراب فان القلب
کالزرع یموت اذا کثر علیه الماء وقال صلی الله علیه وآله افضلکم منزلة عند الله تعالی اطولکم
جوعا وتفکرا وابغضکم الی الله تعالی کل نؤوم اکول شروب وقال علیه السلام
ان البطن لیطغی من اکله واقرب ما یکون العبد الی الله اذا خف بطنه
وابغض ما یکون العبد الی الله اذا امتلأ بطنه وفی مصباح الشریعة
قال الصادق علیه السلام ما من شیء اضر لقلب المؤمن من کثرة الاکل وهی مورثة
شیئین قسوة القلب وهیجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء
للروح وطعام للقلب وصحة للبدن وقال لقمان لابنه یا بنی اذا امتلأت
المعدة نامت الفکرة وخرست الحکمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وبالجملة ففوائد الجوع کثیرة منها صفاء القلب ورقته والالتذاذ بالطاعة
والانکسار المانع عن المعصیة والغفلة وذکر جوع یوم القیمة وکسر شهوة
الفرج المستولیة بالشبع ودفع النوم الذی یکل الطبع ویضیع العمر ویفوت
القیام والتهجد وتیسر المواظبة علی الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام
بالتحصیل والاعداد والاکل ودفع الامراض الناشئة عنها فان المعدة
بیت الداء والحمیة رأس کل دواء. فصل قد علمت ان المقصد الاقصی
فی جمیع الاحوال والاخلاق الوسط وما ذکر فی فضائل الجوع ربما یومی
الی ان الافراط فیه مطلوب ولیس کذلک بل من اسرار الحکمة الشریعة ان کل ما یطلب
الطبع فیه الطرف الاقصی وکان فیه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه

على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع طلب
ينبغي ان يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاوما
ويحصل الاعتدال ولهذا بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في الثناء على قيام الليل وصيام النهار
ثم علم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا
فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة
ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان المقصود بالاكل بقاء الحيوة
وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع
منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون
متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع واليه الاشارة
بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والقوام فيه ان لا ياكل طعاما حتى يشتهيه
ويرفع يده عنه وهو يشتهيه فصل واما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان ل
لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته فيقيس بها لذات الاخرة
فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان الم النار
اعظم الام الجسد فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس
ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فهذه فائدتها ولكن فيها من الافة
ما يهلك الدين والدنيا ان لم تنضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال
فان لها ايضا افراطا وتفريطا فافراطها ما يقهر العقل حتى يصرف همة
الرجل الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر
الدين حتى يجره الى اقتحام الفواحش وقد تنتهي هذه الشهوة بمن غلبت عليه وهمه على عقله
الى العشق البهيمي الذي ينشأ من تهييج الشهوة فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة

وقد خلق

وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وهو
مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر
والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وتفريط هذه الشهوة اما بالعنة كما
الخارج عن الاعتدال او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم امتاع
وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها
وانقباضها ومهما افرطت فكسرها يكون بالجوع وبالنكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم
له وجاء فصل اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها
عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع
اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او خوف او حياء او محافظة على حشمته
وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ
اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم
فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب
الجزيل في تركه خوفا من الله مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسير
الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد وقال سبعة
يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب
وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف
وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى
بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة
العظيمة قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم

الوجاء بالكسر [illegible] رض عروق البيضتين حتى تنفضخ [illegible] وقيل [illegible] شبه الصوم [illegible] لوجاء

وقال النبي صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء

فصل

واما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم يتناوله وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم كما ورد في الحديث النبوي ولا ينجي من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال

وقال الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم صح

امسك لسانك فانها صدقة تتصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن لسانه وقال عليه السلام رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وعن امير المؤمنين عليه السلام رجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه فقال يا هذا انك تملي على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وعن السجاد عليه السلام قال ان لسان ابن ادم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب بك وعن الباقر عليه السلام ان شيعتنا الخرس وعن الصادق عليه السلام النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل وقال في حكمة ال داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وقال لقمن لابنه يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضا الله ولوجهه ونشر الائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم ثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله واشد ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه وقد سئل السجاد عليه السلام عن الكلام والسكوت ايهما افضل

فقال لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت
قيل وكيف ذاك يا ابن رسول الله قال لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء
والأوصياء بالسكوت إنما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجب
ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا تجنب سخط الله
بالسكوت إنما ذلك كله بالكلام ما كنت لأعدل القمر بالشمس إنك تصف
فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت فصل
اعلم أن آفات اللسان كثيرة منها الخطأ والكذب والغيبة
فيها وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية
النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة
والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورة وإفشاء السر والسخرية
والاستهزاء وغير ذلك مما هي سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة
في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قل
ما يقدر على أن يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك
من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصمت نجاة فلذلك عظم
فضل الصمت مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر
والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه
في الآخرة قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال
تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح
بين الناس وقال النبي ص طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق
الفضل من ماله فصل إنما قيدنا الكذب والغيبة بغير المأذون فيه لأن
من الكذب والغيبة ما يجوز قال الصادق ع كل كذب مسؤول عنه صاحبه إلا ثلثة
رجل

٣٣
رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه ورجل أصلح بين اثنين يلقى هذا
بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الإصلاح بينهما ورجل وعد أهله شيئا
وهو لا يريد أن يتم لهم وكذا ورد عن النبي ص وورد أن في المعاريض
لمندوحة عن الكذب يعني بالمعاريض التورية وذلك إذا اضطر إليها
وقال النبي ص من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال ليس لفاسق
غيبة وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته وقال لصاحب الحق مقال
وقد مر الحديث في وجوب غيبة أهل البدع والريب ليحذرهم الناس
وعن النبي ص أترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه
بما فيه يحذره الناس وفي معنى الغيبة خفاء فلا بد أن يكشف الغطاء عنه
فقد روي عن النبي ص أنه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله
أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول
قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته فإن لم يكن فيه فقد بهته
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع صفة الغيبة أن يذكر أحد بما ليس هو عند الله
مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وإن كره صاحبه إذا سمع به وكنت
أنت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله
ورسوله ولكن على شرط أن لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان
الحق والباطل في دين الله وأما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك
المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وإن كان صوابا أقول وينبغي تخصيص
هذا الحديث بما إذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه ساترا على نفسه كارها
لظهوره ويدل على ذلك ما روي عنه ع أيضا أنه قال هو أن تقول
لأخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه أمرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد

[illegible]

حد وعن الكاظم ع قال من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه
ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه
فقد بهته وعن الصادق ع قال الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر
الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا وخص بعض علمائنا تحريم الغيبة بغيبة من يعتقد
الحق لان ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال فان الحكم فيها منوط
بالمؤمن او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق
وعن الصادق ع ان اصل الغيبة يتنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة
قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم
وتزين قال ع ان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه فان لم تلحقه فاستغفر
الله وسائر آفات اللسان مستغن عن البيان

الباب الثالث

في الغضب والحقد والحسد اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد
استكنان الجمر تحت الرماد وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين او حمية
الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبارين التي لها عرق الى الشيطان
اللعين حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فمن شان الطين السكون
والوقار ومن شان النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب
ومن نتايج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد
ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد قال رسول الله ص
الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وقال من كف غضبه
كف الله عنه عذابه وقال الباقر ع ان هذا الغضب جمرة من الشيطان
توقد في جوف ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه
وانتفخ

وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم
الارض فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك قال ع وايما رجل غضب
على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت قال ع وكان
ابي يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله
ويقذف المحصنة وقال من كف غضبه ستر الله عورته وقال ان في التورية
مكتوبا يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك عند غضبي وقال الصادق ع الغضب
مفتاح كل شر وانما ينبسط الدم عند الغضب اذ غضب الانسان على من دونه
واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه ياس
من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب
وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تردد
بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب لطلب الانتقام وانما يتوجه
هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات التي خلقت لاجله قبل وقوعها
والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها
وفيه لذتها ولا تسكن الا به والناس في هذه القوة على درجات ثلث في اول
الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة
او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له وهو ناقص
جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واحتمال الذل من الاخساء وصغر
النفس والخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد وصف الله
خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الشدة والغلظة من آثار
قوة الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل

والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار وسبب غلبته
قد يكون فطريا وقد يكون اعتياديا بان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة
الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول احدهم انا الذي لا اصبر على المحال
ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه
فيرسخ في نفسه حسن الغضب حب التشبه بالقوم فيعمى ويصم عن كل موعظة ولا يقدر
على الاستضاءة بنور عقله لانطفائه بدخان الغضب ومن اثار هذا
الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج
الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد
على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى
الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته وقبح
باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة
الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فهذا اثره في الجسد واما اثره
في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول
ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ
واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن
من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي
رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدوا
كالواله والسكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض
لشدة الغضب ويعتريه شبه الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب
القصعة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليها وقد يتعاطى افعال
المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبها ويقول الى متى منك كذا وكذا
كأنه

كأنه يخاطب عاقلا واما اثره في القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة
بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الاستار وغير ذلك
من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وينبغي للعاقل ان يعالج نفسه
من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط
المستقيم وادق من الشعر واحد من السيف فان عجز فليطلب القرب
منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا
كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله
ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير
ارفع من بعض فصل اعلم ان الانسان ما دام يحب ما يوافقه ويحتاج اليه
ويكره ما يخالفه ويتاذى منه فلا يخلو عن الغيظ والغضب بجبلة طبعه فانه
مهما اخذ منه محبوبه او قصد بمكروه غضب لا محالة ولكنه يتفاوت باختلاف
الاشخاص وانما المحبوب الضروري لكل احد ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا بحذافيرها فمن كان بصيرا بحقائق الامور وسلمت له هذه الثلث
وكل ما كان ضروريا له خاصة يتصور ان لا يغضب في غيرها اعني يقدر
على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه
العقل وذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم
والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب وذلك مقتضى الطبع
فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن
وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا
الا في قليل انما الواجب الذي لم يفت المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة تشلى

وهي قوة فاتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهية وليس من ضرورة
كل كراهية غضب فان الانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد
والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد
من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع عليه
ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع
ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر
له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب
كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول ان غلبة التوحيد على هذا
الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف
لا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا
لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن امير المؤمنين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق
لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان
غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ
ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله
فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان
القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب
لاشتغاله بغيره فان اشتغال القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس
بما عداه وهذا كما ان سلمان رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر
مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا
الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب
بهم

بمهم او بغلبة نظر التوحيد وبسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه
ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة
فصل قد ثبت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها وان الاسباب
المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والفخر والهزل والهزء والذل
والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال
والجاه وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب
مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها فينبغي ان يميت
الزهو بالتواضع والعجب بالمعرفة بنفسك والفخر بمعرفة انه من الرذائل
وانما الفخر بالفضائل واما الهزل فيزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق
الحسنة واما الهزء فيزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس
عن ان يستهزأ بك واما التعيير فالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر
الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فيزال بالقناعة بقدر الضرورة
طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق
وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل
رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها
ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى يصير بالعادة مالوفة
هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل
وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها وعلاجه عند هيجانه الاستعاذة
من الشيطان والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان كان جالسا والوضوء
او الغسل بالماء البارد فان الغضب من النار كذا ورد في الحديث النبوي
وان يتفكر فيما ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى

الزهو الكبر والفخر والزهو الباطل والكذب صح

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها
إلا ذو حظ عظيم وقال النبي ص ما جرع عبد جرعة أعظم قدرا من جرعة غيظ
كظمها ابتغاء وجه الله وقال الباقر ع من كظم غيظا وهو يقدر على إمضائه
حشا الله قلبه أمنا وإيمانا وقال الصادق ع ما من عبد كظم غيظا إلا زاده
الله عزا في الدنيا والآخرة وقال ع كفى بالحلم ناصرا وقال إذا لم تكن
حليما فتحلم وأن يخوف نفسه بعقاب الله وأنه أحوج ما يكون إلى العفو
وأن يحدث نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو للمقابلة
وأن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب
وأن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله
لا على وفق مراده وعن النبي ص ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات
شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء
فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وإن خيرهم البطيء
الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء فصل اعلم
أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه
فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه ويدوم
على ذلك ويبقى قال رسول الله ص المؤمن ليس بحقود والحقد يثمر أمورا منها
الحسد وهو أن يحمله الحقد على أن يتمنى زوال النعمة عنه فيغتم بنعمة إن أصابها
ويسر بمصيبة إن نزلت به ومنها أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن فيشمت
بما يصيبه من البلاء ومنها أن يهجره وينقطع عنه وإن طلبه المحقود وأقبل عليه
ومنها

ومنها أن يتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره
ومنها أن يحاكيه استهزاء به وسخرية منه ومنها إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه
ومنها أن يمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل
درجات الحقد أن يحترز من هذه الآفات ولكن يستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبه
عن بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام
لحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له أو يترك الدعاء
له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجته في الدين
ويحول بينه وبين فضل عظيم والأولى أن يبقى على ما كان فإن أمكنه أن يزيد
في الإحسان مجاهدة للنفس وإرغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين
قال رسول الله ص ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة العفو عمن ظلمك
وتصل من قطعك والإحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك
وقال ص عليكم بالعفو فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزا فتعافوا يعزكم
الله وقال الباقر ع الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة
وعن النبي ص إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه
وقال الباقر ع إن لكل شيء قفلا وقفل الإيمان الرفق وقال ع إن الله
رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وقال الصادق ع من كان
رفيقا في أمره نال ما يريد من الناس وقال الكاظم ع الرفق نصف العيش
فصل واعلم أن الحسد من نتائج الحقد كما أن الحقد من نتائج الغضب
ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى قال الله تعالى في معرض الإنكار
أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ود كثير من أهل الكتاب
لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم وقال إن تمسسكم

حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبّر
عما في قلوبهم وما اداهم اليه من اضاعته ثم ما اصابهم من ذلك وقال
رسول الله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال قال الله تعالى
لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما اتيتهم من فضلي ولا تمدن
عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي
الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وقال
استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال ص
ثلاث لا ينجو منهن احد وفي رواية قل من ينجو منهن الظن والطيرة
والحسد وساحدثكم بالمخرج عن ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال ع آفة الدين الحسد والعجب
والفخر وفي مصباح الشريعة قال ع الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود
كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع
الى محل حقايق العهد والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان
الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع
الحسد الحاسد وماذا يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب
وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة
الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد به
مطبوع فيه يبدو بلا معارض ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل
وان عولج فصل معنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها عنه
وان لم يحب زوالها عنه ولا يكره دوامها عليه ولكن يشتهي لنفسه
مثلها يسمى غبطة وقد يسمى منافسة قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون

المتنافسون والغبطة ان كانت في الدنيا فمباح وان كانت في الدين فمندوب اليها
قال النبي ص المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله
مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس سمي الغبطة
حسدا وهذا كما قد يسمى الحسد منافسة فان اصاب النعمة كافرا وفاجرا وهو يستعين بها
على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضر كراهتها عليه وحب
زوالها منه من حيث انها آلة للفساد لا من حيث انها نعمة واسباب الحسد
المذموم العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد
المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه
اما لانه عدوه فلا يريد له الخير واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر
بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد
بالتعزز واما ان في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو يكون
المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز
مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده
بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون بحب
الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون
بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله
وان كانت النعمة لا ينتقل اليه وقد تجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد
فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة
فيهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة فصل هذه الاسباب
انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات
ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه

نفر طبعه والبغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه
ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه
اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متباينتين فلا يكون بينهما محاسدة نعم
اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد
تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه
يثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد
والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر دون غيره
الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه
اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد
ام الزوج وابنته وذلك للتزاحم على المقاصد نعم من اشتد حرصه [illegible]
على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد
كل من هو في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ
جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين واما الآخرة
فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم الآخرة فلا جرم من يحب
معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد وانبيائه
غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم
الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ ولا ينقص لذة واحد
بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة
والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه والمنزلة عند الله
ايضا لا ضيق فيها لان اجل ما عند الله لذة لقائه وليس فيها ممانعة من النعم
ولا مزاحمة بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه

تحاسدوا

تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها
يد الآخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف
عن تعظيم الآخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة فصل
اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا يداوى امراض القلب
الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف تحقيقا ان الحسد
ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدين والدنيا
بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك
ولا صديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين
فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله
الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية
على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين على ما
وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته
وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت
ابليس وسائر الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث
في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو
الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك
وتتعذب به ولا تزال في كد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم
يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم
فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما
تشتهي اعداؤك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك
نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك اذ لو كانت النعم تزول بالحسد

الايمان

لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون
المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون بل ما قدره الله من اقبال
ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله ولا حيلة في دفعه بل كل شيء
عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن
على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة واما ان المحسود
ينتفع في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم
من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة
والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه
باثقال حسناتك الى ديوانه حتى تلقاه مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت
في الدنيا عن النعمة فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة
الى شقاوتك واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة
الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم
مما انت فيه من الم الحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فالحاسد
ينبغي ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه من قول او فعل فينبغي ان يكلف
نفسه نقيضها فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له
والثناء عليه وان حمله على التكبر الزم نفسه التواضع له والاعتذار
اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام
فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما احبه
عاد الحاسد واحبه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد ويصير
ما تكلفه اولا طبعا آخرا والاصل في العلاج قمع اسباب الحسد من الكبر
وعزة

وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني كما يأتي بيانه الباب الرابع في الرياء
والكبر والعجب اعلم ان الرياء بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله
قال الله تعالى ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون
ويمنعون الماعون وقال عز وجل يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
وقال كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء
عن الشرك وقال ان ادنى الرياء شرك وقال سيأتي على الناس زمان
تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به
ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف فيعمهم الله بعقاب
فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وقال ان الملك ليصعد بعمل العبد
مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله اجعلوها في سجين انه ليس
اياي اراد بها وقال امير المؤمنين عليه السلام اخشوا الله خشية ليست بتعذير
واعملوا في غير رياء وسمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله وقال
ثلث علامات للمرائي ينشط اذا رأى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب
ان يحمد في كل اموره وعن الباقر عليه السلام الابقاء على العمل اشد من العمل قيل
وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة وحده لا شريك له
فتكتب له سرا ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى فتكتب له
رياء وقال الصادق عليه السلام قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري
في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وقال كل رياء شرك انه
من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله
وقال في قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا

الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما م مختار الصحاح

قيل في معناه اذا فعل فعلا من باب الخوف [illegible] صح

ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ان الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله
انما يطلب تزكية الناس ويشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك
بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا
وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله شرا او قال ما يصنع احدكم
ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك
والله يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت
العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما اراد
ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله
الا ان يقلله في عين من سمعه ولا بأس بالسرور اذا كان قصده اخفاء
الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم
عليه واظهر الجميل من حاله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له
والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر
الطاعة فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم
وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذا اذا استدل
باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الاخرة
قال رسول الله صلعم ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الاخرة
فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال وهذا التفات الى المستقبل وكذا
اذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف
بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما ظهر اخرا واجر السر بما قصده
اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص
من اجورهم شيء وكذا اذا فرح لطاعتهم لله في مدحهم وحبهم للمطيع وميل
قلوبهم

41

قلوبهم الى الطاعة روي ان رجلا قال لرسول الله صلعم يا رسول الله اسره لا احب
ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني فقال لك اجران اجر السر واجر العلانية وعن الباقر ع
انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك قال ع لا بأس ما من احد
الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك
وكذا الكلام في كتمان المعاصي لا لان يعتقد فيه الورع بل للتحامي
عن الهتك او لان الستر مأمور به ويعرف كراهة ظهورها عن الغير
او لانه يتألم بالذم فهو مباح لكونه جبليا او لان الناس شهداؤه كما ورد
او لان الذام يصير عاصيا ويعرف بتسوية ذمه وذم غيره او لخوف ان يقصد
بسوء او للحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء كله خير الحياء شعبة من الايمان
او لان يقتدى به الغير او حبه محبة الناس له ليعلم محبة الله تعالى له فان من
احبه الله جعله محبوبا في قلوب الناس فصل اعلم ان الرياء بالعبادة انما منشأه
من لذة الحمد والفرار من الم المذمة والطمع لما في ايدي الناس فمهما
عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال
من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب والمقت
والخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته
من الاخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال لترك الرياء الى الاخر مع ان
العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء
حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار هذا مع ما يتعرض له
في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس
غاية لا تدرك وكل ما رضي به فريق يسخطه فريق ورضى بعضهم في سخط
بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه

ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه
الله يحب تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك
بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا
وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا او قال ما يضمر
ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك
والله يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت
العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما اراد
ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله
الا ان يقلله في عين من سمعه ولا بأس بالسرور اذا كان قصده حمد
الله [illegible] ذلك [illegible] خلق [illegible]
[illegible] الجميل [illegible] حسن صنع الله به [illegible]
[illegible] يستر [illegible] معصية ثم الله يستر عليه المعصية
[illegible] يكون [illegible] يحب [illegible]
وقد [illegible] الله [illegible]
[illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] رسول الله [illegible] الدنيا [illegible] الاخرة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

41

قلوبهم الى الطاعة روى ان رجلا قال لرسول الله صلعم يا رسول الله اعمل العمل لا (اسره)
اريد ان يطلع عليه احد فيطلع فيسرني فقال لك اجران اجر السر واجر العلانية وعن الباقر
انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك لا بأس ما من احد (قال م)
الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك
وكذا الكلام في كتمان المعاصي الا ان يعتقد فيه الورع بل للتحامي
عن الهتك ولان الستر مأمور به ويعرف كراهة ظهورها عن الغير
او لانه يتألم بالذم فهو مباح لكونه جبليا او لان الناس شهداء كما ورد
او لان الذام يصير عاصيا ويعرف بتسويه ذمه وذم غيره او الخوف ان يقصد
بسوء او الحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء كله خير الحياء شعبة من الايمان
او لان يقتدى به الغير او حبه محبة الناس له ليعلم محبة الله تعالى له فان من
احبه الله جعله محبوبا في قلوب الناس فصل اعلم ان الرياء بالعبادة انما ينشأ
من لذة الحمد والفرار من الم المذمة والطمع لما في ايدي الناس فمهما (تنبيه)
عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال
من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب والمقت
والخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته
من الاخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال لترك الرياء الذي مع ان
العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا افسد بالرياء
حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار هذا مع ما يتعرض له
في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس
غاية لا تدرك وكل ما رضي به فريق يسخطه فريق ورضى بعضهم في سخط
بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه

ثم اي غرض له في مدحهم ايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم
رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع
بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء
وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل
عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فاذا
قرر في قلبه افة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله بقلبه
ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص
لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ولو اخلص لله
لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده
والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم ثم ينبغي
ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق
الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته
ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وذلك وان شق في بداية المجاهدة
لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف
الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية
والله لا يضيع اجر المحسنين وفي مصباح الشريعة قال الص ع اكثر ما يقع
الرياء في النظر والاكل والكلام والمشي والمجالسة واللباس والضحك
والصلوة والحج والجهاد وقراءة القران وسائر العبادات الظاهرة ومن
اخلص لله باطنه وخشع له بقلبه ورأى نفسه مقصرا بعد بذل المجهود وجد
الشكر عليه حاصلا ويكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق

اذا

42

اذا اقام على ذلك في كل حال فصل واما الرياء بغير العبادات فقد يكون
مستحبا وقد يكون واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يعير
بما يعاب عليه فيما يليق بذوي المروات ان يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند
مشاهدة الناس وان جاز لهم في الخلوة الا ان ذلك يختلف باختلاف
الازمنة والبلاد والاشخاص من العباد فلا بد من مراعاة ذلك
فعن الص ع انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله
فلما راه الرجل استحى منه فقال ع اشتريته لعيالك وحملته اليهم
اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله
اليهم اراد ع لولا مخافة ان يعيبوني على ذلك مع ان جده امير المؤمنين ع
كان يفعل مثله الا انه لما كان في زمان العيب عليه بمثله جاز له ان يركبه
وكان منقبة له وتعظيما وروى ان رسول الله ص اراد يوما ان يخرج
على الصحابة فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له
او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين
لاخوانه اذا خرج اليهم وقال امير المؤمنين ع ليتزين احدكم لاخيه المسلم كما يتزين
للغريب الذي يحب ان يراه في احسن الهيئة وقال الص ع الثوب
النقي يكبت العدو وكل ذلك رياء محبوب فصل واما الكبر فانه من نتائج
العجب والتكبر ينشأ من الحقد والحسد والرياء وقد ذم الله التكبر في مواضع
من كتابه قال الله سبحانه ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال رسول الله ص
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال من تعظم
في نفسه واختال في مشيه لقي الله وهو عليه غضبان وقال الباقر ع الكبر

الكبت الصرف والاذلال ومنه يكبت العدو اي يصرفه ويذله مجمع البحرين

رداءه والمتكبر ينازع الله رداءه وقال صلى الله عليه وسلم الكبر ان تغمص الناس
وتسفه الحق وفسّر في رواية اخرى سفه الحق بان يجهل الحق ويطعن
على اهله والغمص بتحقير الناس والتجبر عليهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد يتكبر او يتجبر
الا لذلة وجدها في نفسه وقال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له
سقر شكى الى الله شدة حره وسأله ان يأذن له ان يتنفس فتنفس
فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطاهم الناس
حتى يفرغ الله من الحساب وقال صلى الله عليه وسلم ان في السماء ملكين موكلين
بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تواضع
احد لله الا رفعه الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده
فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه ما لي
لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال
التواضع وعنه صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم قال ص
المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار وعن السجاد عليه السلام انه مر
على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال
اما اني لولا اني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع
وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعن الكاظم عليه السلام
قال التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع
لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع
ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله
على كثير من عباده ولاهل التواضع علامات يعرفها اهل السموات من الملائكة
واهل

واهل الارض من العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون
كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل
عبادة يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع
الا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر
الله عز وجل اعز خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وسلم بالتواضع فقال عز وجل واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع
والخشية والحياء وانهن لا يأتين الا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي
الا للمتواضع في ذات الله فصل التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود
وفرعون وقد يكون على رسله كما كان لمن كان يقول اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا وقد يكون على سائر الناس بان يستعظم نفسه ويستصغر غيره فاذا سمع
الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله واشمأز لجحده كما يكون
لاكثر المناظرين في العلوم للغلبة والافحام ثم قد يكون بالعلم وقد يكون
بالعبادة والورع وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال والقوة
وكثرة الانصار والاتباع والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان يكون
اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي والثاني ان يخوض في العلم وهو خبيث
النفس ردي الاخلاق لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها بالمجاهدات
ولم يرض نفسه بعبادة ربه فيبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان
صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره
وعلاجه ان يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر
صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع فلا بد ان يكلف

نفسه ما يجب لمولاه وان يعلم ان حجة الله على اهل العلم آكد وانه يحتمل
من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش
اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلعم يؤتى بالعالم
يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى
عن الشر وآتيه وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار وبلعم بن باعورا بالكلب
وقال عيسى ابن مريم ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار وقال الفض
يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العابد
الورع ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف
من فضيلة العلم وكان العلم يمكن ان يكون لحجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة
له وكفارة لذنوبه ان الحسنات يذهبن السيئات والامر غير العالم في حقه
مستور وانما المدار على الخاتمة فعليه ان راى من هو شر منه ان يقول لعل
هذا ينجو واهلك انا فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل له
هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه
الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وترى ظاهر فذلك شر لي
لا آمن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فيحبطها وبانه
من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته
فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد
خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة اي يؤتون الطاعة وهم على وجل عظيم من قبولها ومن يعتريه الكبر من جهة
النسب فليداو قلبه امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز بكمال غيره

ولذلك

فاحبطتها

ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا
فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره
بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان يقول الفضل لي ومن انت انما انت
دودة خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده
فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب وقد عرفه الله
تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر
الى باطنه نظر العقلاء ليرى من الفضائح ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل
به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط
في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت
بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط كل يوم دفعة او دفعتين بيده
يتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه
لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة
الصور من النطفة ودم الحيض وخرج من مجرى البول الى الرحم مغيض
دم الحيض ثم مجرى القذر ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده
بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وسيموت
فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار واما التكبر بالقوة فيمنعه من ذلك
ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد
من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب
شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه
لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته

دليل ح

سل الشيء من الشيء نزعه كسل السيف من الغمد وسل الولد الا ان ... قبل الولادة سليل راغب

نفسه ويجب مراعاته وان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل
من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم فان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش
اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم
يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى
عن الشر وآتيه وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار وبلعم ابن باعورا بالكلب
وقال عيسى ابن مريم ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار وقال الفضيل
يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العالم
الورع ان يعلم ان من يتقيه وعليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف
من فضيلة علمه وكم من عالم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون
له كفارة لذنوبه ان الحسنات يذهبن السيئات او غير العادة جهله
مستورا وانما الحذار على الخاتمة فعليه ان راى من هو شر منه ان يقول لعل
هذا احجوا واحكم انه فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل
هذا باطن ذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فرحمه
الله وتاب عليه ويختم له باحسن الاعمال وترى ظاهر ذلك شر له
لا امن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فتحبطها فهذا وجهه
من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته
فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد
خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها ومن لغيره الكبر من
النسب فليداو قلبه بامرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز بكمال غيره

ولذلك

ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا
فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره
بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت
دودة خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده
فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب وقد عرفه الله
تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر
الى باطنه نظر العقلاء ليرى من الفضائح ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل
به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط
في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت
بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط كل يوم دفعة او دفعتين بيده
يتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه
لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة
الصور من النطفة ودم الحيض وخرج من مجرى البول الى الرحم مغيض
دم الحيض ثم مجرى القذر ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده
بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار
فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار واما الكبر بالقوة فيمنعه من ذلك
ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد
من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب
شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه
لقتلته وان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته

ذليل

ما لا يجبر في مدة ثم ان اقوى الناس لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل
او بقر واي افتخار في صفة يسبقه البهائم فيها واما التكبر بالغنى وكثرة
المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال
والقوة والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان الشرف يسبقه اليهود ووقت
الشرف باخذه السارق والمتكبر بتمكن السلطان بناء امره على قلبه هو اشد
غباوة من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج عن ذاته
فهو ظاهر الجهل فصل اعلم انه لا يتم الشفاء من الكبر الا باستيصال اصله
من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب وذلك بان يعرف ربه وانه
لا يليق العظمة والكبرياء الا به وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم انه
بذاته اذل من كل ذليل واقل من كل قليل ولا يليق به الا التواضع
والذلة والمهانة ويكفيه اية واحدة من كتاب الله عز وجل ان كانت
بصيرته وقال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره نعم لو اكمله وفوض اليه
امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى
ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة
والافات المختلفة والطبايع المتضادة من البلغم والريح والدم لتهدم
البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويمرض
كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا
يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى
الشيء فيغفل عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية
الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه

يشتهي

قليل صح

وبعض كرها صح

يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمة
فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يأمن في لحظة من ليله
ولا نهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه ويختلس
عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل
ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه
ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه واني يليق الكبر به لولا جهله فهذا
وسط احواله فليتأمله واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى
ثم اماته فاقبره فيصير جيفة منتنة قذرة ثم تبلى اعضاؤه وصورته
وتتفتت اجزاؤه فتنخر عظامه فيصير رميما رفاتا ثم يصير روثا
في اجواف الديدان يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان واحسن احواله
ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان فما احسنه
لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدايد البلاء فيخرج من قبره
بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيمة قائمة وسماء
ممزقة متشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس
منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها
المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة يكتب فيها ما نطق به وعمل من قليل
وكثير ونقير وقطمير وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا
حاله والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر واما العلاج
العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق
المتواضعين فقد ورد ان رسول الله صلعم كان يأكل على الارض ويقول
انما انا عبد اكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس جيدا فقال انما انا

عبده فمن اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق فى الاخرة وللمتواضع امتحانات
يعرف بها تواضعه فلا بد ان يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بانه متواضع فانه قد يضمر
التواضع ويدعى البراءة من الكبر فاذا وقعت الواقعة عادت النفس الى طبعها ونسيت
وعدها ثم المحمود ان يتواضع فى غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفى الامور
ذميم واحب الامور الى الله اوسطها وهو ان تعطى كل ذى حق حقه وهو العدل
فصل واما العجب فهو اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم
فان كان خائفا على زوالها مشفقا على تكدرها او يكون فرحه بها من حيث
انها من الله من دون اضافتها الى نفسه فليس بمعجب فان انضاف الى ذلك
ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان واستبعد ان يجرى
عليه مكروه سمى ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى
غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات
او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال الله تعالى فى معرض الانكار
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم
الله من حيث لم يحتسبوا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا
يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو
مصيب فيه قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال النبى صلى الله عليه وآله ثلاث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله اذا رايت
شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بخاصة
نفسك وقال صلى الله عليه وآله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب
وقال الصادق عليه السلام ان الله علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى
مؤمنا بذنب ابدا وقال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل

صبره

العنصر الحادى الفضل رهـ

[illegible]

فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه وعنه عليه السلام
قال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلوتك فقال مثلى يسئل عن صلوته وانا اعبد الله
منذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك قال ابكى حتى تجرى دموعى فقال العالم
ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد
من عمله شئ وعن الباقر عليه السلام قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والاخر
فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك انه دخل
العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته فى ذلك وتكون فكرة
الفاسق فى الندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال النبى صلى الله عليه وآله
قال موسى لابليس اخبرنى بالذنب الذى اذا اذنبه ابن ادم استحوذت عليه
فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر فى عينه ذنبه وقال قال الله تعالى
لداود يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال داود وكيف ابشر
المذنبين وانذر الصديقين قال يا داود بشر المذنبين انى اقبل التوبة
واعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم فانه ليس
عبد انصبه للحساب الا هلك وعن الكاظم عليه السلام انه سئل عن العجب الذى يفسد
العمل فقال للعجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه
ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله ولله
عليه فيه المن وفى مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام العجب كل العجب ممن يعجب
بعمله وهو لا يدرى بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد
وادعى ما ليس له والمدعى من غير حق كاذب وان خفى دعواه وطال دهره
فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير ويشهد
على نفسه ليكون الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر

قوله استحوذ عليهم الشيطان اى استولى عليهم رهـ

وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرتها اللعنة
والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد
من ان يثمر فصل اعلم ان آفات العجب كثيرة منها انه يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه
كما اشرنا اليه ومنها انه يدعو الى نسيان الذنوب وما يتذكر منها فيستصغرها
ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات
فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق
والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات
الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة
نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف
دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن
انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة
من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها
ويزكيها فان اعجب برايه وعلمه وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة
والسؤال فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه
وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح
بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره
بعين الاستجهال ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القرآن
واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال اهل البصيرة
لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب ولذلك
كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز
واستغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه فصل اعلم ان المعجب
قد يعجب

قد يعجب بالاسباب التي بها يتكبر وعلاجه فيما ذكرناه في الكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به
كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ذلك
يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذا افترقت فرقا وكل معجب
برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا
عليها لعجبهم بارائهم وهو ما يسوق اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه
حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه
ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والعارف يقدر ان يبين
للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغى الى العارف
ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة وكيف يمكن
الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه في الجملة ان يكون
متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله او سنة
نبيه صلى الله عليه وآله او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان
ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة
وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة
ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن
عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق
عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغى اليها ولا يسمعها
ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع ائمة الهدى
من اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث
وتفتيش ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة على المسلمين

الجهل

وسایر الاعمال المرضیة **فصل** ولما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده
وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك فقط فلنفرض
العجب بفعل داخل تحت اختیار العبد كالعبادات فان العجب بهذا اغلب
من العجب بالجمال والقوة والنسب مما لا یدخل تحت اختیاره ولا یراه
من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذی به یعجب اما
ان یكون یعجب به من حیث انه فیه وهو محله ومجراه او من حیث انه منه
وبسببه وقدرته وقوته فان كان الاول فهو جهل لان المحل مسخر ومجرى
یجری فیه وعلیه من جهة غیره لا مدخل له فی الایجاد والتحصیل فكیف
یعجب بما لیس الیه وان كان الثانی فینبغی ان یتامل فی قدرته
وارادته واعضائه وسایر الاسباب التی بها تم عمله انها من این
كانت له فان كان علم ان جمیع ذلك نعمة من الله الیه من غیر حق
سبق له ومن غیر وسیلة یدلی بها فینبغی ان یكون اعجابه بجود الله تعالى
وكرمه وفضله اذ افاض علیه ما لا یستحقه واثره به على غیره من غیر سابقة
ووسیلة فان قال وفقنی للعبادة لحبی له فیقول ومن خلق الحب فی قلبك
فیقول هو فیقول فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك
بهما من غیر استحقاق من جهتك اذ لا وسیلة لك ولا علاقة فیكون الاعجاب
بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب
اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه
وعجب الجمیل بجماله وعجب الغنی بغناه لان كل ذلك من فضل الله
وانما هو محل لفیضان فضل الله وجوده والمحل ایضا من فضله وجوده
فانه هو الذی خلقك وخلق اعضاءك وخلق فیها القوة والقدرة
والصحة

والصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ولو اردت ان تنفی شیئا من ذلك
عن نفسك لم تقدر علیه ثم خلق الحركات فی اعضائك مستبدا باختراعه
من غیر مشاركة له من جهتك معه فی الاختراع الا انه خلقها على ترتیب فلم یخلق
الحركة ما لم یخلق فی العضو قوة وفی القلب ارادة ولم یخلق ارادة ما لم یخلق
علما بالمراد ولم یخلق العلم ما لم یخلق القلب الذی هو محل العلم فتدریجه
فی الخلق شیئا بعد شیء هو الذی خیل الیك انك اوجدت عملك وقد غلطت
فان تحریك البواعث وصرف العوائق وتهیئة الاسباب كلها من الله تعالى
لیس شیء منها الیك فمن العجایب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن
الیه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فی ایثاره ایاك على الفساق
من عباده اذ مكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف
عنهم بواعث الخیر ودواعیه وسلطها علیك حتى تیسر لك الخیر وتیسر
لهم الشر فعل ذلك كله بك وبهم من غیر وسیلة سابقة منك
ولا جریمة سابقة منهم روی ان ایوب على نبینا وعلیه السلام قال الهی ا
ابتلیتنی بهذا البلاء وما ورد علی امر الا اثرت هواك على هوای
فنودی من غمامة بعشرة آلاف صوت یا ایوب انى لك ذلك قال
فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك یا رب فرجع عن نسیانه واضاف
ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله علیكم ورحمته ما زكى
منكم من احد ابدا وقال النبی ص ما منكم من احد ینجیه عمله قالوا ولا انت یا رسول
الله قال ولا انا الا ان یتغمدنی الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع
لمادة العجب من القلوب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه
النعمة عن الاعجاب بها **المقالة الثالثة فی ذم الدنیا والاغترار بها**

غلطت

وفيها خمسة ابواب الباب الاول في معرفة الدنيا والاخرة فنقول
دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك والقريب الداني
منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى اخرة
وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل
الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل
وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم وذلك لان ما يصحبك في الدنيا وتبقى
معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة
في الحقيقة وانما يسمى بالدنيا باعتبار دنوه فان العالم قد يانس بالعلم
حتى يصير ذلك الذ الاشيا عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته
لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا
اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه
من الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذ بها بحيث
لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف
من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول الذي من جملة
العمل الصالح الذي هو من الاخرة التعرض للرزق قال النبي صلى الله عليه وآله
العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال ملعون من القى كله
على الناس وقال امير المؤمنين عليه السلام اوحى الله عز وجل الى داود
انك نعم العبد لولا انك تاكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا
قال فبكى داود اربعين صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي
داود فالان الله له الحديد وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم
فعمل ثلاثمائة وستين درعا فباعها بثلاثمائة وستين الفا واستغنى

عن بيت

عن بيت المال وقال النبي صلى الله عليه وآله الدنيا دنياان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال عليه السلام
من طلب الرزق في الدنيا استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا
على جاره لقي الله عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقال عليه السلام الكاد
على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال عليه السلام في رجل قال لاقعدن في بيتي ولاصلين
ولاصومن ولاعبدن ربي فاما رزقي فسياتيني قال هذا احد الثلاثة الذين
لا يستجاب لهم وقال ان الله ليحب الاغتراب في طلب الرزق وقال له رجل
والله انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال
اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق بها واحج واعتمر فقال ليس
هذا طلب الدنيا هذا طلب الاخرة وقال ليس منا من ترك دنياه لاخرته
ولا اخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم فان اباءنا كانوا
يركضون فيها ويطلبونها وعن علي بن ابي حمزة قال رايت ابا الحسن عليه السلام
يعمل في ارض قد استنقعت قدماه في العرق فقلت جعلت فداك
اين الرجال فقال يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن ابي
فقلت ومن هو فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام واباءي عليهم السلام كلهم كانوا
قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين
فصل اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب
اعني طهارته من ادناس الدنيا والانس بذكر الله وحب الله وصفاء القلب
وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل
الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة
الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات
بعد الموت وهي الباقيات الصالحات وقد ورد في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه

الركض الضرب بالرجل

السعادة ضد الشقاوة

فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من قبل
يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما يوصلان
العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت
الى ان يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون
القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه
عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت
من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع
امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن
له محبوب الا الدنيا وقد غصبت منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق
الحيلة في الرجوع اليه وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا
وقدوم على الله فاذن سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب
هذه الصفات الثلث وهي الفكر والذكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات
الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة
البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج
كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه
العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه
مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء
الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم
الى ما يعرض صاحبه لعذاب الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه
وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير
يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب

فمن

فمن نوقش في الحساب عذب فلذلك قال رسول الله صلعم حلالها حساب
وحرامها عذاب بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات
العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة
لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك
وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات
مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء
لها فما حالك في فوت سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الازمنة
والدهور دون غايتها وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان
حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع راسه على حجر لما نام
ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام
في ملكه كان يطعم الناس من لذايذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل
الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذيذ الاطعمة
مع وجودها اشد ولهذا زوى الله الدنيا عن نبينا صلعم فكان يطوي
اياما ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل
فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة
حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه الفصد والحجامة
شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله
فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا فصل قد ظهر مما ذكرنا
ان الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر
عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا

نبينا وعليه السلام

الطور الجوع صح

لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي
تحصل منها هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب
فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب
وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب
المستهتر ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر
والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة
فهي الاعيان المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله
باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات
والحرف التي الخلق مشغولون بها حتى نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم
ولو عرفوا سبب الحاجة اليها وقصروا عليها لم تستغرقهم اشغال
الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها
وتتابعت الاشغال واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية
محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها وكل ما ورد
في ذم الدنيا يرجع الى هذا

الباب الثاني فيما ورد في ذم الدنيا

اعلم ان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة
لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله
ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء
الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها
حتى

حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها
استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها وعولوا
عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة يتقطع دونها الاكباد
ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
والآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا
وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود بعثة الانبياء
ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها
وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيه ليكون انموذجا لغيره
[illegible] قال خرج النبي ص وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح
خزاين الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزاين الارض يقول
لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان ينقص شيء عندي
فقال رسول الله ص الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له
فقال الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام
من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه ع
قال مر رسول الله ص بجدي اسك ملقى في مزبلة ميتا فقال لاصحابه
كم يساوي هذا فقالوا لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبي ص
والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي على اهله
وعنه ع قال قال رسول الله ان في طلب الدنيا اضرارا بالآخرة
وفي طلب الآخرة اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق
بالاضرار وعنه ع قال قال رسول الله ص ما لي وللدنيا انما مثلي

ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح
وتركها وعنه ع قال كتب امير المؤمنين ع الى بعض اصحابه يعظه
اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى
الا به فان من اتقى الله جل عز وقوي وشبع وروي ورفع عقله
عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الآخرة
فاطفأ بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها
وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له منه
من كسرة يشد بها صلبه وثوب يواري عورته من اغلظ ما يجد
واخشنه ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ورجاء فوقعت ثقته ورجاؤه
على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع
وغارت العينان فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه
وشدة في عقله وما ذخر له في الآخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب
الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك
ولا تقل غدا او بعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني
والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم
الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع
الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال
اعاننا الله واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وقال
امير المؤمنين ع في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها
فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر
فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها

البصرة

بصرته ومن ابصر اليها اعمته وعن ابي جعفر ع قال قال علي بن الحسين عليهما السلام
ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد
منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا
وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الا ان الزاهدين
في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا
وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات
ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا
هانت عليه المصائب الا ان لله عبادا كمن رأى اهل الجنة في الجنة
مخلدين وكمن رأى اهل النار في النار معذبين شرورهم
مأمونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا
اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون
اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون الى ربهم
يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء
كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول
مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم
من ذكر النار وما فيها وعن علي بن الحسين ع انه سئل اي الاعمال
افضل عند الله تع فقال ما من عمل بعد معرفة الله تع ومعرفة رسوله
افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا
فاول ما عصي الله به الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان
من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحوا حين قال الله تع لهما
كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا

ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر
ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابن ادم
حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب
الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع
خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء
بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة والدنيا دنيا ان
دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر ع انه قال لجابر يا جابر من دخل
قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا
وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته
او امراة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا
ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار
والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنين
هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا باذانهم
ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب
الاخرة كما فازوا بذلك العلم الحديث وعن الصادق ع قال اذا اراد
الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها
ومن اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والاخرة وقال ع انه حرام عليكم
ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا وقال اذا تخلى المؤمن
من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند اهل الدنيا
كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا
بغيره وقال ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو

وقال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال قال
رسول الله ص لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من اكل
الدنيا وعنه من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها
لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا
سالما الى دار السلام وعن الكاظم ع قال قال ابوذر رحمه الله
جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما
واتعشى بالاخر وبعد شملتي الصوف اتزر باحدهما واتردى
بالاخرى وعن الرضا ع قال قال عيسى بن مريم للحواريين يا بني
اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا
على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم نسخ وعن النبي ص
لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة ماء وقال ص الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال ص
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ص يا عجبا
كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال ص
الهيكم التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت
فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال ص من اصبح
والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال
هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا ينال
غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ص لتاتينكم بعدي
دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب وقال ع لا تشغلوا
قلوبكم بذكر الدنيا واوحى الله تعالى الى موسى ع لا تركنن الى حب الدنيا

فلو يأتيني بكبيرة هي أشد عليك منها وقال عيسى ع ويل لصاحب الدنيا كيف
يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين
كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل
لمن أصبح والدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بذنبه وقال
لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبع آخرتك
بدنياك فتخسرهما جميعاً وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له
والآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب
منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها
فصل ولنذكر بعض الأمثلة التي وردت في صفة الدنيا قال الله تعالى
إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وقال النبي ص الدنيا حلم
وأهلها عليها مجازون معاقبون وقال ص في قلة ما بقي من الدنيا
بالإضافة إلى ما سبق مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره
فبقي متعلقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع وقال ص
ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع إليه من الأصل وكتب أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى سلمان
بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها
فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها
لما أيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون منها أحذر ما تكون
منها فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته عنه مكروهة
والسلم وكان الحسن بن علي عليهما السلام يتمثل بهذا البيت يا أهل لذات
دنيا

دنيا لا بقاء لها إن اغترار بظل زائل حمق وعن الباقر ع في حديث
جابر رض فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه أو كمال وجدته
في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء قال إني إنما ضربت لك
هذا مثلاً لأنها عند أهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال وعنه ع قال
مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها
لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً وعن الصادق ع مثل الدنيا
مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله
وروي أن عيسى ع على نبينا وعليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة
عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت
لا أحصيهم قال فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك قالت بل كلهم
قتلت فقال عيسى ع بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون
بالماضين كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر
وقال عيسى ع الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقال بعض الحكماء
ما أشبه حال الإنسان واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت
وما بعده من الأهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية
الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل
وفي أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه إليه منتظر سقوطه فاتح
فاه لالتقامه وفي أعلى ذلك البئر جرذان أبيض وأسود لا يزالان
يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ولا يفتران عن قرضه آناً من الآنات
وذلك الشخص مع أنه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل
آناً فآناً قد أقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج

بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بالطعم منهمك فيه ملتذ
بما اصاب منه في صم لتلك الزنابير عليه قد صرف كله باجمعه الى ذلك
غير ملتفت الى فوقه والى تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان
الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للاعمار
والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات
والالام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشبه
انطباق هذا المثال على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة ونعوذ به
من الغفلة والغواية الباب الثالث في ذم حب المال ان فتن
الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف
ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنا
عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد فقد حصل منه الفقر
الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي
لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوايد والافات
وفوايدها من المنجيات وافاتها من المهلكات وتمييز خيره
من شره من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصاير
في الدين من العلماء الراسخين ثم للفاقد حالتان القناعة
والحرص وللحريص حالتان طمع فيما ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات
مع الياس عن الخلق وللواجد حالتان امساك وانفاق
وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف
الغطاء عن الغموض فيها مهم قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة وقال عز وجل لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل

ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال النبي صلعم حب المال
والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال عم ما ذئبان
ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين
الرجل المسلم وقال عم يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك
الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك
من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك فان قلب
المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه
فصل واعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك
خيرا الوصية الاية وقال رسول الله صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح
وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج والانفاق فهو ثناء على المال
اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وتحقيق القول فيه ان المال قد يكون
وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة وهي
المقاصد الصادة عن سعادة الابد وتسد سبيل العلم والعمل فهو
اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم
بالاضافة الى المقصود المذموم ولما كانت الطباع مايلة
الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها
والة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء
من شره حتى قال نبينا عم اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا فلم يطلب
من الدنيا ما لم يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
فصل اعلم ان مثل المال مثل حية فيها سم وترياق ففوايده

ترياقها وغوائلها سمومها فمن عرف غوائلها وفوائدها امكنه ان يحترز
من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية
واما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق
ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فهي ثلاثة انواع الاول
ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في استعانة على عبادة والثاني
ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض
واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب
الرب واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنيا والاشراف
في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه مما يكتسب به العبد الاخوان
والاصدقاء ويكتسب به صفة السخا فانه لا يوصف بالجود الا من يصطنع
المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب
فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام
من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض
فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم
ودفع شرهم وهذا ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة واما الاستخدام
فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة
ولو تولاها بنفسه لضاعت اوقاته وتعذر عليه سبيل الاخرة
بالفكر والذكر اللذين هما اعلى مقامات السالكين النوع الثالث
ما لا يصرفه الانسان الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء
المساجد والقناطير والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق

وغير

وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت
المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية فهذه جملة فوائد
المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل
السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة
الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب
واما الافات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلاثة انواع الاول انه
يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء
وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان
ايسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته اليها فاذا استشعر
القدرة عليه انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة يحرك
داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر
وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم
من فتنة الضراء الثاني ان يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول
الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب
الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام
في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير
التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض
واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال
فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق
وسائر الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر
ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد

ان يتا فقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان يسلم من الافة الاولى
وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق
يثور العداوة والصداقة ويتبنى عليه الحسد والحقد والريا والكبر
والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان
ولا يخرج عن التعدي ايضا الى ساير الجوارح وكل ذلك يلزمه
من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث وهو الذي
لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تع وكل ما
يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى ع في المال
ثلث افات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله
قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله صلاحه
عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها
ذكر الله تع والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة
يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته وخصومة
الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان
في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة
يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل
وتضييعه المال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف
الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنون تحت الارض
ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف
ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار
اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه او سنته

في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال
من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وحفظ الاموال
وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه
سموم وافات فصل اعلم ان الفقر محمود ولكن ينبغي ان يكون الفقير
قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا
على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الكفاف
ويقصر الامل فان تشوق الى الكثير وطول الامل فاته عز القناعة وتدنس
لا محالة بالطمع وذل الحرص وقوة القناعة وجرة الحرص والطمع الى مساوي
الاخلاق وارتكاب المنكرات التي رقة للمروات وقد جبل الادمي
على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلعم لو كان لابن ادم
واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم
الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلعم منهومان لا يشبعان
منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلعم يشيب ابن ادم ويشب فيه
خصلتان الحرص وطول الامل ولما كانت هذه جبلة للادمي مضلة
وغريزة مهلكة اثنى الله تع ورسوله على القناعة وقال طوبى
لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلعم ما من احد
ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال يا معشر
الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا
وقال ليس الغنى غنى كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال صلعم
ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال امير المومنين ع

ابن ادم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما فيها يكفيك
وان كنت تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك وقال الباقر ع
اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبيه ولا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش
رسول الله فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف
اذا وجده وقال الصادق ع ان الله يقول لحزن عبدي المؤمن ان قترت
عليه وذلك اقرب له مني ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه
وذلك ابعد له مني وقال ع كلما ازداد العبد ايمانا ازداد
ضيقا في معيشته وقال في مناجات موسى يا موسى اذا رايت الفقر
مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا
فقل ذنب عجلت عقوبته فصل لا بد لصاحب المال ان يحافظ
على امور الاول ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه
لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته والثاني ان يراعي
جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام ويجتنب
المكروه القادحة في المروة والثالث ان يراعي جهة الخروج
ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وفي الحديث النبوي
ما عال من اقتصد والرابع ان يضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه
في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء
والخامس ان يصحح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك
فيه

فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له
واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال قال امير المؤمنين ع لو ان رجلا اخذ
جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله
فليس بزاهد ان قيل ايهما افضل الغنى بنية الاستعانة على العبادة
ام الفقر بنية التفرغ لها قلنا الافضل منهما ما لا يشغل العبد عن الله
فان كان الفقر يشغله عن الله فالغنى اولى به وان كان الغنى يشغله
عن الله فالفقر اولى به وذلك لان فضل الفقر والغنى بحسب عدم تعلق
القلب بالمال وفقده فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا
مزلة الاقدام وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب
عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به
اذا فقده فيجرب نفسه وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء
واذا كان ذلك محالا او بعيدا فنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة
الخلق وافضل لان علاقة الفقير بالدنيا وانسه اضعف غالبا وبقدر
ضعف علاقته تتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات
اللسان والابدان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس
بالمذكور ولا يكون تأثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور
كتأثيرها في قلب مشغول [illegible] وفي فضل الفقراء على الاغنياء
على الاطلاق ما ورد ثم ليس معنى الفقر ان لا يملك شيئا البتة قال
الصادق ع في كلام له مع الصوفية ثم علم الله نبيه كيف ينفق وذلك انه
كانت عنده اوقية من الذهب فكره ان يبيت عنده فتصدق
بها فاصبح وليس عنده شيء وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه

فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيما رفيقا فادب الله عز وجل نبيه بامره فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول ان الناس قد يسئلونك ولا يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد خسرت من المال قال ثم من علمتم بعده في فضله وزهده سلمان رضي الله عنه وابو ذر رضي الله عنه فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه من قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا وانت لا تدري لعلك تموت اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها اطمأنت واما ابو ذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف او راى باهل الماء الذين معه خصاصة نحر لهم الجزور او من الشاة على قدر ما يذهب عنهم قرم اللحم فيقسمه بينهم وياخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا لا يملكان شيئا البتة كما تامرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على انفسهم وعيالاتهم واعلموا اني سمعت ابي يروي عن آبائه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن انه ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيرا له وكل ما يصنع الله فهو خير له **فصل** قد ظهر مما ذكرنا ان الخلاص

من تبعة

من تبعة الدنيا وغوائلها الا بالزهد فيها وهو ان لا يريد بقلبه الا بقدر ضرورة بدنه وهو مقام عال قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال عز وجل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه تلقى الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا والزهد ثلث درجات السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الاخرة وهذا زهد الخائفين والثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم الجنة وهذا زهد الراجين والثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه وهذا زهد العارفين والزهد باعتبار احكامه ينقسم الى فرض ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الزهد مفتاح باب الاخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تاسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض لها

بل ترى فوتها راحة وكونها افة وتكون ابدا ... من الافة
معتصما بالراحة والزاهد الذي يختار الاخرة على الدنيا والذل
على العزة والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الاجل على محبة
العاجل والذكر على الغفلة ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الاخرة
وسئل ع عن الزهد في الدنيا فقال الذي يترك حلالها مخافة
حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه وقال ليس الزهد في الدنيا
باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزاهد في الدنيا ان لا تكون
بما في يدك اوثق منك بما عند الله وقال امير المؤمنين ع الزهد
في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل
وقال الزهد كله بين كلمتين من القران قال الله سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتيكم ومن لم ياس على الماضي ولم يفرح بالاتي فقد اخذ
الزهد بطرفيه ولعمري انه تمام في معناه فصل اعلم ان من ثمرة الزهد السخاء
ومن ثمرة الرغبة في الدنيا البخل فالمال ان كان مفقودا ينبغي ان يكون
حال العبد القناعة وان كان موجودا ينبغي ان يكون حاله السخاء
واصطناع المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول
النجاة وعنه عبر النبي ص حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها
متدلية على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة
وقال جبرئيل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه
الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال ما جبل الله
اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وقال ان من موجبات المغفرة
بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال تجافوا عن ذنب السخي

فان الله

فان الله اخذ بيده كلما عثر اقاله وقال طعام الجواد دواء وطعام البخيل
داء وقال ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة
بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة
قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوا الداء
البخل وارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة
اليه قال الله تعالى في معرض الثناء ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة وقال النبي ص ايما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه
غفر له وينبغي للفقير ان لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك
جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى قال
النبي ص درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل
وكيف ذلك يا رسول الله ص قال اخرج رجل من عرض ماله مائة
الف يتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك
غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب
مائة الف واعلم ان الامساك حيث يجب البذل بخل والبذل
حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود
وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله
الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقال تع والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف
وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب
ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع

فيه بل ينبغي ان لا يكون للقلب علقة مع المال الا من حيث يراد
المال له وهو صرفه الى ما يجب اليه صرفه شرعا او مروة وعادة
وواجب المروة والعادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح
من الغني المضايقة بما لا يستقبح من الفقير ومع الاهل والاقارب
ما لا يستقبح مع الاجانب ومع الجار ما لا يستقبح مع البعيد
وفي الضيافة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة الى غير ذلك
وبالجملة حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم
من حفظ المال في مقابلة السخي والجود الباب الرابع
في ذم حب الجاه اعلم ان الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار
وهو آفة عظيمة وحبه مذموم بل المحمود هو الخمول الا من شهره الله
لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه قال الله تعالى تلك
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا وقال النبي صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق
في القلب كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا
في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم
وانما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء وعنه حسب امرئ
من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه
ودنياه وعن امير المؤمنين ع تبذل لا تشهر ولا ترفع شخصك
لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار
وقال لقمان اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله
ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال عليه السلام
ملعون

ملعون من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه
وعن النبي ص رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال
اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وعنه ص
ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا
لم يفتقدوا [illegible] واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون
من كل غبراء مظلمة واعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال
ملك الاعيان المنتفع بها في التوصل الى الاغراض والمقاصد وقضاء
الشهوات ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها للتوصل
باستعمال اربابها في الاغراض والمقاصد وكما انه يكتسب الاموال
بانواع من الحرف والصناعات فكذلك تكتسب القلوب بانواع من المعاملات
ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد
القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة
اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون
الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده
وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا
بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب
تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال
يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق
الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي
يطلبه صاحب الجاه اعظم لان مالك العبد يملكه قهرا والعبد متأب
بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا

وينبغي ان لايكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية
والطاعة له فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر
اذعان القلب يكون قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون
فرحه وحبه للجاه وللجاه ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال
لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة
فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده وكالايثار
وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر
في المحافل والتقديم في جميع المقاصد ولملك القلوب ترجيح
على ملك المال من وجوه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر
من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب
لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة
للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي
لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله
واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال معرض
للتوى والتلف لانه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة
ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب
اذا ملكت لم يتعرض لهذه الآفات فان ذا الجاه في امن وامان
من الغصب والسرقة فيها نعم تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال
وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون
دفعه والثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة
الى تعب ومقاساة لان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت
كماله

كماله بعلم او عمل او غيرهما افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فتصف ما يعتقده
لغيره واستطار في الاقطار فاقتنصت القلوب ودعتها الى الاذعان
والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين
واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه
الا بتعب ومقاساة واما حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار
الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات وحب اتساع الجاه
وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطأها
ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليعينوه على غرض من اغراضه فله
سببان احدهما جلي والاخر خفي يدق عن افهام الاذكياء فضلا
عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة
مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه الا الغواصون اما الجلي
فهو دفع الم الخوف فان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان
مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه
كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف
من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع
اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه
للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق
الآفات الى المال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع
الخوف وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى
بالاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال
فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك

وورد منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وشدة العلقة
يطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه
وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب ازعجه عن الوطن او ازعج اولئك
عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم واما السبب الخفي
وهو الاقوى ان الروح امر رباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى
الربوبية التوحد بالكمال والعبودية قهر على النفس ولكن لما عجزت
النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي
محبة للكمال مشتهية له ملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال
فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي
هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته فصار الاستيلاء
على الاموال والقلوب محبوبا بالطبع وان كان لا يحتاج اليها
في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد والاماء
واستعباد الاشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة **فصل** اعلم ان الكمال
الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس
بعد الموت ليس الا العلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت
السماء والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به ثم الحرية
اعني الخلاص عن اسر الشهوات وهموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر
تشبها بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب
واما ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب وتفسير
القرآن والفقه والاخبار ومعرفة طريق النفس لقبول الهداية
الى معرفة الله تعالى كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقال والذين
جاهدوا

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه وسيلة الى معرفة الله
والى تحصيل الحرية فمما لا بد منه بالعرض واما القدرة فليس فيها
كمال حقيقي للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية بيد الله
وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي
حادثة باحداث الله كما حقق في موضعه نعم له كمال من جهة القدرة
بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة
يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة
للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى
الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك القدر
معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا
من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ولا طريق للعبد
الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت اذ قدرته على اعيان
الاموال وعلى تسخير القلوب والابدان تنقطع بالموت ومن ظن
ذلك كمالا فقد جهل فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون
ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة
الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال كمال فلما اعتقدوا الكمال
ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا
الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم
والحرية وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية

اى الباقيات الصالحات التى تبقى ثمارها للنفس والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب
وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما تذروه رياح الموت فهو
زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات
فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمى لا اصل له
وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة
منهما الى الكمال الحقيقى فصل اعلم انه كما لا بد من ادنى مال لضرورة
المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان
كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذى
يباع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه
وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له فى قلب
خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وكذلك حبه لان يكون
له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن مرافقته ومعاونته وكذا حبه لان يكون
له فى قلب استاده من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به
وكذا حبه لان يكون له من المحل فى قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر
عنه فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق
فى هذا يفضى الى ان لا يكون المال والجاه فى اعيانهما محبوبين بل ينزل
ذلك منزلة حب الانسان ان يكون فى داره بيت ماء لانه يضطر
اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء
الا انه لا يوصف محبهما بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة
معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور

وما لم

وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه بالعبادة
جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور فاما الطلب
باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا يزول به منزلته
فهو مباح ايضا لان حفظ الستر على القبائح جائز بل لا يجوز هتك الستر
واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة
فى العلم به كالذى يخفى عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقى اليه انه
ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب
اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب فصل واما حب المدح
والثناء فله اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فان النفس
مهما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر
نفس الممدوح بكمالها وتعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء
من بصير وخبير لا يجازف فى القول وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه
لانه يشعر بنقصان فى نفسه والسبب الثانى ان المدح يدل على ان قلب
المادح ملك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته
وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة
مهما صدر ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر
وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب والسبب الثالث ان ثناء
المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما
اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء
يقع على الملأ والسبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح
واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع

واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه الاسباب
قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال
بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه فان كان يعلم ان المادح ليس
يعتقد بالقول بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة
الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء **فصل**
اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق
مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا
الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك
لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات
للتوصل بها الى اقتناص القلوب لذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال
انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر
للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر
الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك
عين النفاق وعلاجه العلمي ان يعلم ان السبب الذي لاجله احب الجاه
وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم ان صفى وسلم
فآخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من
على وجه الارض والى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له
ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين له
فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع
لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه
الا

الا ان ذلك انما يصغر في عين من نظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة
ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة
لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا
والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة الى غيرها
من الآيات فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم
بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب
الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف على الدوام
على جاهه ومحترز ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا
من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى
على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال
بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء
اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل وكل ذلك غموم
عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا
عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما
من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج
من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق
بالانس بالخمول والقناعة بالقبول من الخالق والاعتزال عن الناس
والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور
لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه
ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها ظفرت
بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه ونسبوه الى امر

غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك
واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم
الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة
ولا يمكنه ان يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس
ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس
واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته بالقلوب
عنده وزن وليستعن على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم
الجاه ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او علة او قلة
الى غير ذلك وحب المدح كحب الجاه حرمة واباحة ونفعا وضرا
وعلاجه علاج حب الجاه وعلمه بان الصفة الممدوح بها ان فقدت
فاستهزاء وان وجدت فان دنيوية فكمال وهمي والدينية موقوفة
على الخاتمة وعلاج كراهة الذم العلم بان الصفة المذمومة بها
ان وجدت فتبصير للعيوب وفيه الفرح والشغل بالازالة وان فقدت
فكفارة للذنوب وفيه الشكر لله تعالى والترحم عليه حيث اهلك نفسه
كما قال النبي صلعم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ثم ان كسر وارتاب عينيه
والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهو شخص عدوه نفسه فينبغي
ان يفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاه
لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة
عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة
الجاه واذ سيقت اليه حسنات لم يتعب فيها نفسه ويكون جبرا
لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد نفسه طول عمره فهذه الخصلة

الواحدة وهي يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه يتفرغ
معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات
ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل الباب
الخامس في ذم الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه
الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل
او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور قال الله تعالى لا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال عز وجل ولكنكم فتنتم
انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم
بالله الغرور وقال النبي صلعم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف
يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم والمثقال ذرة من صاحب تقوى
ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال النبي الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه
وتمنى على الله الاماني ولنمثل للغرور مثالا للايضاح اما الغرور بالحيوة
الدنيا فمثاله ما قال بعض الكفار والعصاة النقد خير من النسيئة والدنيا
نقد والآخرة نسيئة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين
خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا يترك
اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة
بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان
بان يصدق قول الله في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقوله

والآخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور واما بالبرهان
بان يعرفوا فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلوبهم الشيطان فان فيه
اصلين احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر
ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان
النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منها
فالنسيئة خير فان هذا المغرور يبذل فى تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة
ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه
ولذائذ الاطعمة تركها فى الحال خوفا من الم المرض فى المستقبل
وقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون
فى الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى
الحال خيرا من واحد فى الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها
الى مدة الآخرة واما قولهم ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والآخرة
شك فهو اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين
خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر فى سعيه على يقين وفى ربحه على شك
والمتفقه فى اجتهاده على يقين وفى ادراكه رتبة العلم على شك والمريض
من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك والصياد فى تردده
فى المقتنص على يقين وفى اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذلك
الحزم داب العقلاء فمن شك فى الآخرة فيجب عليه بحكم الحزم ان يقول
الصبر ايام قلايل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة
فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتنى الا التنعم ايام حيوتى وان كان
صدقا فابقى فى النار ابد الآباد وهذا لا يطاق واما الاصل الثانى

وهو

وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه
مدركان احدهما الايمان والتصديق للانبياء والعلماء والثانى الوحى
والالهام للانبياء والاولياء اذ كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليها
وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهدون انتم المحسوسات بالبصر الظاهر
فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد واما الغرور بالله فمثاله
قول بعضهم فى انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله معاد فنحن احق به
من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله من قول الرجلين
المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى
لاجدن خيرا منها منقلبا وهذا قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم
ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة
وينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال الله
ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ومرة ينظرون الى المؤمنين
وهم فقراء شعث فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون أهؤلاء من الله
عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقياسهم انه قد احسن
الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن فى المستقبل
ايضا والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه
فى الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ يظن انه كريم عنده بدليل لا يدل
على الكرامة بل عند ذوى البصاير يدل على الهوان فان نعيم الدنيا
ولذاتها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله يحمى عبده الدنيا
وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما ورد فى الخبر
وهذا المغرور عاجز عن معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة

واما بالتقليد قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه
لا يامن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون
والى ملوك الارض وكيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون

فصل اعلم ان فرق المغترين كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم
من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المسجد ويزخرفه من المال الحرام
ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي
غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره كالذي
يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر
كالذي تكون همته في الصلوة مقصورة على الوسواس في النية او تصحيح
مخارج الحروف حتى تفوته الجماعة وتخرج الصلوة عن الوقت ثم لا يحضر
قلبه في صلوته ويزعم انه اذا اتعب نفسه في تصحيح النية او الحروف
تميز عن العامة بهذا الجهد ومنهم من اغتر بقراءة القرآن فيهذه
هذا وربما يختم في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري به وقلبه متردد
في اودية الاماني ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الدهر ولا يحفظ
لسانه عن الغيبة ولا بطنه من الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه
الخير ومنهم من اغتر بالحج فيخرج الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء
الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب

والبدن

والبدن ويتعرض لمكس الظلمة وذلك بعد سقوط حجة الاسلام عنه ومنهم
من يتقلد امامة مسجد او اذانه ويظن انه على خير ولو ام غيره او اذن
في وقت غيبته قامت عليه القيمة ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من
يامر بالخير وينسى نفسه فان امر بمعروف وطلب الرياسة واذا رد عليه
او باشر منكرا غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وانما غرضه
الرياسة ومنهم من احكم العلوم الشرعية وتعمق فيها واشتغل بها
واهمل تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات
او اهمل تفقد قلبه ليمحو عنه الصفات المذمومة والاخلاق الردية
واغتر بعلمه وظن انه عند الله بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا
لا يعذب الله مثله بل يقبل في الخلق شفاعته وانه لا يطالبه بذنوبه
لكرامته على الله ومنهم من يعجب بنفسه ويظن انه منفك عن الاخلاق
المذمومة وانه ارفع عند الله من ان يبتليه بها وانما يبتلى بها العوام
ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال
ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة
دين الله وارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد
في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك
حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه
ثم لو طعن في غيره من اهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الاول بل ربما
يفرح به واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم
والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله
ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به

فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان وربما يذكر هذا فلا تخليه
الشيطان ايضا بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر
لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع
على سريرته ومنهم من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين
واعتقد انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم
جدلهم وما يسمونه ادلة عقائدهم وظن انه لا احد اعرف بالله وصفاته
منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعا كل فرقة منهم
الى نفسه وفي الحديث النبوي ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل
وحرموا العمل ومنهم من اشتغل بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر
ونظائره ويظن بنفسه انه اذا تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق اليها صار
موصوفا بها وهو منفك عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه
عوام المسلمين والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها
بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق ومنهم من ظن ان حكم العبد
بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق
واساءوا تاويل الالفاظ واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها
وذلك مثل فتويهم بان المراة مهما ابرات الزوج من الصداق برئ
الزوج بينه وبين الله وذلك خطا بل الزوج قد يسيئ الى الزوجة بحيث
يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص
منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد
مالا

مالا تطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن يكره بنفسه
فاما طيبة النفس ان تسمح بالابراء لا عن ضرورة تقابله وكذلك لو طلب
من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان
يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة الناس
والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب
الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وكذلك
من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه فصل ومن المغترين
قوم تسموا باهل الذكر والتصوف يدعون البراءة من التصنع والتكلف
يلبسون خرقا ويجلسون حلقا يخترعون الاذكار ويتغنون بالاشعار
يعنون بالتهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ابتدعوا شهيقا
ونهيقا واخترعوا رقصا وتصفيقا قد خاضوا الفتن واخذوا
بالبدع دون السنن رفعوا اصواتهم بالنداء وصاحوا الصيحة الشنعاء
ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاوزة المقام المحمود
والملازمة في عين الشهود ولا يعرف من هذه الامور الا الاسامي
ولكنه تلقف من الطامات كلمات يرددها الذي الاغنياء كانه
يتكلم عن الوحي ويخبر عن السماء ينظر الى اصناف العباد والعلماء
بعين الازدراء يقول في العباد انهم اجراء متعبون وفي العلماء انهم
بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه
نبي مقرب لا علما احكم ولا عملا هذب ياتي اليه الرعاع الهمج
من كل فج اكثر من اتيانهم مكة للحج يزدحم عليه الجمع ويلقون اليه
السمع وربما يخرون له سجدا كانهم اتخذوه معبودا يقبلون

يديه ويتهافتون على قدنيه بإذن لهم في الشهوات ورخص لهم في الشبهات
يأكل ويأكلون كما تأكل الانعام ولا يبالون من حلال اصابوا ام من حرام
وهو يحلوا أنهم هاضم ولدنيه وادنانهم حاطم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون فصل
واما ارباب الاموال ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس
والرباط والقناطير وما يظهر للناس كافة باموال كسبوها من غير حلها
ويكتبون اسمائهم بالاحجار عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت
اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وانهم مخلصون
فيه ولو كلف احد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع
الذي انفق عليه لشق عليه ولم يسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب
اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد وجه الناس لا وجه الله لما افتقر
الى ذلك وربما يكون في جوار احدهم او في بلده فقير وصرف المال
اليه اهم من الصرف الى المساجد وزينتها ومنهم من ينفق الاموال
في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلب به المحافل الجامعة
والفقراء الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ويكره التصدق
في السر ويرى اخفاء الفقير لما اخذ منه جناية عليه وكفرانا ومنهم
من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي
لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن
وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح نفسه الا باداء الزكوة فقط
ثم يخرجها الى المال الخبيث الذي رغب عنه ويطلب من الفقراء من
يخدمه ويتردد في حاجاته ويظن انه ادى الله واصناف الغرور
لا تحصى

لا تحصى وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة
مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما
اغتررت بمالك وصحة جسمك ان لعلك تبقى وربما اغتررت
بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت
بجمالك ومنيتك واصابتك مأمولك وهواك وظننت انك
صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك
في العبادة ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت
نفسك على العبادة متكلفا والله يريد الاخلاص وربما افتخرت
بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت
انك تدعو الله وانت تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق
وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك وربما ذممت نفسك
وانت تمدحها في الحقيقة واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور
والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب
احوالك من حيث لا توافق العقل والعلم ولا تحتمله الدين والشريعة
وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه
فما احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة

المقالة الرابعة في مكارم الاخلاق وتحصيلها وفيها ستة ابواب

الباب الاول في الصبر

وهو ثبات باعث الدين في مقابلة
باعث الهوى في فعل الشاق كالعبادة والمكروه كالمصيبة بصبر مطلق
وضده الجزع والهلع وهو الاسترسال في رفع الصوت وضرب
الخدود وشق الجيوب وعن شهوة البطن والفرج عفة وضده الشره

البطر
وفي الغنى ضبط النفس وضده البطر وفي الحرب شجاعة وضده الجبن
وفي كظم الغيظ حلم وضده الغضب وفي النوائب سعة الصدر وضده
ضيق الصدر والضجر والتبرم وفي اخفاء الامر كتمان وضده الاذاعة
وفي فضول العيش زهد وضده الحرص ومدد باعث الدين
من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الهوى من الشياطين
الناصرين لاعداء الله فان ثبت باعث الدين بامداد الملائكة
حتى قهر باعث الهوى واستمر على مخالفته التحق بالصابرين وان تخاذل
وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه التحق باتباع الشياطين
وهذا الثبات انما يكون بقوة المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين
بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الله وقد وصف الله سبحانه
الصابرين باوصاف وكرر ذكر الصبر في القران واضاف اكثر الخيرات
والدرجات اليه وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها
بتقدير وحساب الا الصبر ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا
ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم
فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

واستقصاء

واستقصاء الايات في مقام الصبر يطول وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال
من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته
من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل عن الايمان
فقال الصبر والسماحة وقال الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد
ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال امير المؤمنين ع
بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال
الباقر ع من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز وقال الجنة محفوفة بالمكاره
والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة باللذات
والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار وقال الصادق ع
من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل اجر الف شهيد
وقال ان الله تع انعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا
وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة والاخبار في فضيلة
الصبر اكثر من ان تحصى فصل اعلم ان ما يلقى العبد في هذه الحيوة
لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والاخر ما يكرهه وهو محتاج
الى الصبر في كل واحد منهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر
اما ما يوافق هواه كالصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة
واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا
فالصبر عليها اشد لانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون
اليها والانهماك في ملاذها المباحة لها اخرجه ذلك الى البطر
والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى قال بعض العارفين
البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق وذلك

لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والجايع عند غيبة
الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة
وقدر عليها واما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو اما ان يرتبط
باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط كالمصايب والنوايب
او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي
من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام الاول ما يرتبط
باختياره وهو ساير افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية
اما الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية
وتشتهي الربوبية كما سبق بيانه ثم من العبادات ما يكره بسبب
الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره
بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدايد
ويحتاج المطيع الى الصبر عليها في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة
وذلك في تصحيح النية والاخلاص عن شوايب الريا ودواعي الافات والثانية
حالة العمل كيلا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه
وسننه ويدوم على ذلك الى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل
اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والريا وعن النظر
اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اجره واما المعاصي فاشد انواع
الصبر عنها الصبر عما كان مألوفا بالعادة فان العادة طبيعة ثانية
فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله
فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله
كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب
والمراء

والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا الى غير ذلك والميسر من حركة اللسان حركة
الخواطر باختلاج الوساوس الا ان يغلب على القلب هم اخر في الدين يستغرقه
لكن اصبح وهمومه هم واحد واكثر جولان الخواطر انما يكون في فايت لا يتدارك
او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر وكيف ما كان فهو تضييع
زمان والة العبد قلبه فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به
انسا بالله او فكر يستفيد به معرفة بالله ويستفيد بالمعرفة محبة لله فهو
مغبون القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه
كما لو اوذي بفعل او قول او جني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك
بترك المكافاة قال الله تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال تعالى
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال النبي صلعم
صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك القسم الثالث
ما لا يدخل تحت الاختيار اوله واخره كالمصايب مثل موت الاعزة
وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض ونحو ذلك وهذا الصبر مستنده
اليقين قال النبي صلعم اسئلك من اليقين ما يهون علي مصايب الدنيا
وقال ما من عبد مؤمن اصيب بمصيبة فقال كما امره الله انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك
وقال قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبدي مصيبة في بدنه او ماله
او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له
ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلعم الصبر ثلثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة

وصبر على المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له
ثلثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر
على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم
الارض الى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة
الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش وعن الباقر ع الصبر صبران
صبر على البلاء حسن جميل وافضل الصبرين الورع عن محارم الله فصل
ان قلت فيما ذا ينال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره
فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهة
المصيبة فذلك غير داخل تحت الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام
الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى
واظهار الكابة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم ونحوها
وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر
الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان
وديعة فاسترجعت ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان
العين بالدمع فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان
الى الموت ولذلك لما مات ابرهيم ولد النبي ص فاضت عيناه
فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله
من عباده الرحماء وقال ايضا العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول
ما يسخط الرب بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فان المقدم
على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة نعم كمال الصبر
كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب

والاوجاع

٧٤

والاوجاع والصدقة وعن الباقر ع قال قال رسول الله ص قال الله تعالى
من مرض ثلثا فلم يشك الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
فان عافيته عافيته ولا ذنب له وان قبضته قبضته الى رحمتي وفي معناه
اخبار اخر وفي بعضها فسر التبديل بخير بان يبدله لحما ودما وبشرة
لم يذنب فيها وفسر الشكاية بان يقول ابتليت بما لم يبتل به احد
واصابني ما لم يصب احدا قال وليس الشكوى ان يقول سهرت البارحة
وحممت اليوم ونحو هذا وعن الصادق ع من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها
وادى الى الله شكرها كانت كعبادة ستين سنة سئل ما قبولها
قال الصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا اصبح حمد الله على ما كان
وسئل عن الباقر ع عن الصبر الجميل فقال ذلك صبر ليس فيه شكوى
الى الناس وعن النبي ص من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعك ولا تذكر مصيبتك واما الشكاية الى الله تعالى وسؤاله
رفع محنته فقد قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله فصل
الطريق الى تحصيل الصبر تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الهوى
بالمجاهدة والرياضة وذكر قلة قدر الشدة ووقتها واضرار الجزع
وقبحه وان يكثر فكرته فيما ورد في فضل الصبر وحسن عواقبه في الدنيا والاخرة
وان يعلم ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك
مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة الدنيا
وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس
فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وان يعود هذا الباعث
مصارعة باعث الهوى تدريجا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها

اصل البث اثارة الشيء وتفرقه وقوله عز وجل انما اشكو بثي ... ربي عمى الذي ... فهو مصدر في تقدير مفعول ... والمعنى ... فيكون في معنى ... رع

الخسيس

ويقوي منته في مصابرتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد ثم ان كان ذلك بتعب قوي فهو صبر وان كان بيسير فهو صبر وان كان ذا جهد فزهد وان كان بتلذذ فشكر وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى وعدم التمييز بين الالم واللذة

الباب الثاني في الرضا والشكر اما الرضا فهو ترك الاعتراض والتسخط قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر اخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد عليه السلام الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما احب او كره لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له وعن الباقر عليه السلام احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن رضي بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله اجره ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وعن الصادق عليه السلام ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وعنه عليه السلام ان فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن واني انما ابتليه لما هو خير له وازوي عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي واطاع امري وعن الكاظم عليه السلام ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه

75

وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المآل رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال سبحانه من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سوائي والطريق الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه له فهو الاصلح له وان لم يبلغ علمه بسره ولا مدخل للهم فيه ولا يتبدل القضاء به فان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن وحسرة الماضي وتدبير الاتي يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة وتبقى تبعة السخط عليه بل ينبغي ان يدهشه الحب عن الاحساس بالالم كالعاشق والحريص وان يهون عليه العلم بجزالة الثواب الشدة كالمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر وليفوض امره الى الله ان الله بصير بالعباد قال الصادق عليه السلام لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لشيء مضى لو كان غيره

فصل اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها فاذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتوجع به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه

ويقوى منّة في م … الاعمال الشاقة
تؤكد القوة … الهوى
غلبها جهها … ل ميسير فصبر
وان كان … مه عن حظوظ
النفس وا … البا
الثاني في ا … خطا قال
الله تعـ رضي الله عنهم … ل طائفة من اصحابه
ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر
عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر
اخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد ع
الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى
عليه فيما احب او كره لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له
وعن الباقر ع احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن
رضي بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله اجره ومن سخط القضاء
مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وعن الصادق ع ان اعلم الناس بالله
ارضاهم بقضاء الله وعنه ع ان فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران
يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن واني
انما ابتليه لما هو خير له وازوي عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح
عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه
في الصديقين عندي اذا عمل برضائي واطاع امري وعن الكاظم ع
ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه
فائده

وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المآل
رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال سبحانه من لم يرض بقضائي ولم يصبر
على بلائي فليطلب ربا سوائي والطريق الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله
سبحانه له فهو الاصلح بحاله وان لم يبلغ علمه بسره ولا مدخل للهم فيه
ولا يتبدل القضاء به فان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن وحسرة
الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة ويبقى تبعة
السخط عليه بل ينبغي ان يدهشه الحب عن الاحساس بالالم كالعاشق
والحريص وان يهون عليه العلم بجزالة الثواب الشدة كالمريض
والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر وفيه … امره الى الله ان الله
بصير بالعباد قال الصادق ع لم يكن رسول الله ص يقول لشيء مضى لو كان غيره
فصل اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر
فاما الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت
تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا
بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس
بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المها
ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة
وهو لا يحس بها فاذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو
في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه
وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به
لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه
او بحبه قد يصيبه ما كان يتوجع به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه

...تار والممارسة للاعمال الشاقة
...ومن عود نفسه مخالفة الهوى
...دى فتصبر وان كان بمسير فصبر
...شكر وهو بالغيبة عن حظوظ
...بين الالم واللذة الب
...الاعتراض والسخط قال



...عن النبي صلى انه سئل طائفة من اصحابه
ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر
عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر
اخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد ع
الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى
عليه فيما احب او كره لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له
وعن الباقر ع احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن
رضي بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله اجره ومن سخط القضاء
مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وعن الصادق ع ان اعلم الناس بالله
ارضاهم بقضاء الله وعنه ع ان فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران
يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن واني
انما ابتليه لما هو خير له وازوي عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح
عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه
في الصديقين عندي اذا عمل برضائي واطاع امري وعن الكاظم ع
ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه

فائده

وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المآل
رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال سبحانه من لم يرض بقضائي ولم يصبر
على بلائي فليطلب ربا سوائي والطريق الى تحصيله ان يعلم ان ما قضى الله
سبحانه له فهو اصلح بحاله وان لم يبلغ علمه بسره ولا مدخل للهم فيه
ولا يتبدل القضاء به فان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن والحسرة
الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة وتبقى تبعة
السخط عليه بل ينبغي ان يدهشه الحب عن الاحساس بالالم كالعاشق
والحريص وان يهون عليه العلم بجزالة الثواب الشدة كالمريض
والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر وفوض امره الى الله ان الله
بصير بالعباد قال الصادق ع لم يكن رسول الله ص يقول لشيء مضى لو كان غيره

فصل اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر
فاما الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت
تصور الحب لله واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا
بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس
بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك الالم
ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد يصيبه جراحة
وهو لا يحس بها فاذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو
في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه
وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به
لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه
او بحبه قد يصيبه ما كان يتوجع به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه

والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه

وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وإن كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألمه إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد منه المنة فهذه حالة الرضا بما يجري عليه من الألم ومهما أصابته بلية من الله عز وجل وكان له يقين بأن الثواب الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم وقد روينا أن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك وروي أن عيسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أي شيء من البلاء تراه مصروفا عنك فقال يا روح الله أنا

[illegible margin notes]

أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه

فصل اعلم أن الدعاء غير مناقض للرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها وأسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين وزعموا أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت أدعية الأنبياء والأئمة عليهم السلام وكانوا في أعلى مقامات الرضا وقد أثنى الله عز وجل على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوني أستجب لكم وأما إنكار المعاصي وكراهتها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم على الرضا بها فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكأنه قد فعله وفي الحديث لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكه في قتله وأما بغض الكفار والفجار ومقتهم والإنكار عليهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى وقد ورد أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله فإن قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل إلى الجمع بينهما وهو متناقض على هذا الوجه وكيف الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم أن هذا مما يلتبس

عن المنكر

[illegible margin note]

عز وجل

على الضعفاء القاصرين على الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم
حتى راوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه
حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة متضادان اذا تواردا
على شئ واحد على وجه واحد وليس من التضاد في شئ واحد ان يكره
من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو عدو
بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات
عدو عدوك وترضى من حيث انه مات عدوك وكذلك
المعصية لها وجهان وجه الى الله عز وجل من حيث انه فعله واختياره
وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا
بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه
ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد
والمقت فهي من هذا الوجه منكر ومذموم وليشهد لذلك ان كل ما يكره
من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فواجب على كل عبد
محب لله عز وجل ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته
وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته موافقة
للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بالعاده
فبهذا الجمع بين ما ورد في الحب في الله مع الرضا بقضاء الله وهذا
يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر
والخير داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير
مراد مرضي به وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت
عنه والتادب بادب الشرع فقد ظهر الغرض من حاجة الى كشف السر فيه

والبغض في الله

فصل واما

٧٧

فصل واما الشكر فهو عرفان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب
الفرح باضمار الخير والحمد لله واستعمال النعمة في طاعته اما المعرفة
فبان تعرف ان النعم كلها من الله وانه هو المنعم والوسائط مسخرون
من جهته وان الذي انعم عليك هو الذي سخرهم لك والقى في قلوبهم
من الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين الى الايصال
اليك فمن عرف ذلك كانت معرفته شكرا لله وهذا هو الشكر بالقلب
واما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو ايضا في نفسه
شكر على حده كما ان المعرفة شكر فان كان فرحك بالمنعم خاصة
لا بالنعمة ولا بالانعام ومن حيث انه تقدر بها على التوصل الى القرب
منه والنزول في جواره فهو الرتبة العليا في الشكر واما رتبة ان لا تفرح
بالدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينة عليها وتحزن بكل نعمة
تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله وهذا ايضا شكر بالقلب
واما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو القيام بما هو
مقصود المنعم ومحبوبه يتعلق بالقلب واللسان والجوارح اما بالقلب
فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر
لله بالتحميد الدال عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته
والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان من شكر العينين
ان تستر كل عيب تراه بمسلم ومن شكر الاذنين ان تستر كل عيب
تسمعه لمسلم فتدخل هذا وامثاله في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء
بل نقول ومن كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس ايضا اذ الابصار
انما يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه

ويتقى بهما ما يضره فيهما بل نقول المراد من خلق الارض والسماء وخلق
الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله
ولا وصول اليه الا بالمحبة والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا
ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الى صلة بدوام
الذكر والفكر ولا يبقى البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء
والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق الارض والسماء وخلق ساير الاعضاء
وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله
هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله
فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على
المعصية قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وامنتم وعن النبي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم
الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر
كاجر المبتلى الصابر والمعطي الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع
وعنه عليه السلام قال من اعطي الشكر اعطي الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
وعنه عليه السلام قال ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله
ظاهرا بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد وعن ابي هريرة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا عايشة الا اكون عبدا شكورا
قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على اصابع رجليه فانزل الله سبحانه طه
ما انزلنا عليك القران لتشقى وعن الصادق عليه السلام شكر النعم اجتناب
المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين وسئل

هل

هل للشكر حد اذا فعله العبد كان شاكرا قال نعم قيل ما هو قال يحمد الله على كل نعمة
عليه في اهل ومال وان كان فيما انعم في ماله حق اداه ومنه قوله تعالى
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومنه قوله رب انزلني
منزلا مباركا وانت خير المنزلين وقوله رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وعنه عليه السلام
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه
النعمة واذا ورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر عليه السلام
قال اذا ذكر احدكم نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله
فان كان راكبا فلينزل وليضع خده على التراب وان لم يكن يقدر
على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه فان لم يقدر فليضع
خده على كفه ثم ليحمد الله على ما انعم عليه فصل اعلم انه لا يبلغ حد
حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم كلها من الله وان عليها ايضا
نعمة من الله يحتاج الى شكر اخر وبهذا قال الصادق عليه السلام اوحى الله عز وجل
الى موسى يا موسى اشكرني حق شكري فقال يا رب وكيف اشكرك
حق شكرك وليس من شكر اشكرك به الا وانت انعمت به علي قال
يا موسى الان شكرتني حيث علمت ان ذلك مني وعن السجاد عليه السلام
قال كان اذا قرا هذه الاية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
يقول سبحان من لم يجعل في احد من معرفة نعمه الا المعرفة بالتقصير
عن معرفتها كما لم يجعل في احد من معرفة ادراكه اكثر من العلم بانه لا يدركه
فشكر تعالى معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم
بالتقصير شكرا كما علم علم العالمين انهم لا يدركونه فجعله ايمانا

علم منه انه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فان شيئا من خلقه لا يبلغ
مدى عبادته وكيف مدى عبادة من لا مدى له ولا كيف تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وعن الصادق ع قال اذا اصبحت وامسيت
فقل عشر مرات اللهم ما اصبحت بي من نعمة او عافية في دين او دنيا
فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي يا رب
حتى ترضى وبعد الرضا فانك اذا قلت ذلك كنت قد اديت شكر
ما انعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة وفي رواية كان
نوح يقول ذلك اذا اصبح فسمي بذلك عبدا شكورا وعنه ع
مكتوب في التورية اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال
للنعماء اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت الشكر زيادة في النعم
وامان من الغير يعني تغير الحال وانتقالها من الصلاح الى الفساد
وعن السجاد ع قال ان الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور
يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيمة اشكرت فلانا
بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره ثم قال اشكركم لله
اشكركم للناس فصل اعلم ان النعم اما دنيوية كالخلقة السوية
والملاذ الشهية وصرف المفاسد والمضار واما دينية كالاسلام
ومعرفة الائمة المعصومين ع والتوفيق على الطاعة والعصمة عن المعصية
والدينية اعظم لايصالها الى السعادة الابدية والانجاء من الشقاوة
السرمدية واشتراك الكفار في الدنيوية واغتنام الابرار
زوال ما لا يهم منها قال الكاظم ع من حمد الله على النعمة فقد شكره
والحمد افضل من تلك النعمة والطريق الى تحصيل الشكر المعرفة والتفكر

في صنعه

في صنايعه تعالى والنظر الى الادنى في الدنيا والى الاعلى في الدين
ويشكر في المصايب على ان لا يصيبه اكبر منها وان لا يكون في الدين
وان تعجل عقوبته ولا تدخر للاخرة وانها كانت اتية فرغ منها
وان ثوابها خير له وانها تنقص من القلب حب الدنيا فهي
في التحقيق نعم اذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة او رياضة النفس او رفع
الدرجة ومع ذلك كله فالعافية خير من البلاء فعن النبي ص انه كان
يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وكان يقول هو
والانبياء والاوصياء عليهم السلام ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وقال رسول الله ص
سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار
باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فان عافية
القلب اعلى من عافية البدن الباب الثالث في الرجاء والخوف اما الرجاء
فهو ارتياح القلب لانتظار محبوب فان حصل اكثر اسبابه فلا يصدق
اسم الرجاء كمتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا في ارض صالحة
يصلها الماء وان فقد فالغرور والحماقة كما لو القى في غير صالحة
لا يصلها الماء وان شك فيها فالتمني كما اذا اصلحت الارض ولا ماء
وذلك لان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر
فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر
الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق
بها كالارض السبخة التي لا ينمي فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد
احد الا ما زرع ولا ينمي زرع الا من بذر الايمان وقل ما ينفع

ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمي بذر في ارض سبخة
فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع
فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا [illegible]ده بما يحتاج اليه
من تنقية الارض عما يمنع نبات البذر او يفسده وسوق
الماء اليه في اوقاته ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الآفات
المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء
وان بث البذر في ارض سبخة مرتفعة لا ينصب اليها ماء
ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره
حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن
لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا يغلب الامطار
ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق
على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار
العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف
القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان بماء الطاعات
وطهر القلب من شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله
تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان
انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة
والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت
وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك
القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا
ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال الله تعالى ان الذين امنوا
والذين

والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال
عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض
هذا الادنى و[illegible] يقولن وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وقيل للحسن رحمه الله ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون
نرجوا فقال كذبوا ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم
الاماني من رجا شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه
وقال عليه السلام لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا
ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف فان
العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل
الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي
فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو
قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة
وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها
فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية
وحرصه على الطاعة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة
وانما الرجاء بعد تاكد الاسباب فصل واما الخوف فهو عبارة
عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال
وبحسب تظاهر اسباب المكروه تكون قوة وشدة تالم القلب
وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف والخوف من الله
تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وتارة يكون لكثرة

الجناية من العبد بمفارقة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب
معرفته بجلال الله وتعاليه واستغنائه وبعيوب نفسه وجناياته
تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك
قال النبي ص انا اخوفكم لله وقال الله سبحانه انما يخشى الله
من عباده العلماء ثم بقدر كمال المعرفة يفيض اثر الحرقة من القلب
على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول
والصفار والبكاء واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها
بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس
الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب
عليه وقال الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب
اليه واما في الصفات فهو ان يقمع الشهوات ويكدر اللذات
فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها من يشتهيه اذا عرف
ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب
الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الحقد والكبر
والحسد بل يصير مستوعب الهم لخوفه والنظر في عاقبته فلا يتفرغ لغيره
ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة
بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات
فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا يتسع فيه
لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه واقل درجات
الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع من المحظورات ويسمى
الكف الحاصل من المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق

الى

اليه امكان التحريم ويسمى ذلك تقوى وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس
به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد
للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت
الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا
من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا
ويدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفة
فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة
فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام فصل
ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد
الى الله احبهم اليه والحب يغلب بالرجاء ولذلك ورد في الرجاء
وحسن الظن رغائب لا سيما وقت الموت قال الله تعالى
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فحرم اصل اليأس وقال
ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وعير الله قوما فقال
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال وظننتم ظن السوء
وكنتم قوما بورا وقال النبي ص يقول الله عز وجل انا عند ظن
عبدي بي فليظن بي ما شاء وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن
الظن بالله ودخل ع على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك
قال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال ما اجتمعا
في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف
وقال امير المؤمنين ع لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه

يا هذا ايأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وفي اخبار يعقوب ان الله
اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اني اخاف
ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني
ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وعن الباقر ع قال قال
رسول الله ص قال الله لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها
لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي
كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون
عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى
في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي
فليطمئنوا فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي
تلبسهم عفوي فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت وعنه ع
قال وجدنا في كتاب علي ع ان رسول الله ص قال وهو على منبره والذي
لا اله الا هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والاخرة الا بحسن
ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين
والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار
الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه
للمؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله
الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات
يستحيي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه
ورجاءه فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه وقال الصادق ع
حسن الظن بالله ان لا ترجوا الا الله ولا تخاف الا ذنبك والطريق
الى

الى تحصيل الرجاء ذكر سوابق فضل الله سبحانه من دون شفيع وما وعد من جزيل ثوابه
من دون استحقاق وما انعم به في الدارين من دون سؤال وسعة
الرحمة وسبقها الغضب والاخبار الواردة في سعة رحمته اكثر من ان تحصى
ولا حاجة بنا الى ذكرها لان المحتاج الى تحصيل الرجاء من غلب عليه الخوف
واليأس وقليل ما هم واما المنهمكون في طغيان الذنوب والمغترون
بما هم فيه من الفساد والعيوب كاكثر ابناء زماننا فلا يزداد سماعهم لها
الا في طغيانهم تماديا وفي فسادهم فسادا فصل اعلم ان الرجاء
محمود الى حد فان جاوز الى الامن فهو خسران ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون وكذا الخوف محمود الى حد فان جاوز الى القنوط
فهو ضلال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون او الى الياس
فهو كفر ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والاصلح
ان يعتدلا قال امير المؤمنين ع لبعض ولده يا بني خف الله خوفا
ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك
وارج الله رجاء كانك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها
لك وعن الباقر ع ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة
ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا
وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم
خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واما غلبة الرجاء في حق
الناس فمستندها الاغترار وقلة المعرفة بل الاصلح لهم قبل الاشراف
على الموت غلبة الخوف واما عند الموت فالاصلح لهم غلبة الرجاء
وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى

وقت العمل وهو لا يطيق هناك اسباب الخوف لانها تقطع نياط قلبه
وتعين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه
ربه الذي اليه رجاؤه وينبغي ان لا يفارق احد الدنيا الا محبا
لله ليكون محبا للقائه فان من احب لقاء الله ومن قدم على محبوبه
عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه
فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمسكن والمال
والرفقاء والاصحاب كانت محابه كلها في الدنيا فكانت الدنيا
جنته فكان موته خروجا من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه فاما
اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا
وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه وموته قدوم
على محبوبه وخلاص له من السجن فذلك غاية السعادة ان يموت العبد
محبا لله **فصل** اعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما
الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة
والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة
وبسبب ضعف الايمان وانما يزول الغفلة بالتذكير والوعظ
وملازمة الفكر في اهوال القيمة واصناف العذاب في الاخرة
ويزيل ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت
المشاهدة فالسماع لا يخلو من تاثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون
الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه
وهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي
الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه
وقوله

احب الا لقاءه

وقوله واتقوا الله حق تقاته قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال النبي صلعم
راس الحكمة مخافة الله وفي الدعاء المنسوب الى السجاد سبحانك
عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك وقال [illegible] من عرف الله خاف
الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا وقال ان اصل العبادة
شدة الخوف من الله يقول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشوني وقال ومن يتق الله
يجعل له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب
الخائف الراهب وقال المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى
لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه
من المهالك فهو لا يصبح الا خائفا ولا يصلحه الا الخوف وقال
لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا
راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو وقال لاسحق بن عمار
يا اسحق خف الله كانك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت
ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت
له بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك وقال من خاف
الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء
وعن النبي ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل
راس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه
الله على النار وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله
تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها وروي الصدوق

يقول

في عرض المجالس عن ليث بن ابي سليم قال سمعت رجلا من الانصار
بينما رسول الله مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل
فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يلوي ظهره مرة وبطنه مرة
وجبهته مرة ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك
ورسول الله ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فاومى
اليه النبي ص بيده ودعاه فقال له يا عبد الله لقد رايتك صنعت
شيئا ما رايت احدا من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت فقال
الرجل حملني على ذلك مخافة الله وقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله
اعظم مما صنعت بك فقال رسول الله لقد خفت ربك حق مخافته النبي ر حق ر
وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من حضر
ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم
اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا
وحديث بهلول النباش مشهور في الكتب المذكورة مذكور
وعن الباقر ع قال صلى امير المؤمنين ع بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف
وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله ثم قال اما والله لقد عهدت
اقواما على عهد خليلي رسول الله وانهم ليصبحون ويمسون شعثا
غبرا خمصا بين اعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون
بين اقدامهم وجباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم
من النار والله لقد رايتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون
وفي رواية اخرى كان زفير النار في اذانهم اذا ذكر الله عندهم
مادوا كما يميد الشجر كانما القوم باتوا غافلين قال ثم قام فما رئي قال م
ضاحكا

١٨٥

ضاحكا حتى قبض عليه السلام واما خوف الملئكة والاولياء عليهم والائمة الهدى والانبياء ع م
كخوف ميكائيل وجبرئيل ونبينا وابرهيم الخليل وداود ويحيى والسجاد وغيرهم
صلوات الله وسلامه عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم فيرجع اليها من اراد
فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره فصل اعلم ان الخوف لا يتحقق
الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار
واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى مكروه
في الاخرة ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروها من احد القسمين
ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه
ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة
واما الذي نقول مما يغلب على قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته فمنهم
من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف
ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب
وتبديلها بالقسوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء
العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته
التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله
عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج
بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعته حتى يبدو له من الله
ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة
والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره
او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف
الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه م

اوخوف الختم لعند الموت بخاتمة السوء اوخوف السابقة التي سبقت له
في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل منها خصوص فائدة
وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء
العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف
من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه من الوساوس
وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين
خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال
المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة يتفرع عنها
بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق في القضاء في ام الكتاب
والى الاشارة بما رواه الصحابة قال خطب رسول الله صلعم الناس
ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال اتدرون ايها الناس
ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل الجنة واسماء اباءهم
وقبائلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده الشمال فقال ايها الناس اتدرون
ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال اسماء اهل النار واسماء
اباءهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم قال حكم الله وعدل حكم الله حكم ص
فريق في الجنة وفريق في السعير وعنه صلعم قال يسلك بالسعيد في طريق
الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم تداركه
السعادة وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس
ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ان من كتبه الله سعيدا
وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة واما الذين يقول نقول ل
مما يغلب على نفوسهم من المكروه لذاته فمنهم من يغلب عليه سكرات خوف م

الموت

١٧

النقير النكتة في ظهر النواة ق

القطمير الغشاء على شق النواة او القشرة الرقيقة على النواة والثمرة او هي النكتة البيضاء في ظهرها ق

الموت وشدته اوسوال منكر ونكير اوعذاب القبر اوهول المطلع او هيبة
الموقف بين يدي الله والحيا من كشف الستر والسوال عن النقير والقطمير او الخوف
من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها
او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم ومن نقصان الدرجات
او الخوف من الحجاب عن الله وهو اعلاها رتبة وهو خوف العارفين
وما قبل ذلك خوف العابدين والزاهدين وكافة العاملين ولا يخفى
ان فضيلة الشيء بقدر اعانته على السعادة ولا سعادة كسعادة
لقاء الله ولا وصول اليها الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا
ولا يحصل المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل
الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر
الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات
الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع
الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المنقمع للشهوات
فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي
ويحث على الطاعات ويختلف ذلك بحسب اختلاف درجات الخوف
كما بيناه ○ فصل اعلم ان لسوء الخاتمة اسبابا مختلفة وترجع الى ثلثة
اما السبب الاول وهو اعظمها هو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت
وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في تلك الحالة
فيصير حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب
المخلد وسبب ذلك ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله
خلاف الحق اما برايه ومعقوله واما بالتقليد فينكشف له عند سكرات

الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء فيكون انكشاف
بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او الشك فيها
فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان
فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك قال الله تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والبله
بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا
مجملا ولذلك ورد ان اكثر اهل الجنة البله وورد المنع من البحث
والنظر والخوض في الكلام والاكتفاء بظواهر الشرع مع اعتقاد
نفي التشبيه وذلك لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته
كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة
وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا
محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم المزجاة مضطرب
ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبدأ النشوء آلفة وبه متعلقة
والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة
والماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا
مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن تمام
الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي [illegible] [illegible]
في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه
الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين
اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص
عنهم

عنهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا
لما هو خارج عن حد طاقتهم الا من فقهه الله في الدين وعلمه التاويل
واشرق نور الحكمة في قلبه وذلك هو اعز من الكبريت الاحمر واما السبب الثاني
فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب
ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير
بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث
نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان
فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو
ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور
الايمان حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد حب
الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوبة الغالبة
على القلب فيتالم القلب باستشعار فراقها ويرى ذلك من الله
فيختلج ضميره بانكار ما قدر الله من الموت فيخشى ان يثور في باطنه
بغض الله بدل الحب فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة
التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء فمن وجد في قلبه حب الله
اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا
الخطر ولا يحب الله الا من عرفه قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
واما السبب الثالث فكثرة المعاصي وان قوي الايمان وذلك

لان مقارفة سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة المعاصي صح
الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه
عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره
عند الموت طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب
على قلبه عند الموت ذكر المعاصي فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة
من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا
عن الله فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة يقارف
فهو ابعد عن هذا الخطر وذلك لانه كان الانسان يرى في منامه جملة
من الاحوال التي عهدها طول عمره والف بها حتى انه لا يرى الا ما يماثل
مشاهداته في اليقظة فكذلك حاله عند سكرات الموت وما يتقدمه
من الغشية فانه شبيه بالنوم قريب منه فيقتضي ذلك تذكر المألوفات
وعودها الى القلب فربما يكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة
فاحشة في قلبه ويميل نفسه اليها فربما يقبض عليها روحه فيكون ذلك
سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا ومن اراد ان يكف
مجاهدة خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة
طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب فهذا
هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة
على الخير وتخلية الفكر عن الشواغل عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت
فان المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر
ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة
وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول القلب بالحساب الذي
طال

٨١

طال الفه له قبل الموت وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط
وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة
حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب
ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر
التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف فهذا اعظم خوف
العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى
في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات
عسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه
ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان
الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة وقد عرفت
بهذا ان اعمال المرء كلها ضايعة ان لم يسلم في النفس الاخير
الذي عليه خروج الروح وان السلامة مع اضطراب امواج الخواطر
لكن مشكل جدا ومن هنا قيل لا عجب ممن هلك كيف هلك ولكن
العجب ممن نجا كيف نجا ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة
مغبوطا عليها وموت الفجأة مكروها اما موت الفجأة فلانه
ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب واما الشهادة
فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى
حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد اذ لم يهجم
على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا
لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله
الاية اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة

الفواق والفواق ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك سريعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب صح

الباب الرابع في الانس والمحبة اعلم ان المحبة هي الغاية القصوى
من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعدها مقام الا وهو
ثمرة من ثمراتها كالشوق والانس والرضا ولا قبلها مقام الا وهو مقدمته
من مقدماتها كالصبر والزهد وساير المقامات وان عز وجوده فلم تخل
القلوب عن الايمان بامكانها فاما محبة الله عز وجل فقد عز
الايمان بها حتى انكر بعض اهل العلم امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة
على طاعة الله عز وجل واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا
المحبة انكروا الانس والشوق وحكايات المحبين بما هو ناص على ثبوت
حقيقة المحبة ولوازمها قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله والذين آمنوا اشد
حبا لله وقوله قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب
اليكم من الله ورسوله الاية وقال النبي ص لا يؤمن احدكم حتى يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقال في دعائه اللهم ارزقني
حبك وحب من يحبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك
احب الي من الماء البارد وفي الخبر المشهور ان ابراهيم ع قال لملك الموت
اذ جاءه لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه
هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الان فاقبض
وفي مناجاة موسى يا ابن عمران كذب من زعم انه يحبني فاذا جنه الليل
نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها انا ذا يا ابن عمران مطلع
على احبائي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم عن الحضور يا ابن عمران
هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع
في ظلم الليل فانك تجدني قريبا وروينا ان عيسى ع مر بثلاثة نفر قد نحلت
ابدانهم

ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف
من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلاثة
اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق
الى الجنة قال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوز الى ثلاثة اخرى
فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي
بلغ بكم ما ارى قالوا حب الله عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون
وفي علل الشرايع عن نبينا ص ان شعيبا بكى من حب الله عز وجل حتى عمي
فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله
عليه بصره فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون هذا
ابدا منك ان يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتك وان يكن شوقا
الى الجنة فقد ابحتك فقال الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت
خوفا من نارك ولا شوقا الى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر
او اراك فاوحى الله جل جلاله اما اذا كان هذا هكذا فمن اجل هذا
ساخدمك كليمي موسى بن عمران وقال امير المؤمنين ع في بعض ادعيته
فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر
على فراقك وعن ابنه الحسين سيد الشهداء في دعائه يوم عرفة
انت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا
سواك ولم يلجؤا الى غيرك وقال يا من اذاق احباءه حلاوة
المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة
الى السجاد ع وعزتك لقد احببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها
وانست نفسي ببشارتها ومحال في عدل اقضيتك ان تسد اسباب

رحمتك عن معتقدي محبتك وفي مناجاته الاخرى الهي فاجعلنا من الذين
ترسخت اشجار الشوق اليك في حدائق صدورهم واخذت لوعة
محبتك بمجامع قلوبهم قال والحقنا بعبادك الذين هم بالبدار
اليك يسارعون وبابك على الدوام يطرقون واياك في الليل والنهار
يعبدون وهم من هيبتك مشفقون الذين صفيت لهم المشارب
وبلغتهم الرغائب قال وملأت ضمائرهم من حبك ورويتهم من صافي
شرابك فبك الى لذيذ مناجاتك وصلوا ومنك على اقصى
مقاصدهم حصلوا ثم قال فقد انقطعت اليك همتي وانصرفت نحوك
رغبتي فانت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي ولقاؤك
قرة عيني ووصلك منى نفسي واليك شوقي وفي محبتك ولهي والى هواك
صبابتي ورضاك بغيتي ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبتي وقربك
غاية سؤلي وفي مناجاتك روحي وراحتي وعندك دواء علتي
وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي ثم قال ولا تقطعني عنك ولا تباعدني
منك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي وقال ايضا الهي من ذا الذي
ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك
فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك
واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك ورضيته بقضائك
ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك
وقلاك ثم قال وهيمت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك
واخليت وجهه لك وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم اجعلنا
ممن دأبهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين
وجباههم

وجباههم ساجدة لعظمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة
بمحبتك وافئدتهم منخلعة من مهابتك يا من انوار قدسه لابصار محبيه
رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة يا منتهى قلوب المشتاقين
ويا غاية آمال المحبين اسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصل
الى قربك وان تجعلك احب الي مما سواك وقال ايضا الهي ما الذ خواطر
الالهام بذكرك على القلوب وما احلى المسير اليك بالاوهام في مسالك
الغيوب وما اطيب طعم حبك وما اعذب شرب قربك قال
وغلتي لا يبردها الا وصلك ولوعتي لا يطفئها الا لقاؤك وشوقي اليك
لا يبله الا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك
ولهفتي لا يردها الا روحك وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي لا يزيله
الا قربك وجرحي لا يبرؤه الا صفحك ورين قلبي لا يجلوه الا عفوك
ووسواس صدري لا يزيحه الا امرك وامثال هذا في ادعيتهم اكثر
من ان تحصى وعن امير المؤمنين ع ان لله تعالى شرابا لاوليائه اذا شربوا
سكروا واذا سكروا طربوا واذا طربوا طابوا واذا طابوا ذابوا
واذا ذابوا خلصوا واذا خلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا
واذا وجدوا وصلوا واذا وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا لا فرق
بينهم وبين حبيبهم فصل اعلم ان الحب عبارة عن الميل الى الشيء الملذ
وانما يحصل بعد المعرفة بذلك الشيء وادراكه اما بالحواس او بالقلب
وكلما كانت المعرفة اقوى واللذة اشد واكثر كان الحب اقوى
والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا
من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة

للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة
الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم
والعقل الصحيح اليها اقوى فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور
في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس وكما ان الانسان يحب نفسه وكمال
نفسه وبقاء نفسه فقد يحب غيره لاجل نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه
فكذلك قد يحب غيره لذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته بل يكون ذاته
عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق به وذلك كحب الجمال السبب ٥
والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال
لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها
ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوات
فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك
نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك
والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة
او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله صلعم تعجبه الخضرة
والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار
والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل
حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ
وراء النظر ثم الحسن والجمال ليس مقصورا على مدركات البصر ولا
على تناسب الخلقة اذ يقال هذا صوت حسن وهذا خلق حسن وهذا
علم حسن وهذه سيرة حسنة وليس شيء من هذه الصفات تدرك
بالبصر بل ليس الحسن والجمال مقصورا على مدركات الحواس بل كثير
من جمال

من جمال الخير مدرك بنور البصيرة الباطنة وآية ذلك ان الطباع السليمة مجبولة
على حب الانبياء والائمة عليهم السلم مع انهم لم يشاهدوهم حتى ان الرجل قد يجاوز
حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه
والذب عنه ويخاطر روحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فجميع جمال
الخير ترجع الى العلم والقدرة وهما محبوبان بالطبع [illegible] بالحواس
بل لما وصف الانسان حاتما بالسخاء وعليا بالشجاعة احبتهما القلوب حبا
ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما
ومهما كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني
الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة ثم كل محب اما ان يحب نفسه او يحب غيره
ومحبة الغير اما لحسنه وجماله او لاحسانه وكماله او لمناسبة بينه وبين المحب
اما محبة النفس فهي اشد واقوى لان المحبة انما يكون بقدر الملايمة والمعرفة
ولا اشد ملايمة لاحد من نفسه ولا هو بشيء اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا
جعل معرفة نفسه مفتاحا لمعرفة ربه ووجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له
فمحبة نفسه ترجع الى محبة ربه وان لم يشعر المحب واما محبة الغير لحسنه وجماله
او لقربه من الله وكماله فذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء الجمال الظاهر
الصوري او الباطن المعنوي وكذا الكمال والله هو الجميل لذاته والكامل
بذاته وكل مليح حسنه من جماله وكل كامل فكماله فرع كماله فما احب احد
غير خالقه ولكنه احتجب عنه تحت وجوه الاحجاب واستتر بالاسباب
وكذا الكلام في محبة الغير لاحسانه فان الاحسان ايضا محبوب لذاته سواء
كان متعديا الى المحب ام لا ولا احسان الا من الله ولا محسن سوى الله
جل شانه فانه خالق الاحسان والمحسن وجاعل اسبابه ودواعيه وكل محسن

وهو حسنة من حسنات قدرته وحسن فعاله وقطرة من بحار كماله وافضاله واما
محبة الغير للمناسبة فذلك لان الجنس يميل الى الجنس سواء كانت المناسبة
لمعنى ظاهر كما ان الصبي يميل الى الصبي لصباه او لمعنى خفي كما يتفق بين شخصين
من غير ملاحظة جمال او طمع في جاه او مال فان الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذه المحبة فرع
لمحبة النفس فترجع الى محبة الله كما عرفت ففي كل وجه ما تتعلق الا بالله
الا انه لا يعرف ذلك الا اولياؤه واحباؤه كما اشار اليه
سيد الشهداء ع في دعاء عرفة بقوله وانت الذي ازلت الاغيار
عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك فسبحان
من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه
الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون
وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات
وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الاخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فصل اعلم ان اجل
اللذات واعلاها معرفة الله تع والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور
ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة وذلك لان اللذات
تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة
وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة
الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام
وغريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم
لذتها في نيل الغذاء وهكذا سائر الغرائز وفي القلب غريزة تسمى
بالبصيرة

بالبصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ليعلم بها حقائق الامور كلها
فمقتضى طبعها المعرفة والعلم والعلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى
الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم
لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به
ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك
ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته
وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف
العلم بقدر شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل
والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها
واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل اجمل
من خالق الاشياء كلها ومكملها ومرتبها ومبدئها ومعيدها ومدبرها
ومرتبها فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة بالله اقوى من سائر اللذات
لمن له غريزة المعرفة ثم من عرف الله عرف ان اللذات المقرونة
بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قيل
كانت لقلبي اهواء مفرقة ⁂ فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده ⁂ فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ⁂ شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي
فصل اعلم انه لا فرق في الرؤية بين الدنيا والآخرة فكما انه
لا يجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر فكذلك لا يجوز رؤيته
في الآخرة بالعين والبصر وكما انه تجوز رؤيته في الآخرة بالقلب
والبصيرة لا من البصائر اعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث يتادى

شهادة الله بوحدانيته حين ايجاده ما يدل على وحدانيته في العالم وفي انفسنا قال الشاعر وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد
قال البعض الحكماء ان الله لما شهد لنفسه كان شهادته ان انطق كل شيء كما نطق بالشهادة له وشهادة الملائكة بذلك

لى المشاهدة واللقاء كذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذا المعنى والحجاب
بينه وبين خلقه ليس الا الجهل وقلة المعرفة دون الجسد قال اولياء الله
يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم ومتصرفاتهم ليلهم ونهارهم كما قال
الله تع والشهداء عند ربهم وقال شهد الله انه لا اله الا هو
والملئكة واولوا العلم وقال الا من شهد بالحق وهم يعلمون فسماهم
شهداء لمشاهدتهم له في جميع احوالهم كما ذكر بقوله عز وجل فاينما تولوا
فثم وجه الله وقال هو الاول والاخر والظاهر والباطن فوصفه
بالظاهر وقال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم فلما تحقق اولياء الله
بمعاني هذه الايات شاهدوه باعين قلوبهم سئل امير المؤمنين ع هل رايت
ربك حين عبدته فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل
كيف رايته قال ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن
راته القلوب بحقايق الايمان وقال ابنه الحسين سيد الشهداء ع
كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور
ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل
يدل عليك ومتى بعدت حتى يكون الاثار هي التي توصل اليك
عميت عين لا تراك لا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد
لم تجعل له من حبك نصيبا وقال ايضا تعرفت لكل شيء فما جهلك
شيء وقال تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء
فانت الظاهر لكل شيء الى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلم في هذا المعنى
نعم يمكن ان يزيد الانكشاف في الاخرة بقدر زيادة صفاء القلوب
ودركاها

ودركاتها وتجردها عن العلائق الدنيوية وروى شيخنا الصدوق طاب ثراه
باسناده عن ابي بصير عن الصادق ع قال قلت له اخبرني عن الله
عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيمة قال نعم وقد راوه قبل يوم القيمة
فقلت متى قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة
ثم قال ع ان المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه
في وقتك هذا قال ابو بصير فقلت له جعلت فداك فاحدث بهذا
عنك فقال لا فانك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول
ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين
تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون اراد ع بالمشبهين والملحدين
الصحابي التيمي والعدوي فانهم يزعمون ان الله سبحانه يجوز رؤيته بهذا
العين في الاخرة وان لم يجز في الدنيا وان المؤمنين يرونه يوم القيمة
بالبصر كما يرون القمر ليلة البدر وقد سئل الصادق ع عما يروون من الرؤية
فقال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا
من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب والحجاب
جزء من سبعين جزءا من نور الستر فان كانوا صادقين فليملؤوا اعينهم
من الشمس ليس دونها سحاب فصل اعلم ان الطريق الى تحصيل المحبة
وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء تحصيل المعرفة وتقويتها وذلك
بتطهير القلب من شواغل الدنيا وعلايقها والتبتل الى الله بالذكر
والفكر ثم اخراج حب غير الله منه فان القلب مثل الاناء الذي لا يسع
الخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال
الحب في ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه

مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله الا ان يكون
التفاته الى الغير من حيث انه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر
اسماء الله والى هذا التفريد والتجريد اشارة بقوله تع قل الله ثم ذرهم
وبقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك
لا اله الا الله اى لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود
فان العبد هو المتعبد والمعبود هو المتعبد له وكل محب فهو عبد لما يحبه
ولذلك قال تع افرايت من اتخذ الهه هواه وذلك انما يكون بغلبة
الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما والشوق
الى ما بقى من المطلوب مما لم يحصل فان الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه
ولم يدرك من وجه وهو انما يكون باحد الامرين ولا نهاية له
لان الاتضاح فيما حصل لا نهاية لدرجاته وكذا الازدياد
فيما بقى من جمال الله وجلاله لا ساحل له بل مع حصول اصل الوصال
يجد ايضا شوقا لذيذا لا يظهر فيه الم فالشوق لا يسكن قط ولا سيما
ممن يرى فوقه درجات كثيرة يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وفى مصباح الشريعة قال الصادق ع
المشتاق لا يشتهى طعاما ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقادا
ولا يانس حميما ولا ياوى دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا
ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا راجيا بان يصل
الى ما يشتاق اليه ويناجيه بلسان شوقه معبرا عما فى سريرته
كما اخبر الله عن موسى بن عمران فى ميعاد ربه بقوله وعجلت اليك
رب لترضى وفسر النبى عن حاله انه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى
شيئا

شيئا من ذلك فى ذهابه ومجيئه اربعين يوما شوقا الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق
فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا وودع المالوفات واحرم عن سوى
مشوقك ولب بين حياتك وموتك لبيك اللهم لبيك واعظم الله
اجرك ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة الا خلاصه وقد نسى كل شئ
دونه والاخبار الواردة فى شوق لقاء الله تع اكثر من ان يحصى وقدمت
الاشارة الى بعضها فى ادعية المعصومين عليهم السلم فصل اعلم ان الانسان
اذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره
عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه
فسميت هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب
واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف
وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت
الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان
نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد
تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه
الملاحظات فان غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه
وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن غلب الانس بالله
لم يكن شهوته الا فى الانفراد والخلوة وذلك لان الانس بالله يلازم
التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة يكون اثقل الاشياء
على القلب كما روى ان موسى على نبينا و ع لما كلمه ربه مكث دهرا
لا يسمع كلام احد من الخلق الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب
عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فتخرج من القلوب عذوبة ما سواه

فان خالط الناس كان كمنفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر
فى سفر وشاهد فى غيبة وغايب فى حضور ومخالط بالجسد المنفرد بالقلب
المستغرق بعذوبة الذكر قال امير المؤمنين عم فى وصفهم هم قوم هجم بهم
العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره
المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان
ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله فى ارضه والدعاة
الى دينه فصل اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه
قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط
فى الاقوال والافعال والمناجات مع الله سبحانه وقد يكون منكر الصورة
لما فيه من الجراة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم
فى ذلك المقام وتشبه بهم فى الفعل والكلام هلك واشرف على الكفر ومثاله
مناجات برخ الاسود الذى امر الله تعالى كليمه موسى ان يسئله ليستسقى لبنى اسرائيل
بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى فى سبعين الفا فاوحى الله عز وجل
اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين
ويامنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج
حتى استجيب له فسئل عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشى
فى طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود
فى شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه فقال
ما اسمك قال اسمى برخ قال فانت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا
فخرج فقال فى كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذى
بدا لك انقصت عليك غيومك ام عاندت الرياح عن طاعتك
ام

ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا
قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك
ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل
بالمطر وانبت الله عز وجل العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب قال
فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رايت حين خاصمت ربى
كيف انصفنى فهم موسى به فاوحى الله عز وجل اليه ان برخا يضحكنى
كل يوم ثلث مرات واعلم ان الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد
دون البعض فمن انبساط الانس قول موسى ان هى الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقوله فى التعلل والاعتذار
لما قيل له اذهب الى فرعون انه طغى فقال ولهم على ذنب فاخاف
ان يقتلون وقوله ويضيق صدرى وقوله اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذى
اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا
لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن فى بطن الحوت
فى ظلمات ثلث فنودى عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة
من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهى نبينا صلعم ان يقتدى به
فقيل له واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات
وبعضها لما سبق فى الازل من التفاضل والتفاوت فى القسمة
بين العباد قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان عيسى على نبينا وعليه السلام

من المفضلين ولا دلاله سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت
ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف
في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحيا فلم ينطق
حتى سلم عليه خالقه فقال سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث
حيا وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال
بعض العلما قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا الى العشرين اية من اخبار الله تعالى عن زهدهم فيه
نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد تجتمع في الكلمة
الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير
مسئلة واحدة سئل عنها في القدر حتى قيل لئن عاد لمحي اسمه عن ديوان
النبوة وهذه القصص اوردت في القران ليعرف بها سنة الله
في عباده الذين خلوا من قبل فما في القران شي الا وهو هدى
ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فصل واما محبة الله تعالى لعبده
فيرجع معناه الى كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه
اياه من القرب اليه والى ارادته ذلك به في الازل والى تطهير
باطنه من حلول الغير به وتخليته عن عوايق تحول بينه وبين مولاه حتى لا يسمع
الا بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به ولا ينطق الا به كما ورد في الحديث
القدسي ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به
فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفا باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه
وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك من فضل الله ولطفه به

قال

قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب
وقال اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه
وقال اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه
يامره وينهاه واخص علامة محبة الله ان ذلك يدل على حب الله
عز وجل له واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى
امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره
والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه
والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له
من غيره والمونس له بلذة المناجات في خلواته والكاشف له
عن الحجب بينه وبين معرفته فصل اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو
الله سبحانه وذلك لانه هو الموجود بذاته وما سواه موجود به قال الله سبحانه
الله نور السموات والارض والنور هو الظاهر لنفسه والمظهر لغيره ومبدا
الادراك من المدرك والمدرك انما هو الوجود فكلما ادركته
فانما تدرك اولا وجوده وان لم تشعر بذلك وانما خفي عليك ذلك
لغاية وضوحه ولا تعجب من اختفاء شي بسبب ظهوره فان الاشيا
انما تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه
فلو اختلفت الاشيا فدل بعضها على الله دون بعض ادركت
التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر
ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض

يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة
الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها
فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت
المواضع ادركت تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام قد كانت مستضيئات
بضوء فارقها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا
نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام
متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر
المحسوسات اذ به يدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه فهو
مظهر لغيره انظر كيف استبهم امره بسبب ظهوره لولا طريان
ضده فاذن الحق سبحانه هو اظهر الاشياء وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان
له عدم او غيبة او تغير لانهدمت السموات والارض وبطل الملك
والملكوت ولادركت التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء
موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين
في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده
دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور
خفاء فهو خفي لافراط الظهور تحيرت لادراكه ابصار خفافيش
وحط عيون الزرق من نور وجهه لشدته حط العيون العوامش
قال امير المؤمنين ع لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع
منها وقال ظاهر في غيبه وغائب في ظهوره وقال لا تجنه البطون عن الظهور
ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنى وظهر
فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن اي ظهر وغاب ولم يغب ومن اسمائه
قيل

قيل عرفت الله بجمعه بين الاضداد **الباب الخامس** في اليقين والتوكل قال الله تعالى
وبالآخرة هم يوقنون وقال النبي ص من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن
اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل وقال لما قيل له
رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال
ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين
لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فتكفر
ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال اليقين الايمان كله وفي وصية
لقمن لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر
يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وعن الصادق ع قال ليس شيء الا وله
حد قيل فما حد التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف
مع الله شيئا وقال ع من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس
بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص
ولا يرده كراهية كاره ولو ان احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت
لادركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال ان الله بعدله وقسطه جعل الروح
والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط
اراد بقوله ولا يلومهم ما لم يؤته الله ان لا يشكوهم على ترك صلتهم
اياه بالمال ونحوه فان ذلك شيء لم يقدر الله له ولم يرزقه اياه
ومن كان من اهل اليقين عرف ان ذلك كذلك فلا يلوم احدا
بذلك وعرف ان ذلك مما اقتضته ذاته بحسب استحقاقه وما اوجبته
حكمة الله في امره وعنه ع ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل
عند الله من العمل الكثير على غير يقين وعنه ع قال كان امير المؤمنين ع

يقول لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه
لم يكن ليصيبه وان الضار النافع هو الله تع وعنه ع ان امير المؤمنين ع
جلس الى حائط مائل يقضي بين الناس فقال بعضهم لا تقعد تحت هذا
الحائط فانه معور فقال امير المؤمنين ع حرس امرا اجله فلما قام سقط
الحائط قال وكان امير المؤمنين ع مما يفعل هذا واشباهه وهذا اليقين
وعنه ع قال كان قنبر غلام علي يحب عليا ع حبا شديدا فاذا خرج علي صلوات الله عليه
خرج على اثره بالسيف فراه ذات ليلة فقال يا قنبر ما لك قال جئت
لامشي خلفك يا امير المؤمنين قال ويحك امن اهل السماء تحرسني او من اهل
الارض قال لا بل من اهل الارض فقال ان اهل الارض لا يستطيعون
لي شيئا الا باذن الله من السماء فارجع فرجع وقيل للرضا ع انك
تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دما فقال ان لله تع واديا
من ذهب حماه باضعف خلقه النمل فلو رامه البختي لم تصل اليه
يعني بالسيف سيف السلطان وعنه ع كان في الكنز الذي قال الله تع
وكان تحته كنز لهما كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن راى
الدنيا وتقلبها باهلها كيف ركن اليها فصل اليقين ان يرى
الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسايط بل يرى
الوسايط كلها مسخرة لا حكم لها ثم الثقة بضمان الله سبحانه للرزق وان
ما قدر له سيساق اليه ثم ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم المعرفة بان الله تع مطلع عليه في كل حال
ومشاهد لهواجس ضميره وخفايا خواطره فيكون متادبا في جميع احواله
واعماله

الهواجس الخاطر

واعماله مع الله سبحانه فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه
لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لساير الناس
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اليقين يوصل العبد الى كل حال سني ومقام
عجيب كذلك اخبر رسول الله ص عن عظم شان اليقين حين ذكر عنده ان عيسى
بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء فدل بهذا
ان الانبياء مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين
لا غير ولا نهاية لزيادة اليقين على الابد والمؤمنون ايضا متفاوتون
في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري من الحول
والقوة الا بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا
قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح
والذم والعز والذل لانه يرى كلها من عين واحدة ومن ضعف
يقينه تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات واقاويل
الناس بغير حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها وامساكها مقرا
باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله وان العبد لا يصيب الا ما رزق
وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله تع
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وانما عطف الله تع
لعباده حيث اذن لهم في الكسب والحركات في باب العيش ما لم يتعدوا
حدوده ولا يتركوا من فرايضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم ولا يعدلوا
عن محجة التوكل ولا يقفوا في ميدان الحرص فاما اذا نسوا ذلك وارتبطوا
بخلاف ما حد لهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم في الحاصل الا الدعاوي
الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلا فلا يستجلب من كسبه الى نفسه الا حراما

وشبهه وعلامته ان يؤثر ما يحصل من كسبه ويجوع وينفق في سبيل الدين
ولا يمسك والمأذون بالكسب من كان مكتسبا وبقلبه متوكلا بنفسه
وان كثر المال عنده وقام فيه كالامين عالما بان كونه وقوته سواء ذلك
وان امسك امسك لله وان انفق انفق فيما امره الله عز وجل ويكون
منعه وعطاؤه في الله فصل التوكل منزل من منازل الدين ومقام
من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه
غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث العلم
ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها
بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب انغماس
في غمرة الجهل قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال
وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال
ان الله يحب المتوكلين فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمول
بكفاية الله لابسه فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال
الله اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك
للتوكل وهو المكذب بهذه الاية وقال رسول الله صلعم لو انكم
تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال من سره
ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه مما في يده وعن الصادق
اوحى الله تعالى الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي دون احد من خلقي
عرفت من نيته ثم تكيده السموات والارض ومن فيهن الا جعلت له المخرج ذلك
من بينهن

من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته الا قطعت
اسباب السموات من يديه واسخت الارض من تحته ولم ابال باي واد هلك
وعنه ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا وعنه انه قرا
في بعض الكتب ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي
على عرشي لاقطعن امل كل مؤمل غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة
عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه من وصلي ايؤمل غيري في الشدائد
والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي
مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا
الذي املني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت
رجاءه مني جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت
سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي
فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها
احد غيري الا من بعد اذني فما لي اراه لاهيا عني اعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته منه فلم يسألني رده
وسأل غيري افيراني ابدأ بالعطاء قبل المسألة ثم اسأل فلا اجيب سائلي ابخيل انا
فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة بيدي اوليس انا
محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري فلو ان
اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل
ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه
فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني
فصل اعلم ان من اعتقد اعتقادا جازما بانه لا فاعل الا الله
وانه لا حول ولا قوة الا بالله وان له تمام العلم والقدرة على كفاية
العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وانه

ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته
عناية اتكل لا محالة قلبه على الله وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه
ولم يجد ذلك من نفسه فسببه احد امرين اما ضعف اليقين واما ضعف
القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام التي تغلب
عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين كانزعاجه
ان يبيت مع ميت في قبر او فراش مع عدم نفرته عن سائر الجمادات
فالتوكل لا يتم الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون
القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه
كما قال تعالى لخليله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكم من مطمئن لا يقين له
كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده
وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه
وعن الكاظم ع في قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال التوكل
على الله درجات منها ان تتوكل على الله في امورك كلها فما فعل بك كنت
عنه راضيا تعلم انه لا يألوك خيرا وفضلا وتعلم ان الحكم في ذلك له
فتوكل على الله بتفويض ذلك عليه وثق به فيها وفي غيرها ولعل سائر درجات
التوكل ان يتوكل على الله في بعض اموره دون بعض وتعدد بحسب كثرة الامور
المتوكل فيها وقلتها فصل اعلم ان من الناس من يظن ان معنى التوكل
ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة
الملقاة واللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع
فان الانسان مكلف بطلب الرزق بالاسباب التي هداه الله اليها
من زراعة

من زراعة او تجارة او صناعة او غير ذلك مما احله الله وكما ان الصلوة
والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها اليه كذلك
طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا به اليه بل هو افضل العبادات
كما مر بيانه في الباب الاول من المقالة الثالثة ولكنه سبحانه كلفهم ايضا
بان لا يثقوا الا به عز وجل ولا يثقوا بالاسباب كما انه سبحانه كلفهم بان لا يتكلوا
على اعمالهم الحسنة بل بفضل الله فمعنى التوكل المامور به في الشرع الاقدس
هو اعتماد القلب على الله في الامور كلها وانقطاعه عما سواه ولا ينافيه
تحصيل الاسباب اذا لم يكن يسكن اليها وكان سكونه الى الله تعالى دونها
يجوز ان يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب وان هذه الاسباب التي
حصلها وان يقطع الله هذه الاسباب عن مسبباتها سواء كانت لجلب نفع
متوقع او لدفع ضرر منتظر او لازالة آفة واقعة وسواء كانت مقطوعا بها
كمد اليد الى الطعام ليصل الى فيه ومظنونة كحمل الزاد للسفر واخذ السلاح
للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة والادخار لتجدد الاضطرار والتداوي
لازالة المرض والتحرز عن النوم في ممر السباع ومجرى السيل وتحت الحائط
المائل وغلق الباب وعقل البعير ونحو ذلك اما الموهومة كالرقية والطيرة
والاستقصاء في دقائق التدبير فيبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست
باسباب عند العقلاء الالباء وليست مما امر الله بها بل ورد النهي عنها
على ان المامور به الاجمال في الطلب وعدم الاستقصاء وترك الافراط قال
النبي ص الا ان روح الامين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله عز وجل واجملوا في الطلب وقال ع اجمل في الطلب من ركب
البحر وقال الصادق ع ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص

الراضي بدنيا المطمئن اليها ولكن انزل نفسك من ذلك منزلة المتعفف
ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف وتكسب ما لا بد منه ان الذين
اعطوا المال ثم لم يشكروا الا مال لهم وقال اذا فتحت بابك وبسطت بساطك
فقد قضيت ما عليك وانما لا يبطل التوكل بالاسباب المقطوعة والمظنونة مع ان الله
تعالى قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله سبحانه ابى ان يجري
الاشياء الا بالاسباب كما قال الفقهاء وجب الله لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم
بالاسباب التي سببها لذلك امرهم بذلك قال الله تعالى خذوا حذركم
وقال في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى فاسر بعبادي ليلا
بالليل اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرر وقال النبي صلى الله عليه وسلم للاعرابي
لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل الى غير ذلك
روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال
لا اسأل احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته
رزق فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني
اليك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار
وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل
وشرب واوجس في نفسه ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي
بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي
احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي وفي الاسرائيليات ان موسى
اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا
لبرأت فقال لا اتداوى حتى يعافيني الله من غير دواء فطالت علته

فاوحى

فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرئنك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال
لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرئ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله
اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع الاشياء
غيري **فصل** ومن الناس من يزعم ان حق التوكل ان يكتفي بالاسباب
الخفية عن الاسباب الجلية كان يسافر بالبوادي التي لا يطرقها الناس
بغير زاد بعد ان راض نفسه على الجوع الاسبوع فما يقاربه بحيث يصبر عنه
من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله وان يكون بحيث
يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق له وان توطن نفسه على انه
ان مات جوعا كان خيرا له في الاخرة او يقعد في بيته او في مسجد ويتفرغ
بترك الكسب لفكر او ذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة بحيث
لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون
قوي القلب في الصبر والاتكال على الله وهذا خطأ لان من جاهد نفسه
وسواها بحيث يصبر على الجوع الاسبوع ويمكنه التقوت بالحشيش صارت
الاسباب له جلية فان عدم الحاجة احد الغنائين ثم ان كان اعتماده
على صبره وتمكنه من التقوت بالحشيش فاين التوكل وان كان
انما يثق بالله وحده فليقم في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله
دون الاسباب كما امر الله به الزاهد الذي مرت قصته واما توطين
نفسه باختياره على الموت جوعا فممنوع شرعا قال الله عز وجل ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واما القاعد في بيته ليعبد ربه بغير كسب فهو ايضا قد ترك
اتباع امر الله بالطلب قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي يقوته اشد عبادة منه
وربما يكون مشتغلا كلا على الناس في حاله ينادي بالبؤس والباس

بل هو ضرب على بواطن الناس وتعرض للذل الا اذا خرج من بين الناس
فيرجع الى الاول من تغريره بالنفس وتعرضه للهلاك وليت شعري
اى مدخل فى خفاء الاسباب وجلائها فى التوكل بعد ما تقرر ان معناه
الثقة بالله وحده لا بالاسباب فسواء وجود الاسباب وفقدها وجلائها
وخفائها نعم تتفاوت درجات الناس فيه بحسب تفاوت مراتبهم فى قوة
اليقين وضعفه وفى قصر الامل وطوله وفى مقدار الادخار بحسب الاهل
وللمنفرد والمعيل فمنهم من هو من المقربين ومنهم من هو من اصحاب
اليمين ومنهم من لا توكل له اصلا وذلك بحسب عدم الوثوق
بالاسباب اصلا وقلته وكثرته ومن كمل ايمانه سقط وثوقه بالاسباب
بالكلية فيرزقه الله من حيث لا يحتسب كسب ام لم يكتسب الا انه لا يترك
الكسب بل يتبع امر الله فيه وليس وثوقه الا بالله وحده دون الكسب
قال الصادق ع ابى الله جل وعز ان يجعل ارزاق المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون
وانما خصه بالمؤمنين لان كمال الايمان يقتضى ان لا يثق صاحبه
بالاسباب وان يتوكل على الله عز وجل وحده وكمال الايمان انما يكون
لصاحب العلم المكنون من الانبياء والاولياء ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء قال النبى ص رايت الخير كله فى قطع الطمع عما فى ايدى الناس
ومن لم يرج الناس فى شئ ورد امره الى الله تعالى فى جميع اموره
استجاب الله تعالى له فى كل شئ وقال الباقر ع بئس العبد عبد له طمع
يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق ع شرف المؤمن
قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس الباب السادس فى الصدق
واداء الامانة وادنى الصدق الصدق فى القول فى كل حال
وكمال كر

التعريض كلام له وجهان من صدق وكذب او ظاهر وباطن رحمه

المعاريض فى الكلام مندوحة عن الكذب بان يقول بشئ يقصد غيره او كما اذا سئل رجل عن رجل فلانا وقد راه فيقول الا ان فلانا فلانا اراد ان يكذب فيقول الا انى فرارا من الكذب فيجعل مسجد

وكماله بترك المعاريض من غير ضرورة حذرا عن تفهيم الخلف وكسب القلب
صورة كاذبة ورعاية مع الله تعالى فمن قال وجهت وجهى لله وفى قلبه
سواه او اياك نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم فى النية بتمحيضها لله
فالشوب يفوته صدق النية اى محضها فالصادق فى النية
لا بد ان يكون مخلصا ثم فى العزم وهو الجزم القوى على الخير فان الانسان
قد يقدم العزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا تصدقت
بجميعه او شطره واذا لقيت عدوا فى سبيل الله قاتلته ولم ابال
وان قتلت وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق
فى العزيمة ثم فى الوفاء بالعزم فالنفس قد تسخو بالعزم فى الحال اذ لا مشقة
فى الوعد فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت
العزيمة وهذا ايضا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله سبحانه رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ثم فى الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله
الظاهرة على امر فى باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك العمل ولكن بان يستجر
الباطن الى تصديق الظاهر وهذا غير الرياء لان المرائى هو الذى يقصد
ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلوته ليس يقصد
مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن نظر اليه راه قائما بين يدى الله عز وجل
وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته وكذلك
قد يمشى على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك
فهذا غير صادق فى عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم
ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه
مثل ظاهره او خيرا من ظاهره وهذا كما قال امير المؤمنين ع انى والله

يا احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهيكم عن معصية الا وانتهى
قبلكم عنها ثم في مقامات الدين وهو اعلى الدرجات واعزها كالصدق في الخوف
والرجاء والتعظيم والزهد والحب والتوكل وساير المكارم فان هذه الامور لها
مبادى ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق
من نال حقيقتها قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال عز وجل ولكن البر
من امن بالله واليوم الاخر ثم قال والصابرين في البأساء والضراء
الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابوذر رض عن الايمان فقرا
هذه الاية فقيل له سئلناك عن الايمان فقال سئلت رسول الله
عن الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن
بالله وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف
غير صادق اى غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا
او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرايصه وتتنغص عليه
عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وتتقسم عليه فكره حتى لا ينتفع باهله
وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة
التعب والمشقة والتعرض للاخطار وكل ذلك خوفا من درك
المحذور ثم انه لا يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند جريان معصية
عليه ولذلك قال النبي ص لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة
نام طالبها والتحقق بهذه الامور عزيز جدا ولكن لكل عبد منها
حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوى ثم درجات الصدق لا نهاية لها
وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا

في الجميع

في الجميع فهو الصديق حقا فصل في مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا اردت
ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر في قصد معناك وغور دعواك
وعيرهما بقسطاس من الله عز وجل كانك في القيمة قال الله عز وجل والوزن
يومئذ الحق فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق وادنى
حد الصدق ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ومثل
الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه ان لم ينزع فماذا يصنع
وعنه ع ان الصادق اول من يصدقه الله تعالى يعلم انه صادق وتصدقه
نفسه تعلم انه صادق وعنه ع قال ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله
من الصادقين ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين فاذا صدق
قال الله تعالى صدق وبر واذا كذب قال الله تعالى كذب وفجر وفي رواية
ليصدق حتى يكتبه الله صديقا وعنه ع قال كونوا دعاة الناس بالخير
بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع وقال
لبعض اصحابه انظر ما بلغ علي ع عند رسول الله ص فالزم فان عليا ع
انما بلغ عند رسول الله بصدق الحديث واداء الامانة وقال ع
لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده فان ذلك شئ اعتاده
ولو ترك لاستوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء
امانته وقال ع ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة
الى البر والفاجر وعن النبي ص اداء الامانة تجلب الرزق والخيانة
تجلب الفقر وعن امير المؤمنين ع ادوا الامانات ولو الى قاتل
ولد الانبياء وعنهم ع من ائتمنك بامانة فادها اليه ومن
خانك فلا تخنه

المقالة الخامسة في العبادات واسرارها وفيها سبعة ابواب

في النية ... الاخلاق قال النبي انما الاعمال بالنيات وانما لكل
امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
وانما قال ذلك حين قال له بعض الصحابة ان بعض المهاجرين الى الجهاد
ليست نيته من تلك الهجرة الا اخذ الغنايم من الاموال والسبايا
او نيل الصيت عند الاستيلاء فبين ص ان كل احد ينال في عمله ما يبغيه
ويصل الى ما ينويه كاينا ما كان دنيويا او اخرويا وهذا الخبر مما يعده
اصحاب الحديث من المتواترات وهو اول ما يعلمون اولادهم
ويقولون انه نصف العلم واعلم انه لا يحسب من عبادة الله ولا يعد
من طاعته بحيث يترتب عليه الاجر في الاخرة الا ما يراد به التقرب
الى الله والدار الاخرة اعني به وجه الله او التوصل الى ثوابه
او الخلاص من عقابه وبالجملة امتثال امر الله فيما ندب عباده
اليه بقوله عز وجل ادعوه خوفا وطمعا وقوله يدعوننا رغبا ورهبا
وكل ما وعد به الجنة واوعد عليه النار في الآيات التي لا تحصى فرغب
ورهب ووعد واوعد وانما يثيبهم على حسب اقدارهم ومنازلهم
ونياتهم فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله وحبه واشتاق
اليه واخلص عبادته لله لكونه اهلا للعبادة ولمحبته له احبه الله
واخلصه واجتباه وقربه الى نفسه وادناه قربا معنويا ودنوا
روحانيا كما قال في حق بعض من هذه صفته وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب قال امير المؤمنين وسيد الموحدين صلوات الله عليه الهي
ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك لكن وجدتك اهلا

للعبادة

للعبادة فعبدتك ومن لم يعرف من الله سوى كونه الها صانعا للعالم
قادرا قاهرا عالما وان له جنة ينعم بها المطيعين ونارا يعذب بها
العاصين فعبده ليفوز بجنته او يكون له النجاة من ناره ادخله الله
بعبادته وطاعته الجنة وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه في غير موضع
من كتابه فانما لكل امرئ ما نوى ولا تصغ الى قول من ذهب
الى بطلان العبادة اذا قصد بفعلها تحصيل الثواب او الخلاص
من العقاب زعما منه ان هذا القصد مناف للاخلاص الذي هو
ارادة وجه الله سبحانه وحده وان من قصد ذلك فانما قصد جلب
النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه فان هذا قول
من لا معرفة له بحقايق التكاليف ومراتب الناس فيها بل ولا معرفة
له بمعنى النية وحقيقتها وانها عبارة عن انبعاث النفس وميلها
وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلا واما اجلا لا مجرد
قول الناوي عند العبادة افعل كذا قربة الى الله وتصور معنى
هذا القول بخاطره وملاحظته بقلبه وان لم يكن لنفسه انبعاث الى التقرب
هيهات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وما ذلك الا كقول
الشبعان اشتهي هذا الطعام قاصدا حصول الاشتهاء وهذا الانبعاث
اذا لم يكن حاصلا لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول
والتصور واكثر الناس يتعذر منهم العبادة ابتغاء وجه الله
والتقرب اليه لانهم لا يعرفون من الله سبحانه الا المرجو والمخوف
فغايتهم ان يتذكروا النار ويحذروا انفسهم عقابها ويتذكروا الجنة
ويرغبوا انفسهم ثوابها وخصوصا من كان الغالب على قلبه الميل الى الدنيا

فانه قلما ينبعث له داعية الى فعل الخيرات لينال بها ثواب الاخرة فضلا
عن عبادته على نية اجلال الله عز وجل لاستحقاقه الطاعة والعبودية فانه قل
من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها فلو كلف بها لكان تكليفا بما لا يطاق وليس
معنى الاخلاص في العبادة الا ان لا يكون مشوبة بشوائب الدنيا والحظوظ
العاجلة للنفس كمدح الناس والخلاص من النفقة بعتق العبد ونحو ذلك
كما ياتي بيانه وظاهر انه لا ينافيه ارادة الجنة والخلاص من النار رجاء وعيد
في الاخرة وان كان من جنس المالوف في الدنيا ولو كان مثل هذه
النيات مفسدة للعبادات لكان الترغيب والترهيب والوعد والوعيد
عبثا بل مخلا بالمقصود ثم ليت شعري كيف يمكن العبد الضعيف
المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا
ولا حيوة ولا نشورا ان يستغني عن جلب النفع من مولاه لنفسه
او دفع الضرر عنها ومن امعن حق الامعان فلا يجد اكثر القائلين
ببطلان العبادة باحدى النيتين الاوليين ان نياتهم الصحيحة في عباداتهم ترجع
الى احديهما وهم لا يشعرون وعن الصادق ع العباد ثلثة قوم عبدوا
الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله عز وجل طلب
الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله حبا له فتلك عبادة عز وجل
الاحرار وهي افضل العبادة قوله ع وهي افضل العبادة يعطي ان العبادة
على الوجهين الاولين لا تخلو من فضل ايضا فضلا عن ان تكون صحيحة
قد ورد في الحديث المشهور عن النبي ص انه قال نية المؤمن خير
من عمله ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيته وقد اختلف الفقهاء
في معنى الحديث على اقوال شتى والذي ظهر لي ان ذلك لان المؤمن ينوي
خير

خيرات كثيرة لا يساعده الوقت على عملها فكان الثواب المترتب على نياته
اكثر من الثواب المترتب على اعماله وايضا ان المؤمن ينوي ان تقع
عباداته على احسن الوجوه لان ايمانه يقتضي ذلك ثم اذا كان يشتغل بها
لا يتيسر له ذلك ولا يتاتى كما يريده فلا ياتي كما ينبغي فالذي ينوي بعمله
دائما خير من الذي يعمل به في كل عبادة والى هذا اشار الباقر عليه السلم
حيث كان يقول نية المؤمن خير من عمله وذلك لانه ينوي من الخير ما لا يدركه
ونية الكافر شر من عمله وذلك لان الكافر ينوي الشر ويامل من الشر
ما لا يدركه وعن الصادق ع انه قيل له سمعتك تقول نية المؤمن خير من عمله
فكيف تكون النية خيرا من العمل قال لان العمل انما كان رياء للمخلوقين
والنية خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل
ثم قال ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام
فيثبت الله له صلوته ويكتب نفسه تسبيحا ويجعل نومه صدقة وعنه ع
ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر
ووجوه الخير فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله
له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله ان الله واسع كريم وعنه ع
انه سئل عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤديا لها فقال
حسن النية بالطاعة يعني ان يكون له في طاعته نية حسنة فان تيسر
له الاتيان بما وافق نيته والا فقد ادى ما عليه من العبادة
بحسن نيته وعنه ع انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم
كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله فيها ابدا وانما
خلد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا

فيها ان يطيعوا الله ابدا فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى
قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته. وعنه عليه السلام من سمع شيئا من الثواب
على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وما قيل في معنى الحديث
المشهور ان النية انما تكون خيرا من العمل لتوقف نفع العمل عليها
دون العكس ولكون الغرض الاصلي من العمل تأثر القلب بالميل الى الله
تعالى عن الغير كما قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم الا ترى الى اثم المجامع مرأته على قصد انها غيرها
بخلاف المجامع غيرها على انها امرأته والتي ترصعه القلب وبهذا
يعرف معنى قوله عليه السلام من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان الهم
هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات
وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم
القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا
لوجه الله عز وجل وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم وان عاق
عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم والتقوى في القلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لما خرج في غزوة
تبوك ان بالمدينة قوما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ
الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شاركونا
في ذلك وهم في المدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا
معنا فقال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية. فصل النية اما واحدة
كالقيام للاكرام واما متعددة كالتصدق للفقر والقرابة فاما
ان لا يستقل شيء منها ويعرف بالامتناع عند الانفراد او يستقل

مساويا

١٠٦

مساويا او متفقا وتارة يتعدد الجزاء بتعددها خيرا كان كالدخول في المسجد
لزيارة الله عز وجل فان المساجد بيت الله وفي الحديث النبوي من دخل المسجد
فقد زار الله عز وجل وحق على المزور اكرام زائره ولانتظار الصلوة
والاعتكاف والانزواء والخلوة وترك الذنوب او شرا كالقعود
فيه للتحدث بالباطل وملاحظة النساء والمناظرة للمباهات والمرايات
وغيرها ويجعل المباح عبادة كالتطيب يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم
المسجد واليوم ودفع الاذى بالنتن وادخال السرور بالعرف
وسد باب الغيبة وربما نقصه على محضها فالترفه بنومه او دعابة
مباحة لرد نشاط الصلوة افضل منها في الملال وشرا يجعله معصية
كالتطيب للتفاخر باظهار الثروة والتزين للزنا ولا يؤثر في الحرام
فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان. فصل النية غير داخلة
تحت الاختيار وذلك لما عرفت انها انبعاث النفس وتوجهها
الى ما يظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا وما لم يعتقد الانسان
ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك
مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب
اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك
لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة
بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلبت
شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد لم يمكنه ان يتزوج
على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة
الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد نعم طريق اكتساب

وفيه من حديث كذا فقد زار الله في عرشه قال الصدوق زيارة الله تعالى زيارة انبيائه وحججه صلوات الله عليهم من زارهم فقد زار الله عز وجل كما ان من اطاعهم فقد اطاع الله عز وجل ومن عصاهم فقد عصى الله ومن تابعهم فقد تابع الله
مجمع

دعابة: مزاح و بازی کردن

منوط بها: معلق

اولام

هذه النية مثل ان يقوى ايمانه بالشرع ويقوى ايمانه بعظم ثواب من سعى
في تكثير امة محمد صلى الله عليه وآله ويدفع عن نفسه جميع المنفرات على الولد من ثقل المؤنة
وطول التعب وغيره واذا فعل ذلك فربما انبعثت من قلبه رغبة الى تحصيل
الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضائه لمباشرة العقد
واذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا
الباعث الغالب على القلب كان ناويا واذا لم يكن كذلك
فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان
ولهذا امتنعت جماعة من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا
يقولون ليس تحضرنا نية وذلك لعلمهم بان النية روح الاعمال
وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب
قرب وعن الصادق عليه السلام انه اتاه مولى له فسلم عليه وجلس فلما انصرف انصرف
معه الرجل فلما انتهى الى باب داره دخل وترك الرجل فقال له ابنه
اسمعيل يا ابه الا كنت عرضت عليه الدخول فقال لم يكن من شأني ادخاله
قال فهو لم يكن يدخل قال يا بني اني اكره ان يكتبني الله عراضا
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم
لان سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية لله في الامور كلها
قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال النبي صلى الله عليه وآله
نية المؤمن خير من عمله وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ
ما نوى ولا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون لانه اذا لم يكن
بهذا المعنى يكون غافلا والغافلون قد وصفهم الله فقال ان هم الا كالانعام
بل هم اضل سبيلا وقال اولئك هم الغافلون ثم النية تبدو من القلب

٤

على قدر صفاء المعرفة وتختلف على حسب اختلاف الاوقات في معنى قوته
وضعفه وصاحب النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهوران تحت سلطان
تعظيم الله والحياء منه وهو من طبعه وشهوته ومنية نفسه منه في تعب والناس منه
في راحة. فصل واما الاخلاص فهو تجريد النية عن الشوب فالاعلى ارادة
وجهه تعالى ويعرف بالتفكر في صفاته وافعاله والمناجاة والادنى ارادة نفع
الاخرة فهو حظ النفس وورد في حقيقته ان تقول ربي الله ثم تستقيم
كما امرت تعمل لله ولا تحب ان تحمد عليه قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا
واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وعن امير المؤمنين عليه السلام قال طوبى لمن اخلص لله
العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع
اذناه ولم يحزن صدره بما اعطي غيره وعن الباقر عليه السلام قال ما اخلص عبد الايمان
بالله اربعين يوما او قال ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا
وبصره داءها ودواءها واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن الصادق عليه السلام
في قول الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم
عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل
حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد
الا الله عز وجل والنية افضل من العمل الا وان النية هو العمل ثم تلا قوله
عز وجل قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص كسر حظوظ النفس
وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب وكم
من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون
فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت

استقاموا ... المستقيم ... ربنا الله ثم استقاموا

الصلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول لاني تاخرت
يوما لعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني
في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني
وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقل
ما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم
في الاخرة كلها سيئات وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم
سيئات ما عملوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد مضت الاشارة الى امثال
ذلك في باب ذم الغرور فصل اعلم انه قد ثبت اجماع الامة على ان
من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه مع ان سفره ليس خالصا
للحج والوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق وهو ايضا عبادة كما مضى بيانه
وقد عرفت ان نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها
وليس الامر كما ظن ان الحاج انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة
وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه
مهما قصد التجارة ولا كما ظن انه مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان
غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب نعم
اذا كان التجارة للجمع والادخار من غير حاجة فلا يبعد ان يبقى ذلك
وكذا اذا انضم الى قصد الحج قصد التفرج والتوحش عن الاهل انضماما
غير مستقل ونحوه اذا انضم الى نية الصوم قصد الحمية والى نية الوضوء التبرد
والى نية العتق التخلص من سوء الخلق والى غير ذلك اذا لم تكن المنضمات
مستقلة واما ما يضر بالاخلاص من انواع الرياء وغيره فقد مر الكلام فيه
في باب الرياء والكبر فلا وجه لاعادته فصل في مصباح الشريعة قال

الص ع

التوقيع [illegible] كتاب
[illegible] صحح

الص ع الاخلاص يجمع فواضل الاعمال وهو معنى مفتاح القبول وتوقيعه الرضا
فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وان قل عمله ومن لا يتقبل الله منه
فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بآدم ع وابليس عليه اللعنة علامة القبول
وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة علم كل حركة وسكون
والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال والعامل
والمعمول بالعمل لانه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا فاته ذلك
فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الاول هلك
العاملون الا العابدون وهلك العابدون الا العالمون وهلك
العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون الا المخلصون وهلك
المخلصون الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون وان الموقنين
لعلى خطر عظيم قال الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وادنى
حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب
على ربه مكافاة لعمله بعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى
مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الاثام وفي الاخرة النجاة
من النار والفوز بالجنة الباب الثاني في الطهارة والنظافة
قال الله سبحانه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال النبي ص
الطهور نصف الايمان وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال بني
الدين على النظافة وقال بئس العبد القاذورة وقال من اتخذ ثوبا
فلينظفه وقال امير المؤمنين ع النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن
وهو طهور للصلوة فليتفطن ذووا البصائر بهذه الظواهر ان الامثال

الاولى والثانية
والثالثة
والرابعة

انما يتم بعمارة القلوب والسرائر وان المراد بقوله الطهور نصف الايمان
ان عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف بافاضة الماء نصف الايمان والنصف
الاخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق الحميدة فالطهارة لها اربع
مراتب الاولى تطهير الظاهر من الاحداث والاخباث والفضلات والثانية
تطهير الجوارح من الجرائم والاثام والتبعات والثالثة تطهير القلب من مساوي
الاخلاق ورذائلها والرابعة تطهير السر عما سوى الله جل وعلا وهي طهارة
الانبياء والصديقين والطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي فيها
وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية
الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلن يصل الى طهارة السر عما سوى الله
وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله وعظمته سبحانه ما لم يفرغ
عن طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك
من لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها بالطاعات
وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته
ولا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت
بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة
الا الدرجة الاولى التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب
فصار يمعن فيه ويستقصي مجاريه والباطن خراب مشحون بخبائث
الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق تبصير ينبغي للعاقل ان يتذكر
بتخليه لقضاء الحاجة نقصه وحاجته وما يشتمل عليه من الاقذار
وباستراحة نفسه عند اخراجها وسكون قلبه من دنسها وصيحته
للوقوف على لذات الجنة والتاهل للمناجاة وهوان الدنيا ومصير عواقب
شهواتها

[illegible]

شهواتها ولذاتها ونعيمها ه وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع سمي المستراح مستراحا
لاستراحة النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر
فيها والمؤمن يعتبر عنده ان الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته
فيستريح بالعدول عنها وتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف
عن جمعها واخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر
ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ويعلم ان التمسك
بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين فان الراحة
في هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها وفي ازالة النجاسة من الحرام
والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته اياها ويفر من الذنوب
ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في اداء اوامره واجتناب
نواهيه طلبا لحسن المآب وطيب الزلف ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر
والكف عن الشهوات الى ان يتصل بامان الله في دار القرار ويذوق
طعم رضاه فان المعول ذلك وما عداه لا شيء فصل عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك وقال صلوة
على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وفي مصباح
الشريعة قال الصادق ع قال النبي ص السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وجعلها
من السنة المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل
وكما تزيل ما تلوث من اسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك
كذلك فازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالاسحار
وطهر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات وركوب المناهي
كلها خالصا لله فان النبي ص اراد باستعماله مثلا لاهل اليقظة وهو

ونزع الرغائب معمولا على صنعه
لهم المقبولات نقيه ومعهد
مجمع

السواك كالكناس بازالة
الاسنان من القذر
مجمع

قوله عز وجل فتهجد به نافلة
اي بالقرآن وذكر من عادته
صلوة الليل
زاهد

ان المسواك نبات لطيف لطيف وغصن شجر عذب مبارك والاسنان
خلق خلقه الله تعالى في الفم آلة واداة للمضغ وسببا لاشتهاء الطعام
واصلاح المعدة وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام
وتتغير بها رائحة الفم ويتولد منها الفساد في الدماغ فاذا استاك
المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية ازال
عنها الفساد والتغيير وعادت الى اصلها كذلك خلق الله القلب طاهرا
صافيا وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة والتعظيم واذا شيب القلب
الصافي بتغذيته والكدر صقل بمصقلة التوبة ونظف بماء الانابة
ليعود الى حالته الاولى وجوهرته الاصلية الصافية قال الله تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وان النبي ص امرنا بالسواك
ظاهر الاسنان واراد بهذا المعنى المثل ومن اناخ تفكره على باب
العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الاصل والفرع فتح الله له
عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع اجر المحسنين
قال النبي ص من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء الى الوضوء
كفارة لما بينهما من الذنوب ومن لم يسم لم يطهر من جسده الا ما اصابه
الماء وقال الصادق ع من ذكر اسم الله على وضوئه فكانما اغتسل وفي مصباح
الشريعة قال الصادق ع اذا اردت الطهارة والوضوء فتقدم الى الماء
تقدمك الى رحمة الله فان الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته
ومناجاته ودليلا الى بساط خدمته وكما ان رحمته تطهر ذنوب
العباد كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غيره قال الله تعالى
وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء
طهورا

طهورا وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما احيى به كل شيء
من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته حيوة القلوب بالطاعات
وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء
وفي كل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء التي امرك الله بتطهيرها وآت
بادابها فرائضه وسننه فان تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة
اذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب ثم عاشر
خلق الله كامتزاج الماء بالاشياء تؤدي كل شيء حقه ولا تتغير عن معناه
معتبرا لقول رسول الله ص مثل المؤمن الخالص المخلص كمثل الماء ولتكن
صفوتك مع الله في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين انزله
من السماء وسماه طهورا وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة
جوارحك بالماء وقال الرضا ع انما امر بالوضوء ليكون العبد طاهرا
اذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته اياه مطيعا له فيما امره نقيا
من الادناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس
وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار وانما وجب على الوجه
واليدين والراس والرجلين لان العبد اذا قام بين يدي
الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء وذلك
انه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل وبرأسه
يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد وامر بالغسل
من الجنابة دون الخلاء لان الجنابة من نفس الانسان وهو شيء
يخرج من جميع جسده والخلاء ليس هو من نفس الانسان انما هو غذاء
يدخل من باب ويخرج من باب وفي رواية اخرى عنه ع قال وعلته

التخفيف في البول الى ان قال انه اكثر وادوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء
لكثرته ومشقته ومجيئه بغير ارادة منه والشهوة والجنابة لاتكون الا
بالاستلذاذ منهم والاكراه لانفسهم **فصل** قال بعض اصحابنا ما ملخصه
ان الدنيا والآخرة ضرتان كلما قربت من احدهما بعدت عن الاخرى
فلذلك امر العبد بتطهير الاعضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة
الله تعالى والاقبال عليه فامر في الوضوء بغسل الوجه الذي فيه اكثر الحواس
الظاهرة التي هي اعظم الاسباب الباعثة على مطالب الدنيا ليتوجه
ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال من تلك الادناس ثم امر بغسل
اليدين لمباشرتهما اكثر الامور الدنيوية والمشتهيات الطبيعية
المانعة من الاقبال على الآخرة ثم بمسح الرجلين لانه بهما يتوصل الى مطالبه
ويتوسل الى تحصيل آربه فيطهرهما جميعا ليسوغ له الدخول بهما في العبادة
والاقبال عليها وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لان ادنى حالات
الانسان واشدها تعلقا بالملكات الشهوية حالة الوقاع وبتوجه
الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله ص
تحت كل شعرة جنابة فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبة العلية
منغمسا في اللذات الدنية كان غسله اجمع من اهم المطالب الشرعية
ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة وامر في التيمم
بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعا لتلك الاعضاء
الرئيسة وهضما لها بتلقيها باثر التربة الخسيسة قال ولما كان للقلب
من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الاكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل
والتوجهات المانعة من درك الفضائل اولى من تطهير الاعضاء الظاهرة
عند

عند اللبيب العاقل فاذا لم يمكن تطهيره من الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاوصاف
الجميلة فليقمه بمقام الهضم والازراء وليسقه بسياط الذل والاخضاع لعله
عسى ان يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم وهو منكسر متواضع فيهبه نفحة
من نفحات نوره اللامع فانه عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الاثر
فترقى من هذه الاشارات الى ما يوجب لك الاقبال وتلافي سالف
الاهمال **فصل** قال امير المؤمنين ع نعم البيت الحمام يذكر فيه النار
ويذهب بالدرن وفيه اشارة الى انه ينبغي للعاقل ان لا يغفل عن ذكر
الآخرة في لحظاته فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه
من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان نظر الى ظلمة تذكر ظلمة
اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان سمع صوتا هائلا تذكر
نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول
تذكر ما ينكشف له في اخر امره بعد الحساب من الرد والقبول الى غير ذلك
والحمام اشبه شيء بجهنم النار من تحت والظلام من فوق فينبغي ان يتذكر حر النار
بحرارته ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم ويستعيذ
بالله منها قال الص ع فاذا دخلت البيت الثالث فقل نعوذ بالله من النار
ونسأله الجنة ترددها الى وقت خروجك من البيت الحار

الباب الثالث

في الصلوة والذكر قال الله عز وجل الذين هم في صلوتهم خاشعون
وقال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ذمهم على الغفلة
عنها مع كونهم مصلين لا لانهم سهوا عنها وتركوها وقال سبحانه اقم الصلوة
لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون فيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة وقال

النبي ص من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه
وقال انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتبائس وتندم وتقنع
تمد يديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وقال اذا صليت
صلوة فريضة فصل لوقتها صلوة مودع تخاف ان لا تعود فيها وقال ص
لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وعن الصادق ع من قبل الله
منه صلوة واحدة لم يعذبه ومن قبل منه حسنة لم يعذبه وروى ان ابرهيم
الخليل كان يسمع تأوهه على حد ميل وكان في صلوته يسمع له ازيز
كازيز المرجل وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله ص
مثل ذلك وقال بعض ازواجه كان النبي يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت
الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وكان امير المؤمنين ع اذا اخذ في الوضوء
يتغير وجهه من خيفة الله وكان ع اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون
فقيل له مالك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وكانت فاطمة ع
تنهج في الصلوة من خيفة الله وكان الحسن ع اذا فرغ من وضوئه تغير لونه
فقيل له في ذلك فقال حق على من اراد ان يدخل على ذي العرش ان يتغير
لونه وروى مثل هذا عن السجاد ع وعنه انه اذا كان توضأ اصفر
لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون
بين يدي من اريد ان اقوم وقيل رايته ع يصلي فسقط رداؤه
عن منكبه فلم يسوه حتى فرغ من صلوته فسألته عن ذلك فقال ويحك
اتدري بين يدي من كنت ان العبد لا يقبل منه صلوة الا ما اقبل
فيها فقلت جعلت فداك هلكنا قال كلا ان الله يتم ذلك بالنوافل

وعن الصادق ع

وعن الصادق ع قال كان علي بن الحسين ع اذا قام الى الصلوة تغير لونه واذا سجد
لم يرفع راسه حتى يرفض عرقا وعنه ع قال كان ابي يقول كان علي بن الحسين ع
اذا قام الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يتحرك منه الا ما حركت الريح منه
وعنه ع انه سئل عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق
قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها
من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته قيل وكان لسان الامام عليه السلم
في تلك الحال كشجرة طور حين قالت اني انا الله وعنه ع قال لا يجتمع
الرغبة والرهبة في قلب الا وجبت له الجنة فاذا صليت فاقبل بوجهك
على الله عز وجل فانه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلوته
ودعائه الا اقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وايده مع مودتهم اياه
بالجنة وعن الباقر ع قال ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها وثلثها
وربعها وخمسها فما يرفع له الا ما اقبل عليها بقلبه وانما امروا بالنوافل
ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة **فصل** ان قيل المستفاد من هذه الايات
والاخبار ان صلوة من يغفل عما يقول فيها ويفعل ليست مقبولة
الا بقدر ما اقبل عليه منها والفقهاء لم يشترطوا الا حضور القلب
عند التكبير والتوجه فكيف التوفيق وايضا فان المصلي في صلوته ودعائه
مناج ربه كما هو معلوم وقد ورد في الخبر ايضا ولا شك ان الكلام
مع الغفلة ليس بمناجاة والكلام اعراب عما في الضمير ولا يصح
الاعراب عما في الضمير الا بحضور القلب فاي سؤال في قوله اهدنا الصراط
المستقيم اذا كان القلب غافلا ولا شك ان المقصود من القراءة
والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى

وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب
ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت
لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها هذا حكم القراءة
والذكر واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا والتعظيم كيف يجتمع
مع الغفلة واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس
وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل
بين الكفر والاسلام ويقدم على سائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه
على الخصوص فاعلم ان بين القبول والاجزاء فرقا فان المقبول من العبادة
ما يترتب عليه الثواب في الاخرة ويقرب الى الله زلفى والاجزاء ما يسقط
التكليف عن العبد وان لم يثب عليه والناس يختلفون في تحمل التكليف
فالتكليف انما هو بقدر حوصلة الخلق وقابليتهم في سعتهم وقصورهم
فلا يمكن ان يشترط عليهم جميعا احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك
يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة
فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة
واولى اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر على التكليف بذلك
ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال
التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة
وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له
اجر ما بحسب فعله على قدر قصوره وعذره وقد ذكرنا في باب العقايد
في الفرق بين العلم الباطن والظاهر ان قصور الخلق احد الاسباب
المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع وحاصل الكلام ان حضور

القلب

القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه
هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم
من حي لا حراك به قريب من الميت فصلوة الغافل في جميعها الا
عند التكبير حي لا حراك به فصل اعلم ان المعاني الباطنة التي
بها تتم حيوة الصلوة تجمعها ست جمل اي حضور القلب والتفهم والتعظيم
والهيبة والرجاء والحياء فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ
القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول
مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر
عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه فقد حصل
حضور القلب ثم التفهم لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون
القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال
القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردنا بالتفهم وهذا مقام
يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقران
والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء الصلوة ولم يكن
قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء
والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء والمنكر لا محالة ثم التعظيم
وهو امر وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل ربما يخاطب غيره بكلام هو حاضر
القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له ثم الهيبة وهي زائدة
على التعظيم اذ هي عبارة عن خوف منشاؤه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى
هائبا ثم كل خوف لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف مصدره الاجلال
ثم الرجاء فالعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه خائف

بتقصيره وعقاب الله ثم الحياء ومستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب
ولنذكر اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه
الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر
حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة
لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا
فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة
لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو
الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه
فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل
من مجموعهما حضور القلب في الصلوة واما التفهم فسببه بعد حضور القلب
ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو
علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لرفع الخواطر الشاغلة
وعلاج رفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب
التي تجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها
الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة
ولذلك ترى من احب غير الله لا يصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم
فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهي
من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية
معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد
من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم
وما لم يمتزج معرفة حقارة بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم
والخشوع

والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة
ولا يكون الخشوع والتعظيم حالة له لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس
وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة
بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك
الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء
والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع وبالجملة
كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله
وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة
فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة
واما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله
ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث
دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعاله مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله
والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه
المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء
اعلم ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا ومستحييا
من تقصيره فلا ينفك من هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها
بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر
وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة
الا الخواطر الردية الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر
ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا
او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك

قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر إلى غيره ويتسلسل ويكون
الإبصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض ومن قويت
نيته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به
فكره فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع
وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت
صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون أجمع للهم والأقوياء كانوا يحضرون المساجد
ويغضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود ويرون كمال
الصلوة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وأما الأسباب الباطنة فهي
أشد فإن من تشعبت الهموم به في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد
بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه فإن ما وقع في القلب
من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه ويشغلها
عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر
الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع
ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره
فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن أفكاره بهذا الدواء
فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر
في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب ولا شك أنها تعود
إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمة لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع
عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه
وجند إبليس عدوه فإمساكه أضر عليه من إخراجه فيتخلص عنه بإخراجه ويتخلى
عنه غير ذلك فإن ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر

[margin: الأودية جمع الوادي ... وهو موضع سيل الماء ... كثرة ... تشعب ... تفرق صح]

[margin: وفي الدعا أعوذ بك من هول المطلع ... موقف القيامة الذي يحصل الاطلاع عليه بعد الموت صح]

[margin: المعنى [illegible] صح]

إنما ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب فأما الشهوة
القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال تجاذبها وتجاذبك
ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله مثال رجل
تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش
عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فيعود العصافير فيعود
إلى التنفير بالخشبة فقيل له إن هذا سير السواني ولا ينقطع فإن أردت
الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة إذا استعلت وتفرعت
أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار
وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول في دفعها فإن الذباب
كلما ذب آب ولأجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات
كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا
وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد
ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود منها
ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في أن يصفو له لذة المناجاة
في الصلوة فإن من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة
الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف
لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد
القلب إلى الصلوة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء
ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا
حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثون أنفسهم فيهما
بأمور الدنيا فعجزوا عنه فإذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا

[margin: رهقه الشيء ... غشيه وأرهقه الإثم حمله إياه صحاح]

[margin: الخلاص صح]

[illegible]

من الصلوة متفرغا لها او شغلها عن الوسواس لتكون ممن خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي
يصب في قدح فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل لا محالة ولا يجتمعان
فصل
اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر قلبك هول النداء يوم القيمة
وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا
النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك
على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار
فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها
واعتبر بفصول الاذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك
ان الله جل جلاله هو الاول والاخر والظاهر والباطن ووطن قلبك
بتعظيمه عند سماع التكبير واستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك
وانف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل واحضر النبي صلى الله عليه وسلم وتادب
بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصل عليه وآله وحرك نفسك
واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح
وما هو خير الاعمال وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختمه بذكره
كما افتتحت به واجعل مبداك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك
على حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فصل
اذا اتيت بالطهارة في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو
غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك
الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط
والتصميم

وفي خبر ارحنا يا بلال اي اذن بالصلوة وارح قلوبنا من شغلها بسبب انتظارها وقيل كان اشتغاله بها راحة له فان كان يعد غيرها من الاعمال تعبا وكان يستريح بها لما فيها من مناجاة الله ولهذا قال وقرة عيني في الصلوة مجمع

116

وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهرها باطنك فانه موقع نظر معبودك
قال الصادق عليه السلام وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء
وقد مضى تمام الخبر في باب الطهارة ثم اذا سترت مقابح بدنك عن الخلق
باللباس فاخطر ببالك فضائح سرك التي لا يطلع عليها الا ربك وطالب
نفسك بسترها وتحقق انه لا يسترها عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم
والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف
والحياء من مكامنها فتذل بها نفسك وتستكين تحت الخجلة وتقوم بين يدي
الله قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا
راسه من الحياء والخوف وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ازين اللباس
للمؤمنين لباس التقوى وانعمه الايمان قال الله عز وجل ولباس التقوى
ذلك خير واما اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني ادم
وهي كرامة اكرم الله بها عباده ذرية ادم ما لم يكرم بها غيرهم وهي
للمؤمنين آلة لاداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك
عن الله بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك الى العجب
والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها من آفات الدين
ومورثة القسوة في القلب اذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك
ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما البست ظاهرك بثوبك
وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل
الله عز وجل حيث خلق اسباب اللباس لتستر بها العورات الظاهرة وفتح
ابواب التوبة والانابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب واخلاق
السوء ولا تفضح احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه واشتغل بعيب نفسك

كغراء عند الذنب مجمع

نعم الشيء الصم خوما اي صار نا غالبا مجمع

[illegible]

وانصح عملا لا يعيبك حاله واخره واحذر ان يفني عمرك بعض عمرك وتبجر رب
مالك عمرك وتهلك نفسك فان نسيان الذنوب اعظم عقوبة الله تعالى
في العاجل واوفر اسباب العقوبة في الاجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة
الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما الشين في دين الله فهو بمعزل من الافات
خايض في بحر رحمة الله يفوز بجواهر الفوايد من الحكمة والبيان وما دام
ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه راجعا الى حوله وقوته لا يفلح اذا ابدا
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا بلغت باب المسجد فاعلم انك
قصدت ملكا عظيما لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته
الا الصديقون وهب القدوم الى بساط خدمته هيبة الملك فانك
على خطر عظيم ان غفلت واعلم انه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك
وبك فان عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة واجزل
لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلا
بك حجبك ورد طاعتك وان كثرت وهو فعال لما يريد واعترف
بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة له
والمؤانسة به واعرض اسرارك عليه ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلايق
اجمعين وعلانيتهم وكن كافقر عباده بين يديه واخل قلبك من كل
شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والاخلص فانظر
من اي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذة
مخاطباته وشربت بكاس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته
فقد صلحت لخدمته فادخل فلك الاذن والامان والا فقف وقوف
مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الامل وقضى الاجل فاذا علم الله من قلبك

صدق

صدق الالتجاء اليه نظر اليك بعين الرافة والرحمة والعطف ووفقك لما يحب
ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته
قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه   واما الاستقبال فهو صرف
الظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله فترى ان صرف القلب
من ساير الامور الى الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما
الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة
واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها الى جهاتها
استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك
واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف
القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سوى الله تعالى وقد قال النبي ص اذا قام
العبد الى صلوته وكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه
وقال ص ما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار
وهذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان
الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه
ومن كان كذلك فيوشك ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه
كوجه قلب الحمار في قلة عقله للامور العلوية وعدم فهمه للعلوم الظاهرة
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اذا استقبلت القبلة فايس من الدنيا
وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك
عن الله تعالى وعاين بسرك عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه
يوم تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وقف
على قدم الخوف والرجاء   واما القيام فهو مثول بالشخص والقلب

[illegible]

بين يدي الله فليس راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطاطا
متنكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع
والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام
بين يدي الله في هول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم في الحال انك
قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي
بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام
قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح
من اهلك او ممن ترغب ان يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك
اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك
ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك
التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين
معرفة الله وحبه افلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده
او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان تخشى سئل النبي ص كيف الحياء
من الله فقال يستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من اهلك
اذا توجهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر نفسك وخسة
عبادتك في جنب عظمته وانحطاط همتك عن القيام بوظائف خدمته
واستسمام حقائق عبادته وتفكر عند قولك اللهم انت الملك الحق
في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العوالم ثم ارجع الى نفسك
بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك
عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واحضر
دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك

يجيب

١١٨

يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ويسمع نداءه وان بيده خير الدنيا والآخرة
لا بيد غيره عند قولك لبيك وسعديك والخير في يديك ونزهه عن الظلم
والشر وابداله بمحض الهداية والارشاد عند قولك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت واعترف له بالعبودية وان قوام وجودك وبدوه ومعاده
منه بقولك عبدك وابن عبديك منك وبك ولك واليك اي منك وجوده
وبك قوامه ولك ملكه واليك معاده وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
فاحضر في ذهنك هذه الحقائق وترق منها الى ما يفتح عليك من الاسرار
والدقائق وتلق الفيض من العالم الاعلى واما النية فاعزم
على اجابة الله تعالى في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها
ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء الثواب وخوفا من عقابه
وطلب القربة منه متقلدا المنة باذنه اياك في المناجات مع سوء ادبك
وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي
وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة
وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير
فمعناه ان الله سبحانه اكبر من كل شيء او اكبر من ان يوصف او ان يدرك
بالحواس او يقاس بالناس فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه
قلبك وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله فالله يشهد انك
لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انك
لرسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له
منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون الله اكبر
كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر

١٤

في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه وفي بعض
الشريعة قال الله تع اذا كبرت فاستصغر ما بين السموت العلى والثرى
دون كبريائه فان الله اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض
عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعني وعزتي وجلالي لاحرمنك
حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي فاعتبر انت
قلبك حين صوتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها
وبهجتها وقلبك مسرورا بمناجاته ملتذا بمخاطبته فاعلم انه قد صدقك
في تكبيرك والا فقد عرفت من سلب لذة المناجات وحرمان حلاوة
العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه فصل
واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا مسلما وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته
الى جهة القبلة والله سبحانه مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه
بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى فاطر السموات والارض
فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق ويتبع الشهوات
ام مقبل على فاطر السموات والارض واياك ان يكون اول مفاتحتك
للمناجاة بالكذب والاختلاف ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه
عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن
قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك
ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك
كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال
واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تع

م

فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن مشفقا من هذا
الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست
من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل
والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد
مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه
وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن
ملائما للحال فصل واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك
مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق
لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد
قولك فان من قصده سبع او عدو ليفترسه او ليقتله فقال اعوذ منك
بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيده
الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان
ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ
بحصن الله عز وجل من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال تع
لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ
الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكائده
ان يشغلك في الصلوة بذكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم
ما تقرا فاعلم ان ما يشغلك عن معاني القران فهو وسواس فان حركة
اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني واما القراءة فالناس فيها ثلثة

رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه
كأنه يسمعه من غيره وهو درجة أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعاني
أولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب
أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب فصل وإذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة بكلام الله وافهم
أن معناه أن الأمور كلها بالله وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى
وإذا كانت الأمور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله
إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله بشكره لا من حيث
إنه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله
فإذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك أنواع لطفه لتتضح لك رحمته
فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك
مالك يوم الدين أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول
يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الإخلاص بقولك إياك
نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك
إياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته وأن له
المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته
ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان الرجيم ثم إذا فرغت اللعين
عن التعويذ بقولك بسم الله وعن التحميد وعن إظهار الحاجة إلى الإعانة
مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط
المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك وزده
شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أنعم عليهم نعمة الهداية
من النبيين

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم
من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين فإذا تلوت
الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم
قسمت الصلاة بيني وبين عبادي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي
يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي وأثنى
علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث فإن لم يكن لك من صلاتك
حظ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه
من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السورة كما يأتي
في باب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده
ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء
حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والاتعاظ
حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق أخبار الأنبياء ويكون
هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء
القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف
أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا
ثم راعي الهيئة في القراءة فرتل ولا تسرد ولا تعجل فإن ذلك أيسر للتأمل
وتفرق بين نغماتك في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد
قال بعضهم إذا قرأ مثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله
يغض صوته كالمستحيي عن أن يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن
اقرأ وارق فكلما قرأ آية صعد درجة فصل وأما دوام القيام
فهو تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال النبي صلى الله عليه وسلم

بين حروف الحرب حتى
قبل أن ينتهي على الولاء
تجمع الحروف

ان الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين
عن الالتفات الى الجهات كذلك يجب حراسة السر عن الالتفات
الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وقبح
التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع للقلب
فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا وباطنا ثمرة الخشوع ومهما خشع
الباطن خشع الظاهر قال ع وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما انه لو خشع
قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء
اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي
من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك
عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا
ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال
الله وعن اطلاعه على سره وضميره وتدبر قوله تعالى الذي يريك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين   واما الركوع فينبغي ان تجدد عنده
ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه
ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك
وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو
ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له
بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده
بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك وتؤكد
في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره
ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول الحمد لله رب العالمين

ثم ابد

ثم تزيد في الخشوع والتذلل فتقول اهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت
وعن امير المؤمنين ع انه سئل عن معنى مد العنق في الركوع فقال تاويله امنت بك
ولو ضربت عنقي وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع لا يركع عبد لله ركوعا
على الحقيقة الا زينه الله بنور بهائه واظله في ظلال كبريائه وكساه
كسوة اصفيائه والركوع اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح
للثاني وفي الركوع ادب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الادب لا يصلح
للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل تحت سلطانه خافض
له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين وحكي
ان ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا هو
اصبح تزفر وقال اه سبق المخلصون وقطع بنا واستوف ركوعك
باستواء ظهرك وانحط عن همتك في القيام بخدمته الا بعونه وفر بالقلب
من وساوس الشيطان وخدايعه ومكائده فان الله تعالى يرفع عباده
بقدر تواضعهم له ويهديهم الى اصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع
عظمته على سرائرهم فصل ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة
فمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك
ان لا تجعل بينهما حاجزا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل
على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها
ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت
فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده
بالتكرار فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار فان رق قلبك وظهر
لك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف

والذل الا الى الكآبة والنظر فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك مستغفرا
من ذنوبك ثم اكد التواضع بالتكرار وعد الى السجود ثانيا كذلك
وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل ما معنى السجدة الاولى قال تاويلها اللهم انك
منها خلقتنا يعني من الارض وتاويل رفع راسك ومنها اخرجتنا
والسجدة الثانية واليها تعيدنا ورفع راسك ومنها تخرجنا تارة اخرى
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان
في العمر مرة واحدة وما افلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيها
بمخادع نفسه غافل لاه عما اعد الله للساجدين من البشر العاجل
وراحة الآجل ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه في السجود
ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه
في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب
يطاه الخلق وانه ركب من نطفة يستقذرها كل احد وقد جعل الله
معنى السجود سبب التقرب اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد
من غيره الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري
من جميع الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون كذلك امر الباطن
فمن كان قلبه متعلقا في [illegible] دون الله فهو قريب من ذلك الشيء
بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته قال الله تعالى ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لا اطلع على قلب
عبد فاعلم فيه الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت
تقويمه وسياسته ومن اشتغل في صلوته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه
ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين   واذا جلست للتشهد بعد ...

حسب م

الحمد

الافعال الدقيقة والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة فاستشعر الخوف
التام والرهبة والحياء والوجل ان يكون جميع ما سلف منك غير واقع
على وجهه فتجعل يديك صفرا من فوائده الا ان يتداركك الله برحمته وتقبل
عملك الناقص بفضله وارجع الى مبدا الامر واصل الدين واستمسك بكلمة
التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان آمنا ان لم يكن حصل بيدك غيره
واشهد له بالوحدانية واحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم صلى الله عليه وآله ببالك واشهد له
بالعبودية والرسالة وصل عليه وآله وجدد العهد لله باعادة كلمتي الشهادة
متعرضا بها لتاسيس مراتب العبادة فانهما اول الوسائل واساس
الفواضل مترقبا للاجابة صلى الله عليه وآله وسلم لك بصلوتك عشرا
من صلواته اذا اقمت بحقيقة صلوتك عليه التي لو وصل اليك منها واحدة
افلحت ابدا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التشهد ثناء على الله فكن عبدا له
في السر خاضعا له في الفعل كما انك له عبد في القول والدعوى وصل
صدق لسانك بصفاء سرك فانه خلقك عبدا وامرك ان تعبده بقلبك
ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم ان نواصي
الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيته وهم عاجزون
عن اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه [illegible] فاستعمل العبودية
في الرضا بحكمته وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلوة على نبيه
محمد صلى الله عليه وآله فاوصل صلوته بصلوته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته
وانظر ان لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلوته
واذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك بحضرة سيد المرسلين والملائكة
المقربين وبقية انبياء الله والائمة عليهم السلام والحفظة لك من الملائكة

فتجعل ظ بدل

صح

المحسنين لا على لك واحضرهم جميعا في بالك وقل السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته واياك ان تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب
في ذهنك فتكون من العابثين واللاعبين وكيف يسمع الخطاب لمن
لا تقصد لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة ورافته الكاملة في اجزائه
بذلك عن اصل الواجب وان كان بعيدا عن درجات القبول منحطا
عن اوج القرب والوصول وان كنت اماما لقوم فاقصدهم بالسلام
مع من تقدم من المقصودين وليقصدوا هم الرد عليك ايضا ثم يقصدوا
بقصدك لسلام ثان فاذا فعلتم ذلك فقد اديتم وظيفة السلام واستحققتم
من الله مزيد الاكرام وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام معنى السلام
في دبر كل صلوة الامان اي من ادى امر الله وسنة نبيه خالصا
له خاشعا قلبه فله الامان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الاخرة
والسلام اسم من اسماء الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات
والامانات والانصافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم
وان اردت ان تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله وليسلم
منك دينك وقلبك وعقلك ان لا تدنسها بظلمة المعاصي وليسلم
حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم
ثم صديقك ثم عدوك فان لم يسلم منه من هو الاقرب اليه فالابعد
اولى ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا اسلام وكان كاذبا
في سلامه وان افشاه في الخلق اعلم ان تخليص الصلوة عن الافات
واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع
والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار

مفاتيح

مفاتيح للعلوم الباطنة قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة اي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين
بالصلوة فقال في اخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك
الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام
العبد المؤمن في صلوته نظر الله اليه او قال اقبل الله عليه حتى ينصرف
واظلته الرحمة من فوق راسه الى افق السماء والملائكة تحفه من حوله
الى افق السماء ووكل الله به ملكا قائما على راسه يقول ايها المصلي لو تعلم
من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك ابدا
وتخص صلوة الجمعة باستحضار ان يومها يوم عظيم وعيد شريف
خص الله به هذه الامة وجعله وقتا شريفا لعباده ليتقربوا فيه من جواره
ويبعدهم من طرده وناره وحثهم فيه على الاقبال بصالح الاعمال
وتلافي ما فرط منهم في بقية الاسبوع من الاهمال وجعل اهم ما يقع فيه
من طاعته وما يوجب الزلفى لديه صلوة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه
الكريم بذكر الله وخصها من بين ساير الصلوات التي هي افضل
القربات بالذكر فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون وفي هذه الاية الشريفة من التنبيهات والتاكيدات
ما ينتبه له من له حظ من المعاني ومن اهم رموزها التعبير عن الصلوة
بذكر الله فانه نبه بهذا على ان الغرض الاقصى من الصلوة ذكر الله
بالقلب واحضار عظمته بالبال فان هذا واشباهه هو السر لكون الصلوة

نا هية عن الفحشاء والمنكر وهذا انما يتم مع التوجه التام الى الله وملاحظة
جلاله الذى هو الذكر الاكبر والكثير على ما ورد فى بعض التفسير فضلا عن ان يكون
ذكرا مطلقا فمن ثم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات او لتهيؤ
والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والمثول فى حضرته
والفوز بمحادثته بعد الاتيان بمقدمات الصلوة من وظايف اليوم
من التنظيف والتطيب والتعمم وحلق الراس وقص الشارب والاظفار
وغير ذلك من السنن بقلب مقبل صاف ونية خالصة وعمل مخلص كما تعمل في لقاء
ملك الدنيا ولا تقصد بهذه الوظايف حظك من الرفاهية وتحسين
صفقتك وتطهر بعد ذلك جسدك وكلما امكنك تكثير المطالب التى
يترتب عليها الثواب بعملك فاقصدها يضاعف ثواب عملك بقصدها
ان امكنك ذلك . واما صلوة العيدين فاحضر فى قلبك
انهما فى يوم قسمة الجوايز وتفرقة الرحمة وافاضة المواهب على من قبل
صومه وقربانه وقام بوظايفهما فاكثر من الخشوع فى صلواتك والابتهال
الى الله تعالى فيهما وقبلهما وبعدها فى قبول اعمالك والعفو عن تقصيرك
واستشعر الحياء والخجلة من حيرة الرد وخذلان الطرد فليس لك اليوم
بعيد من لبس الجديد وانما هو عيد من امن الوعيد وسلم من النقاش
والتهديد واستحق بصالح اعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به
يوم الجمعة من الوظايف واسباب التهيؤ للاقبال بالقلب على ربك
والوقوف بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة والخضوع لديه والحضور فى حكمه
فيه بالم التحقق لاجله من متاع الدنيا بل بكثرة عوائد الله فيه على من عامله
بمتاجر الاخرة . واما الآيات فاستحضر عندها اهوال الاخرة

فعند ذلك لا يفضحه بما [illegible] عنه به

ولا

١٢٤

قوله تعالى اذا الشمس كورت قال ابن عباس كورت وقال قتادة ذهب ضوءها منه

وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيمة ووجل الخلايق وخوفهم من الاخذ
والنكال فى العقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال بين الخضوع
والخشوع والخوف والوجل فى النجاة من تلك الشدائد ورد النور بعد الظلمة
والمسامحة على الهفوة والزلة وتب الى الله من ذنوبك واحسن التوبة
عسى ان ينظر اليك وانت منكسر النفس مطرق الراس مستحى من التقصير
فيقبل توبتك ويسامح هفوتك قال السجاد لا يفزع للايتين ولا يرهب
الا من كان من شيعتنا فاذا كان ذلك منهما فافزعوا الى الله
وراجعوه وقال الرضا انما جعلت للكسوف صلوة لانه من ايات
الله تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت ام لعذاب فاحب النبى ص ان يفزع
امته الى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم
مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا الى الله عز وجل
ينبغى للمصلى ان يعقب فرايضه بالذكر والدعاء فقد ورد فى فضلها
ولا سيما عقيب الصلوات ما لا يحصى اما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام
او فى اكثر الاوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة العبادات
وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس والحب واخره يوجبه الانس
والحب والمطلوب منه ذلك الانس فان العبد فى بداية الامر
يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس الى ذكر الله تعالى
فان وفق للمداومة انس به وانغرس فى قلبه حب المذكور ومن احب
شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شئ وان كان متكلفا احبه ثم اذا حصل
الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله يفارقه عند الموت
ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع

العوايق الصارفة عنه او ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله
ولا يبقى بعد الموت عائق فكانه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته
وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه وهذا الانس يتلذذ
به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء
واما الدعاء فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث النبوي وعن الباقر
في قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين قال هو الدعاء وافضل العبادة الدعاء وقال في قوله سبحانه
ان ابرهيم لاواه حليم قال الاواه هو الدعاء وسئل اي العبادة
افضل فقال ما من شئ افضل عند الله من ان يسئل ويطلب مما عنده
وما احد ابغض الى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسئل ما عنده
وقال امير المؤمنين احب الاعمال الى الله عز وجل في الارض الدعاء
وكان رجلا دعاء وقال الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح
وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي وفي المناجاة سبب النجاة
وبالاخلاص يكون الخلاص فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع
وفي مصباح الشريعة قال الصادق احفظ ادب الدعاء وانظر من
تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعوا وحقق عظمة الله وكبرياءه وعاين
بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما يكن فيه من الحق والباطل
واعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعوا الله بشئ فيه هلاكك
وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى ويدعوا الانسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وتفكر ماذا تسئل ولماذا
تسئل والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في بشاشة

الرب وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها الى الله
فان لم تات بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السر واخفى فلعلك
تدعوه بشئ قد علم من نيتك بخلاف ذلك واعلم انه لو لم يكن امرنا الله
بالدعاء لكنا اذا اخلصنا الدعاء تفضل علينا بالاجابة فكيف وقد ضمن
ذلك لمن اتى بشرائط الدعاء وقال فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرائط
الدعاء واخلصت سرك لوجهه فابشر باحدى ثلث اما ان يعجل لك
ما سئلت او يدخر لك ما هو اعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء
ما ان لو ارسله عليك لهلكت وروي عن الصادق انه قرأ امن يجيب المضطر
اذا دعاه فسئل ما لنا ندعو ولا يستجيب لنا فقال لانكم تدعون من
لا تعرفونه وتسئلون ما لا تفهمونه فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء
مع العمى عن الله من علامة الخذلان من لا يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره
تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء والحكم
على الله من الجراة على الله

في تلاوة القران قال

النبي القران هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور
من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية
وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الاخرة وفيه كمال دينكم وما عدل
احد عن القران الا الى النار وقال انا اول وافد على العزيز الجبار
يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسئلهم ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي
وقال امير المؤمنين صلوات الله عليه في وصاياه لابنه محمد بن الحنفية وعليك بتلاوة
القران والعمل به ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وامره ونهيه
والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك فانه عهد من الله تبارك وتعالى

الى خلقه فهو واجب على كل مسلم ان ينظر كل يوم فى عهده ولو خمسين اية
واعلم ان درجات الجنة على قدر ايات القران فاذا كان يوم القيمة
يقال لقاري القران اقرأ وارق فلا يكون فى الجنة بعد النبيين والصديقين
ارفع درجة منه وعن الباقر ع يجي القران فى احسن منظور اليه صورة
فيمر بالمسلمين فيقولون هذا رجل منا فيجاوزهم الى النبيين فيقولون هو
منا فيجاوزهم الى الملئكة المقربين فيقولون هو منا حتى ينتهى الى رب العزة
جل وعز فيقول يا رب فلان بن فلان اظمأت هواجره واسهرت
ليله فى دار الدنيا وفلان بن فلان لم اظمأ هواجره ولم اسهر ليله
فيقول الله تع ادخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن
اقرأ وارقه قال فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التى هى
فينزلها وعن النبى صلى الله عليه واله ما يقرب منه مع زيادات وعن الصادق ع
قال قال رسول الله ص اقرأوا القران بالحان العرب واصواتها
واياكم ولحون اهل الفسق والكباير فانه سيجي بعدى اقوام يرجعون القران
ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب
من يعجبه شانهم وعنه ع انه سئل عن قول الله عز وجل ورتل القران
ترتيلا قال قال امير المؤمنين ع بينه تبيانا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره
نثر الرمل ولكن اقرعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم احدكم اخر السورة
وفى رواية اخرى قال الترتيل هو حفظ الوقوف وبيان الحروف وعن الصادق ع
هو ان تمكث وتحسن به صوتك وعنه ع قال القران نزل بالحزن
فاقرأوه بالحزن وعن النبى ص اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا وعن الصادق ع قال النبى لكل شى حلية وحلية القران الصوت

الحسن وعنه ع قال كان على بن الحسين احسن الناس صوتا بالقران وكان
السقاؤن يمرون فيقفون ببابه يسمعون قرائته فى مصباح الشريعة
قال الصادق ع من قرأ القران ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزنا
ووجلا فى سره فقد استهان بعظم شان الله وخسر خسرانا مبينا
فقارى القران يحتاج الى ثلثة اشياء قلب خاشع وبدن فارغ
وموضع خال فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم قال الله تع
فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاذا تفرغ نفسه
من الاسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القران
وفوائده واذا اتخذ مجلسا خاليا واعتزل من الخلق بعد ان اتى
بالخصلتين الاوليين استانس روحه وسره بالله ووجد حلاوة
مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم
بفنون كراماته وبدايع اشاراته فاذا شرب كاسا من هذا المشرب
لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا بل يؤثره
على كل طاعة وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر
كيف تقرا كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره
ونواهيه وكيف تمتثل حدوده فانه كتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا وقف
عند وعده ووعيده وتفكر فى امثاله ومواعظه واحذر ان تقع
من اقامتك حروفه فى اضاعة حدوده ينبغى لتالى القران
من امور باطنية منها فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله تع ولطفه
بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف

تحلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف
تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز
البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا
استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش
ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت
الله موسى عم لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار
دكا وهذا كما ان الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير
ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها ورأوا الدواب
يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انواع عقلهم مع حسنه وترتيبه
وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم
الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بها من النقر والصفير
والاصوات القريبة من اصواتها التي تطيق حملها وكما ان اجساد البشر
تكرم وتعز لمكان الروح كذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي
فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم
في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى
ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل
ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة
كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون
من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط
ومنها التعظيم للمتكلم فالقارى عند البداية بتلاوة القران ينبغي
ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرأه ليس من كلام البشر

فصل

الرابع

وان في تلاوة كلامه غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما
ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان
متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب
الا اذا كان منقطعا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما
لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان
ولا لنيل معانيه كل قلب ومنها حضور القلب وترك حديث النفس
وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس
ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس به القلب ان كان التالي
اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج
والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ومنها التدبر
وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القران ولكنه يقتصر
على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة
التدبر قال الله تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر
في الباطن قال امير المؤمنين عم لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا
في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بالترديد فليردد
وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قام بنا رسول الله صلعم فقام ليلة باية
يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم ومنها التفهم وهو ان يستوضح من كل اية
ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر افعاله وذكر
احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر

اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله فكقوله ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر فليتأمل معاني هذه الصفات والاسماء لينكشف له
اسرارها فتحتها معان مدفونة لا ينكشف الا للموفقين واليه اشار
امير المؤمنين بقوله ما اسر الي رسول الله شيئا كتمه عن الناس
الا ان يؤتي الله تع عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك
الفهم واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم
التالي منها صفات الله جل جلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فيدل
عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن
عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء منه واليه وبه وله ومن لا يراه
في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله
باطل وان كل شيء هالك الا وجهه واما احوال الانبياء اذا سمع
منها كيف كذبوا وضربوا وقتلوا فليفهم منه صفة الاستغناء لله تع
عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع
نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال
المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف
من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء
الادب واغتر بما امهل فربما يدركه النقمة وينفذ فيه القضية وكذلك
اذا سمع وصف الجنة والنار وساير ما في القرآن فلا يمكن استقصاء
ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه
فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين   ومنها التخلي عن موانع
الفهم

الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها
الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار القرآن قال النبي صلى الله عليه
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني
القرآن من جملة الملكوت لانها انما تدرك بنور البصيرة دون الحواس
وحجب الفهم اربعة   ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها
من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقرآن ليصرف الناس
عن فهم معاني كلام الله ولا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم انه
لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى
ينكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل
هذا التلبيس   ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد
عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه
ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيدته معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه
ان يخطر بباله غير معتقده فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني
التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا
ببالك وهو خلاف معتقد آبائك   ان يكون مصرا على ذنب
او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب
ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المراة ولذلك قال النبي صلعم اذا عظمت
امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر
بالمعروف حرموا بركة الوحي وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر
قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال
انما يتذكر اولوا الالباب فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة

رابعها

فليس من اولي الالباب فلذلك لا يكشف له اسرار الكتاب
ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران
الا ما تناوله النقل وان ما وراء ذلك تفسير بالراى وان من فسر
القران برايه فقد تبوا مقعده من النار وهذا لا يدرى ان معنى التفسير
بالراى ولا الفهم بمعنى قول امير المؤمنين الا ان يؤتي الله العبد فهما
في القران وانه لو كان هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه

فصل

ومنها التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران
فان سمع امرا او نهيا قدر انه هو المامور والمنهي وان سمع وعدا
او وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين علم ان السمر غير مقصود
وانما المقصود الاعتبار وان ياخذ ما يحتاج اليه فما من قصة في القران
الا وسياقها لفائدة في حق النبي وامته ولذلك قال الله ما نثبت
به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده بالقصة عليه من احوال
الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله
وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله خاصة بل هو
شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله الكافة بشكر
نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا
اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس
امثالهم هذا بصائر وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب
جميع الناس فقد قصد الاحاد فهذا الواحد القارى مقصود فما له
ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال بعض الحكماء هذا القران رسائل

اتتنا

اتتنا من قبل ربنا بالعهود نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات
وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات ومنها التاثر وهو
ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال
ووجد ويتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها ومهما تمت
معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على ايات
القران فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف
عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار ثم اتبع ذلك باربعة شروط لمن تاب
وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع
شرايط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب
من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران من اوله
الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن
ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يؤمن به الا كثر حزنه
وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته
وبطالته فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة
فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد
يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح
وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته
وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض
صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث
باطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها

فالقرآن انما يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا
فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة بل التالي باللسان المعرض عن العمل
جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر
يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيها
اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ
العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار
والايتمار فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ
ومنها الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه
فدرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأه على الله تعالى
واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير
السؤال والتملق والتضرع والابتهال ثم ان يشهد بقلبه كان ربه
يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم
والاصغاء والفهم ثم ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات
الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قرائته ولا الى تعلق الانعام به
من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر
عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين
وما قبله من درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو من درجات
الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر الصادق فقال والله لقد تجلى
الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة
لحقته

لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت
اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة
قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجات ولذلك
قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني
اسمعه من رسول الله يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه كنت
اتلوه كاني اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول الله ثم جاء الله تعالى بمنزلة
اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت لذة ونعيما
لا اصبر عنه ومنها التبري واعني به انه يتبرى عن حوله وقوته
والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد
والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين
والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت
وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا
واشفاقا والى هذا اشار امير المؤمنين في الخطبة التي يصف فيها المتقين
بقوله واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا
ان زفير جهنم في اذانهم فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراءة
كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له
بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب
في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل
مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز
حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت
بحسب احواله فحيث يتلو ايات الرحمة ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف

لصورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف
بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف
والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة
واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب
القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة
بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا
والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام
منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

في الزكوة والمعروف قال الله تعالى واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة وقال النبي ص اذا منعت الزكوة منعت الارض
بركاتها وقال الباقر ع ان الله تعالى قرن الزكوة بالصلوة فقال
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة
فلم يقم الصلوة وقال الصادق ع ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم
من الزكوة وفيها تهلك عامتهم وقال من منع قيراطا من الزكوة
فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
فيما تركت وقال ع ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكوة ماله
الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعا اقرع يريده
وهو يحيد عنه فاذا راى انه لا يتخلص منه امكنه من يده فيقضمها
كما يقضم الفحل ثم يصير طوقا في عنقه وذلك قول الله تعالى سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة وما من ذي مال ابل او غنم او بقر يمنع زكوة
ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر يطاه كل ذات ظلف بظلفها
وتنهشه

وتنهشه كل ذات ناب بنابها وما من ذي مال نخل او كرم او زرع يمنع
زكوتها الا طوقه الله ريعة ارضه الى سبع ارضين الى يوم القيمة
وقال ع انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء ومعونة للفقراء ولو ان
الناس ادوا زكوة اموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض
الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا
الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته من منع حق الله
في ماله واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق انه ما ضاع مال في بر ولا بحر
الا بترك الزكوة وما صيد صيد في بر ولا بحر الا بتركه التسبيح في ذلك اليوم
وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس من ادى زكوة
ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله وفي رواية قال ان الله
حسب الاموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل الف خمسة وعشرين
درهما ولو لم يكفهم لزادهم وقال ان الزكوة ليس يحمد بها صاحبها وانما هو
شيء ظاهر انما حقن بها دمه وسمي بها مسلما ولو لم يؤدها لم يقبل له صلوة
وان عليكم في اموالكم غير الزكوة فقيل اصلحك الله وما علينا في اموالنا
غير الزكوة فقال سبحان الله اما تسمع الله تعالى يقول في كتابه والذين في اموالهم
حق للسائل والمحروم قيل فما ذا الحق المعلوم الذي علينا قال هو
والله الشيء يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم او في الجمعة او في الشهر قل او كثر
غير انه يدوم عليه وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال هو القرض
يقرضه والمعروف يصنعه ومتاع البيت يعيره ومنه الزكوة فقيل
ان لنا جيرانا اذا اعرناهم متاعا كسروه وافسدوه فعلينا جناح
ان نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا كذلك قيل

يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال ليس من الزكوة قيل قوله تعالى
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال ليس من الزكوة
قيل ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير
لكم قال ليس من الزكوة وقال انما اعطاكم الله هذه الفضول من الاموال
لتوجهوها حيث وجهها الله عز وجل ولم يعطكموها لتكنزوها وسئل
في كم تجب الزكوة من المال فقال اما الظاهره ففي كل الف خمسة وعشرون
واما الباطنه فلا تستاثر على اخيك بما هو احوج منك
المعروف هو الانفاق على النفس والعيال ثم ضرب من تجب صلته ثم الحق
المعلوم الذي يفرضه في ماله ثم كل صدقة على فقير او مروة اليه او غني
بالضيافة والهدية والاعانة ونحوها جلبا للخير او دفعا للشر دينيا
او دنيويا كما تعين شرعا او ايصال نفع عام ببناء مسجد ونحوه
او خاص كارشاد الضال والتعليم وقربان المراة للتعفف والعدل و
وقضاء حاجة المومن وانظار المعسر والتحليل والقرض والحمل على الدابة
وطيب الكلام والخطوة الى الصلوة والتوسيع على العيال والتبسم
في وجه اخيه واعارة المتاع واطراق الفحل وغير ذلك وقد يسمى
الكل بالصدقة سوى المروات وورد كل معروف صدقة والبر يشمل
الجميع وربما يخص بما سوى الصدقة وورد البر والصدقة ينفيان
الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء
وورد صنايع المعروف تقي مصارع السوء وشرط الانفاق
القوام قال الله عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما وعن الصادق ع انه تلا هذه الاية فاخذ قبضة
من حصى

من حصى وقبضها بيده فقال هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه ثم اخذ
قبضة اخرى فارخى كفه كلها ثم قال هذا الاسراف ثم اخذ قبضة اخرى
فارخى بعضها وامسك بعضها وقال هذا القوام ولا باس بالرجل اذا امسك
بالمراقبة لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصده في الادخار
الانفاق على قدر الحاجة دون الشح وصرف الفاضل عن الحاجة الى
ارجحها واظهر وجوهه قال النبي ص افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى يعني
ما يكون بعد الغنى والمؤنة لئلا يكون القلب متعلقا بالمعطى وقال ص
افضل الصدقة صدقة تكون عن فضل الكف يعني عما يفضل عن الكفاف
وقال لا يلوم الله على الكفاف يعني على اقتناء ما يكفي به
اعلم ان السر في ايجاب الزكوة وانفاق المال امتحان العبد وفيه ثلثة
معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة
بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء بذلك ان لا يبقى للموحد محبوب سوى
الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى
وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها
آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون من الموت
مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعويهم في المحبوب واستنزلوا
عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله
اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمعنى الثاني
التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي ص ثلث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال الله عز وجل ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانما يزول صفة البخل بان يتعود بذل

المال لحب الشي لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا
فالانفاق بهذا المعنى يطهر صاحبه عن خبث البخل المهلك وانما طهارته
بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى والمعنى
الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله فالعبادات
البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر
الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر
الله تعالى في اغنائه عن السؤال ينبغي للمنفق ان يغتنم الفرصة
مهما ظهرت داعية الخير من الباطن فان ذلك لمة الملك وقلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان
يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك وان لا يحوج
الفقير الى السؤال فوزداته بمكافاة لوجهه المبذول وثمن لما اخذه منه
وليس بمعروف ويعين لغير الموقت وقتا فاضلا كشهر رمضان وسيما عشر
اخره وذي الحجة وسيما عشر اوله والغدير ويسر في المستحب بحيث لا يدري
شماله ما يعطي يمينه قال الصادق عليه السلام الصدقة في السر والله افضل من الصدقة
في العلانية وكان عليه السلام اذا اعتم وذهب من الليل شطره اخذ جرابا فيه
خبز ولحم والدراهم وحمله على عنقه ثم ذهب به الى اهل الحاجة من اهل
المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه فلما مضى عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا انه كان
ابا عبد الله عليه السلام ومعنى اعتم صلى العتمة وعن النبي صلى الله عليه وآله صدقة السر تطفئ
غضب الرب وقال الصادق عليه السلام كلما فرض الله عليك فاعلانه افضل
من اسراره وكلما كان تطوعا فاسراره افضل من اعلانه فلو ان رجلا
حمل زكوة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا وقال

قوله

في قوله عز وجل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال هي سوى الزكوة
وسئل النبي صلى الله عليه وآله اي الصدقة افضل قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح تامل
البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا
ولفلان كذا وينبغي ان يستصغر الاعطاء ليعظم عند الله وهو يذكر
التوفيق والثواب قال الصادق عليه السلام رايت المعروف لا يصلح الا بثلث
خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه
واذا سترته تممته واذا عجلته هنأته وان كان غير ذلك محقته
ونكدته ويعطي الاجود والاحب والابعد عن الشبهة قال الله تعالى
ويجعلون لله ما يكرهون وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه
اي لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا
به ربكم وان يعينه ان قدر فورا واذا اعطيته فاعنه ويقبل يده
بعد الاعطاء لانه يقع في يد الله تعالى اولا قال امير المؤمنين اذا ناولتم
السائل فليرد الذي يناوله يده الى فيه فيقبلها فان الله عز وجل ياخذها
قبل ان تقع في يده فانه عز وجل ياخذ الصدقات وقال رسول الله
ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الاية
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وان الله
هو التواب الرحيم وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالى يقول ما من شيء الا وقد وكلت به
من يقبضه غيري الا الصدقة فاني اتلقفها بيدي تلقفا حتى ان الرجل
ليتصدق او المرأة تتصدق بالتمرة او بشق التمرة فاربيها له كما يربي

الرجل فلوه وفصيله فيلقاها يوم القيمه وهى مثل جبل احد واعظم من احد
وان يلتمس الدعا من الاخذ لان دعائه يستجاب فيه ويصرف
الى من يكثر باعطائه الاجر بكونه متقيا عالما صادقا يرى النعمه من الله
تعه ساترا للحاجه مجهورا فى سبيل الله محبوسا فى طريق الاخره بمرض
او عيله او ضيق معيشه او اصلاح قلب او سبب من الاسباب ولكن
يرفع اهل العلم والايمان من الزكوه الوجبه والتصدقات لانها
اوساخ الاموال فورد ايحب احدكم ان يغسل يده ثم يصبه
على اخيه المومن ان وسخ الذنوب اعظم من وسخ البدن فيوسع عليهم
بالهدايا والصلات ويبدا بمن يعول ثم الاقرب فالاقرب والاهم
فالاهم وورد ان افضلها على ذى الرحم الكاشح يعنى المبغض وكانه لمخالفة
الهوى وورد لا صدقه وذو رحم محتاج الصدقة بعشرة والقرض
بثمانيه عشر وصلة الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وان يتصدق
فى كل يوم ويباكر بها ليبادر بها البلا ولا يرد السائل الا بلطف فورد
اكرم السائل ببذل يسير او برد جميل اطعموا ثلثه وان شئتم ان تزدادوا
فازدادوا والا فقد اديتم حق يومكم وان يغتنم السائل سيما فيما رق له
القلب فهو علامة صدق السائل ولا يسى الظن بنفسه عند فقده ولا يحقر
ما عنده فورد لا تستحيوا من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه وورد
افضل الصدقه جهد المقل وان لا يملك ما تصدق به اختيارا وان يقسم
صدقة الخير فورد انه احد المعطين ويجتنب المن والاذى قال الله تعه
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قول معروف ومغفرة خير من صدقة
يتبعها اذى والمن ان يرى نفسه محسنا ويعرف بقوة استبعاد جناية
القابض

١٣٤

القابض بعد العطا والمحسن هو القابض لايصاله الى الثواب والانجا من العقاب
وكونه نايبا عنه تعه وهو حق تعالى عز وجل احال عليه الفقير انجازا لما وعده
من الرزق والاذى التعيير والتوبيخ والقول السى والقطوب والاستخدام
وهتك الستر والاستخفاف وسببه استكثار العطا والتكبر على القابض
الناشيين من الجهل برجحان رضاء الله تعه على خسيس فان ولسيان
فضل الفقير وعن الصادق كان امير المومنين يقول من علم ان ما صنع انما صنع
الى نفسه لم يستبطئ الناس فى شكرهم ولم يستزدهم فى مودتهم فلا تلتمس من غيرك
شكر ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك واعلم ان الطالب اليك
الحاجه لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن رده وعن الباقر انه
قيل له الرجل من اصحابنا من يستحيى ان ياخذ من الزكوة فاعطيه من الزكوة
ولا اسمى له انها من الزكوة فقال اعطه ولا تسم له ولا تذل المومن
ينبغى للاخذ ان يعلم ان الله تعه امر المعطى بصرفه اليه ليكفى مهمه
فيتجرد للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطى فيدعو له ويثنى عليه مع رؤية
الروية النعمه من الله سبحانه قال النبى من لم يشكر الناس لم يشكر الله
وقال الصادق لعن الله قاطعى سبيل المعروف قيل وما قاطعوا سبيل المعروف
قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من ان يصنع ذلك
الى غيره وان كان له معروف كافاه بما يستطيع ولو بالثنا والقول الجميل
فعن النبى من اتى اليه معروف فليكاف به وان عجز فليثن
وان لم يفعل فقد كفر النعمه وعن الصادق قال كان امير المومنين يقول
من صنع بمثل ما صنع اليه فانما كافاه ومن اضعفه كان شكورا ومن شكر
كان كريما ويستر عيوب صاحب العطا ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع

اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة
لئلا يكون مشركا كما فعل الصادق في قول الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون قال هو الرجل يقول لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت كذا قوله
وكذا ولولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه جعل لله شريكا في ملكه
يرزقه ويدفع عنه قيل فيقول لولا ان الله من علي بفلان لهلكت
قال نعم لا باس بهذا ونحوه وان يتوقى مواقع الريبة والشبهة في اصله
ومقداره فلا ياخذ ممن لا يحل ماله ولا الزيادة على قدر الحاجة ولا الى
على رؤس الملاء ممن يستحيي الرد ويتورع العالم من اخذ الزكوة ما لم يضطر
اليه تنزيها لنفسه عن الاوساخ وان يستر الاخذ بنية انه ابقى لستر
المروة وكشف الحاجة والتعفف واسلم لقلوب الناس والسنتهم
من الحسد وسوء الظن والغيبة واعانة للمعطي على الاسرار واصون
لنفسه عن الاذلال وعن شبهة الشركة فان الحضار شركاؤه فيها
او يظهر بنية الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال واسقاط
الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر واقامة
سنة الشكر وغير ذلك فانه يختلف باختلاف النيات والاحوال
والاشخاص فليراقب ذلك فانه موضع الغرور   ينبغي للمؤمن
ان لا يسئل الناس من غير حاجة اضطره اليه بل يستعفف عن السؤال
ما استطاع فانه ذل في الدنيا وفقر معجل وحساب طويل
يوم القيمة قال النبي ص يوما لاصحابه الا تبايعون فقالوا قد بايعناك
يا رسول الله قال تبايعون على ان لا تسئلوا الناس شيئا فكان
بعد ذلك تقع المخصرة من يد احدهم فينزل لها ولا يقول لاحد ناولنيها اريد بالمخصرة السوط

وقال

وقال لو ان احدكم ياخذ حبلا فياتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها
وجهه خير له من ان يسئل وقال من سئلنا اعطيناه ومن استغنى
اغناه الله وقال النبي ص حلفت على ربي ان لا يسئل احد احدا
من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسئلة يوما الى ان يسئل من حاجة
ونظر ع يوم عرفة الى رجال يسئلون فقال هؤلاء شرار من خلق
الله الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس وقال الباقر
اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه
باب فقر وقال ع طلب الحوائج الى الناس استلاب للعزة
ومذهبة للحياء واليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن والطمع هو
الفقر الحاضر وقال الصادق ع شيعتنا من لا يسئل الناس شيئا ولو مات
جوعا وقال ع لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سئل احد احدا
ولو يعلم المسئول ما عليه اذا منع ما منع احد احدا وقال من سئل
من غير حاجة فكانما ياكل الجمر وسئل رجل النبي فقال اسئلك بوجه الله
فامر النبي فضرب خمسة اسواط ثم قال سل بوجهك اللئيم ولا تسئل بوجه
الله الكريم   اعلم ان للجسد زكوة كما ان في المال زكوة
وهو نقصه لمزيد الخير والبركة اما اضطرارا بان يصاب بآفة او اختيارا
بان يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية فعن الصادق ع قال قال النبي ص
يوما لاصحابه ملعون كل مال لا يزكى ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل
اربعين يوما مرة قيل له يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها
فما زكوة الاجساد فقال لهم ان تصاب بآفة فتغيرت وجوه الذين سمعوا قال ح
ذلك منه قال فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال هل تدرون

ما عنيت بقولی قالوا الا یا رسول الله قال ان الرجل یخدش الخدشة وینکب
النکبة ویعثر العثرة ویمرض المرضة ویشاک الشوکة و ما اشبه هذا حتی ذکر
فی حدیثه اختلاج العین و فی مصباح الشریعة قال الصادق علیه السلام علی کل جزء من اجزائک
زکوة واجبة لله عز و جل بل علی کل منبت شعرک بل علی کل لحظة فزکوة
العین النظر بالعبرة و الغض عن الشهوات و ما یضاهیها و زکوة الاذن
استماع العلم و الحکمة و القرآن و فوائد الدین من الموعظة و النصیحة
و ما فیه نجاتک و الاعراض عما هو ضده من الکذب و الغیبة و اشباههما
و زکوة اللسان النصح للمسلمین و ایقاظ الغافلین و کثرة التسبیح
و الذکر و غیره و زکوة الید البذل و السخی بما انعم الله به علیک
و تحریکها بکتبة العلوم و منافع ینتفع بها المسلمون فی طاعة الله
تعالی و القبض عن الشرور و زکوة الرجل السعی فی حقوق الله من زیارة
الصالحین و مجالس الذکر و اصلاح الناس و صلة الرحم و الجهاد
و ما فیه صلاح قلبک و سلامة دینک هذا ما یحتمل القلوب فهمه
و النفوس استعماله و ما لا یشرف علیه الا عباده المقربون المخلصون
اکثر من ان یحصی و هم اربابه و هو شعارهم و دثارهم و عن النبی صلی الله علیه و آله
لکل شیء زکوة و زکوة الابدان الصیام

فی الصوم

قال الله تعالی کتب علیکم الصیام کما کتب علی الذین من قبلکم لعلکم
تتقون و قال النبی صلی الله علیه و آله الصوم جنة من النار و قال الصائم فی عبادة
و ان کان نائما علی فراشه ما لم یغتب مسلما و قال قال الله تعالی
الصوم لی و انا اجزی به و للصائم فرحتان حین یفطر و حین یلقی
ربه عز و جل و الذی نفس محمد بیده لخلوف فم الصائم عند الله

اطیب

اطیب من ریح المسک و قال الباقر علیه السلام بنی الاسلام علی خمسة اشیاء
علی الصلوة و الزکوة و الحج و الصوم و الولایة و قال الصادق علیه السلام من صام لله عز و جل
یوما فی شدة الحر فاصابه ظمأ و کل الله به الف ملک یمسحون وجهه و یبشرونه
حتی اذا افطر قال الله تعالی ما اطیب ریحک و روحک یا ملائکتی اشهدوا
انی قد غفرت له و بالتحریک النفس و قال نوم الصائم عبادة و صمته
تسبیح و عمله متقبل و دعاؤه مستجاب و قال الکاظم علیه السلام قیلوا فان الله
تبارک و تعالی یطعم الصائم و یسقیه فی منامه قیل و لو لم یکن فی الصوم
الا الارتقاء من حضیض حظوظ النفس البهیمیة الی ذروة التشبه
بالملائکة الروحانیة لکفی به فضلا و منقبة و انما کان الصوم جنة من النار
لانه یدفع حر الشهوة و الغضب اللتین بهما تصلی نار جهنم فی باطن الانسان
فی الدنیا و تبرز له فی الآخرة کما ان الجنة تدفع عن صاحبها حر الحدید
و انما قال ما لم یغتب مسلما لان الغیبة اکل لحم المیتة فهو نوع من الاکل
تتقوی به البدن و انما کان الصوم لله و مشرفا بالنسبة الی الله
و ان کانت العبادات کلها له کما شرف البیت بالنسبة الیه و الارض
کلها له لمعنیین احدهما ان الصوم کف و ترک و هو فی نفسه سر
لیس فیه عمل یشاهد و جمیع الطاعات بمشهد من الخلق و مرئی و الصوم لا یعلمه
الا الله فانه عمل فی الباطن بالصبر المجرد خالص لله و جزاؤه من عنده
خاصة من غیر مشارکة احد فیه و الثانی انه قهر لعدو الله فان وسیلة
الشیطان الشهوات و انما تقوی الشهوات بالاکل و الشرب و لذلک
قال النبی صلی الله علیه و آله ان الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم فضیقوا مجاریه بالجوع
فالشهوات مرتع الشیاطین و مرعاهم فما دامت مخصبة لم ینقطع ترددهم

ظهور

وما داموا يترددون فلا ينكشف على العبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه
قال رسول الله ص لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا
الى ملكوت السماء وسبب الفرحة عند الافطار اما للخواص فاستبشارهم
التوفيق من الله عز وجل على اتمام الصيام ونيل الاجر واما للعوام فانقضاء
المقاساة ونيل المشتهيات وسبب الفرحة عند لقاء الرب اما للخواص
فحصول نور القلب لهم المستفد من انكسار قوى الشهوة والغضب
المطمئنين له بالجوع الباعث لهم الى التعبد والله عيانا كانهم يرونه وهو
المعنى باللقاء واما للعوام فمشاهدتهم الثواب في الاخرة حين يلقون
ربهم للمجازاة وخلوف الفم تغيره وانما صار اطيب عند الله
من ريح المسك لانه سبب طيب الروح الذي هو عند الله من المسك
كما ان بدنه عند نفسه واليه اشير في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله
باق واين طيب الروح من طيب المسك فان الاول روحاني عقلي
معنوي والثاني جسماني حسي صوري اعلم ان للصوم ثلث
درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم
فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص فهو كف
السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام
قال الصادق ع اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدد اشياء
غير هذا وقال لا يكون يوم صومك كيوم فطرك وزاد في خبر اخر
ودع المراء واذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام قال رسول الله ص
سمع امراة تسب جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها كلي فقالت
اني صائمة فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ان الصوم ليس
من الطعام

من الطعام والشراب فقط وعن النبي ص انما الصوم جنة فاذا كان احدكم
صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرء قاتله او شاتمه فليقل اني صائم
اني صائم وقال ص من اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه وان مات
وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وقال كم من صائم ليس له من صومه
الا الجوع والعطش وقال الصادق ع ان الكذبة لتفطر الصائم قيل
واينا لا يكون ذلك منه قال ليس حيث تذهب انما ذاك الكذب
على الله وعلى رسوله وعلى الائمة ع ومعنى بطلان الصوم بالكذب
والغيبة وغيرهما مما لا يعده الفقهاء من المفطرات عدم قبول الصوم
وترتب الثواب عليه دون الاجزاء والخروج عن عهدة التكليف كما مر
تحقيقه في باب الصلوة ولذلك شرطنا ذلك في صوم الخصوص دون العموم
واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار
الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر
فيما سوى الله واليوم الاخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين
فان ذلك زاد الاخرة وليس من الدنيا قال ارباب القلوب
من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه
خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه
الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين وفي مقابلها
من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فما من وعاء
ابغض الى الله من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر
عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره
وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة

ضحوة النهار بعد طلوع الشمس

لشهر رمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان
مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت
المعدة ضحوة النهار الى العشا حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها
ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها
وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها
فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود
الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان
ياكلها كل ليلة لو لم يصم واما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل
ليلا فلم ينتفع بصومه ولا يخف عليه تهجده وليلة القدر عبارة عن الليلة
التي ينكشف فيها شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين صدره
مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك
لرفع الحجاب حتى يخلو همه عن غير الله تع وذلك هو الامر كله ومبدا
ذلك تقليل الطعام   في مصباح الشريعة قال الصادق ع قال رسول الله ص
الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة
فاذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات
الشيطان فانزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاما وشرابا
متوقعا في كل لحظة شفاك من مرض الذنوب وطهر باطنك من كل
كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله تع قال
رسول الله قال الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به فالصوم يميت
مراد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة
الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان الى الفقراء وزيادة التضرع
والخشوع

والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب
وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبها لمن عقله
ووفق لاستعماله.   في الحج وزيارة المشاهد قال الله تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله
غني عن العالمين وقال النبي من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا وان شاء نصرانيا وقال الصادق ع من مات ولم يحج حجة الاسلام
ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به او مرض لا يطيق فيه الحج او سلطان يمنعه
فليمت يهوديا او نصرانيا والاخبار في فضل الحج والعمرة اكثر من ان تحصى
وهي مذكورة في مواضعها مع كيفية اعمالهما واما بيان السر فيهما فاعلم
انه لا وصول الى الله تع الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات
والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات
والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق
وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله
فتركوا اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة
واثنى الله تع عليهم في كتابه فقال ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله وقال وذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق
على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنها
بعث الله تع محمدا ص لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين
في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال
ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين

فقال انهم الصائمون فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية
لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصد العباد
وجعل ما حواليه حرما لبيته وتفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء
حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة
الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا
غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته
مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك
ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك
وظف عليهم فيها اعمالا لا يانس بها النفوس ولا يهتدي الى معانيها
العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل
التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة
ارفاق ووجهه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي
عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلوة
تواضع لله تعالى بافعال هي هيئات التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله
فاما ترددات السعي ورمي الجمار فلا حظ للنفس ولا انس للطبع
فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون للاقدام عليها باعث
الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع
فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان
كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا
للامر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال
النبي ص في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل في صلوة
وغيرها

(حام الطائر حول الشيء اذا دار صح)

(ذلك عه)

[illegible]

وغيرها واذا اقترن حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بان يكون اعمالهم
على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون
في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى
الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى
الطبع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت
ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار
التعبدات وقد ظهر مما ذكر ان قاصد البيت قاصد الى الله وزائر
له فبالحري ان يفوز بلقاء الله في ميعاده المضروب له والشوق
الى لقاء الله يشوق الى اسباب اللقاء فيجعل عزمه خالصا لوجه
الله بعيدا عن شوائب الرياء وغيره ينبغي للحاج عند توجهه
الى الحج وخروجه من بلده ان يرد المظالم ويتوب الى الله توبة
خالصة ويقطع علاقة قلبه عن الالتفات الى ما وراءه ليكون متوجها
الى الله بوجه قلبه وليقدر انه لا يعود وليكتب وصية لاهله واولاده
ويتهيأ لسفر الاخرة فان ذلك بين يديه على قرب وان يتأدب
باداب السفر كلها كما هي مذكورة في موضعها ولا سيما توسيع
الزاد وتطييبه وطيب الكلام ولينه وخفض الجناح ما استطاع
فورد بر الحج طيب الكلام واطعام الطعام وليس للحج المبرور
جزاء الا الجنة وعدم الاهتمام بالانفاق وبما اصيب في المال
فدرهم منه يعدل سبعمائة في سبيل الله وان يكون قلبه مطمئنا
منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره محضرا عند كل حركة وسكون
متذكرا به امرا اخرويا يناسبه ويكون اشعث اغبر غير متزين والمشي

(اي تزكية النفوس المطهرة من الاخلاق الذميمة صح)

(صدر رجع من الورد صدرا صح)

(المظلمة بفتح اللام وكسرها ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما اخذ منك بغير حق صح)

(قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يعني تواضع لهما صح)

(ان الصفا والمروة من شعائر الله اي من اعلام مناسكه [illegible] صح)

[illegible]

ان قدر خصوصا بين المشاعر فوره ما عبد الله بشيء افضل من المشي لا التقيير
النفقة مع اليسار فان الركوب حينئذ افضل كما ورد وسيما لمن ضعف
بالمشي وساء خلقه وقصر في العمل فوره ركبوا احب الي فان ذلك
اقوى على الدعاء والعبادة وكان الحسن بن على يمشي ويساق معه
المحامل والرحال. واذا احضرت الراحلة فليشكر الله بقلبه
على تسخيره له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة فاذا دخل البادية
متوجها الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها
ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيمة وما بينهما
من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول
سوال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه
وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه
وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله
واقواله متزودا لمخوف القبر وليتذكر عند لبس ثوبي الاحرام لبس
الكفن ولفه فيه وانه سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة
فانه كما لا يلقى بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة
فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب
قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما لا مخيط في الكفن
واما الاحرام والتلبية من الميقات فليعلم انه اجابة نداء الله
فليرج ان يكون مقبولا وليخش ان يقال له لا لبيك ولا سعديك
وليكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حوله وقوته متبريا وعلى فضل
الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر

وقد ورد ان النبي لما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وارتعش
ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقال
لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته
فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه. واذا دخل مكة فليتذكر عنده
انه قد انتهى الى حرم امن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب
الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا
مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم
وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع
فاذا وقع بصره على البيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت
في قلبه ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وليرج ان يرزقه
لقاءه كما رزقه لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه اياه هذه الرتبة
والحاقه اياه بزمرة الوافدين اليه. واما الطواف فانه صلوة
فليحضر قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما سبق في باب الصلوة
وليعلم انه في الطواف متشبه بالملئكة المقربين الحافين حول العرش
الطائفين حوله ولا يظن ان المقصود طواف جسمه بالبيت بل المقصود
طواف قلبه بذكر رب البيت حتى لا يبتدي الذكر الا به ولا يختم الا به
كما يبتدي الطائف الطواف من البيت ويختم بالبيت وليعلم ان
الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت
مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهو عالم
الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي
لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة

الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب الى هذه الموازنة وقعت
الاشارة بان البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة وان طواف
الملئكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر
الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا
بان من تشبه بقوم فهو منهم واما استلام الحجر فليعلم انه بمنزلة اليمين
قال رسول الله صلعم استلموا الركن فانه يمين الله فى خلقه يصافح بها
خلقه مصافحة العبد او الدخيل وليشهد لمن استلمه بالموافاة اراد
بالركن الحجر الاسود لانه موضوع فى الركن وانما شبهه باليمين لانه
واسطة بين الله وبين عباده فى النيل والوصول والتحبب والرضا
كاليمين حين التصافح والدخيل الملتجى قال الصلعم ان الله تبارك
وتعالى لما اخذ مواثيق العباد امر الحجر فالتقمها فلذلك يقال امانتى
اديتها وميثاقى تعاهدته لتشهد لى بالموافاة وقال الركن اليمانى
باب من ابواب الجنة لم يغلقه الله منذ فتحه وقال الركن اليمانى
بابنا الذى ندخل منه الجنة وفيه نهر من الجنة يلقى فيه اعمال العباد
وانما شبهه بباب الجنة لان استلامه وسيلة الى دخولها والنهر
لانه يغسل به الذنوب ولتكن نيته فى الاستلام طلب القرب
حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن
عن النار فى كل جزء لاقى البيت ولتكن نيته فى التعلق باستار
البيت الالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق
بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر انه لا ملجأ
له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله
الا بالعفو

الا بالعفو وبذل الامن فى المستقبل ... واما السعى بين الصفا
والمروة فى فناء البيت فيضاهى تردد العبد بفناء دار الملك
جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء
للملاحظة بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى
ما الذى يقضى الملك فى حقه من قبول او رد واما الوقوف
بعرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات
واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم فى الترددات
على المشاعر عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة
واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك
الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم
قلبه الضراعة والابتهال الى الله ليحشر فى زمرة الفائزين
المرحومين وليحقق رجاءه بالاجابة فالموقف شريف والرحمة
انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب
العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الصالحين
وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة
والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه
اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة
على طلب الرحمة فبعيد ان يخيب املهم ويضيع سعيهم ولذلك
قيل من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له
واما الوقوف بالمشعر فليستحضر انه قد اقبل عليه مولاه بعد ان كان
مدبرا عنه طاردا له عن بابه فاذن له فى دخول حرمه فان المشعر من جملة

الحرم وعرفات خارجة عنه فقد اشرف على باب الرحمة وهبت عليه
لنسمات الرافة وكسى خلع القبول بالاذن فى دخول حرم الملك
فاما رمى الجمار فليقصد به الانقياد للامر واظهار الرق والعبودية
والنهاض لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم ليقصد
به التشبه بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس فى هذا الموضع ليدخل
على حجه شبهة او فتنة فامره الله ان يرميه بالحجارة طردا له
وقطعا لاصله وليعلم انه فى الظاهر يرمى الحصا الى الجمار وفى الحقيقة
يرمى به وجه الشيطان ويقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه
الا بامتثال امر الله تعظيما بمجرد الامر من غير حظ العقل فيه
واما ذبح الهدى فيعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال وليكمل
الهدى واجزاءه ويرجو ان يعتق بكل جزء منها جزء منه من النار
كما ورد الوعد به — وفى مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
اذا اردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغل وحجاب كل حاجب
وفوض امورك كلها الى خالقك وتوكل عليه فى جميع ما يظهر من حركاتك
وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا والراحة
والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد
على زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك
مخافة ان يصير ذلك عدوا ووبالا فان من ادعى رضاء الله
واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالا وعدوا ليعلم انه ليس له قوة
ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد
من لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله وسنن

بنيه

[illegible]

142

نبيه صلى الله عليه وآله وما يجب عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة
والسخاوة وايثار الزاد على دوام الاوقات ثم اغسل بماء التوبة
الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع
واحرم من كل شئ يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولبّ
بمعنى اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى فى دعوتك
متمسكا بالعروة الوثقى وطف بقلبك مع الملئكة حول العرش كطوافك
مع المسلمين بنفسك حول البيت وهرول هرولة من هواك وتبرا
من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الى منى
ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه واعترف بالخطايا بالعرفات وجدد
عهدك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرب اليه واتقه بمزدلفة واصعد
بروحك الى الملأ الاعلى بصعودك على الجبل واذبح حنجرة الهوى
والطمع عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة والدناءة والافعال الذميمة
عند رمى الجمرات واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك
وادخل فى امان الله وكنفه وستره وكلائته من متابعة مرادك بدخولك
الحرم وزر البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه
واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعا لعزته وودع ما سواه بطواف
الوداع واصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك
على الصفا وكن بمرئ من الله نقيا اوصافك عند المروة
واستقم على شرط حجك هذه ووفاء عهدك الذى عاهدت به
مع ربك واوجبته له الى يوم القيمة واعلم بان الله تعالى لم يفرض
الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة الى نفسه بقوله ولله على الناس

بالعروة الوثقى ... قال الشيخ ابو على ... الوثقى تانيث الاوثق مجمع

الملأ الاعلى الملائكة المقربون ... الملأ الاسفل الجن والانس الساكنون فى الارض مجمع

واستلم

... مجمع

حج البيت من استطاع اليه سبيلا ولا شرع نبيه سنته في فضل المناسك
على ترتيب ما شرعه الا للاستعانة والاشارة الى الموت والقبر والبعث
والقيمة وفصل بيان السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار
اهلها لمشاهدة مناسك الحج من اولها الى اخرها لاولي الالباب
واولي النهى   واما زيارة المدينة فاذا وقع بصره
على حيطانها فليتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلعم
وجعل اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرائض ربه وسنته
وجاهد عدوه وظهر بها دينه الى ان توفاه الله ثم جعل تربته
فيها ثم ليمش في نفسه اقدام رسول الله صلعم عند ترددانه فيها وانه ما من موضع
قدم الا وهي موضع قدمه العزيز فلا يضع قدمه عليه الا على سكينة ووجل
وليتذكر مشيه وتخطيه في سككها وليتصور خشوعه وسكينته في المشي
وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر
نفسه واحبط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته فان ترك
حرمته شريعته ولو في دقيقة من الدقايق فلا يامن ان يحال بينه وبينه
بعد ولايه عن محبته وليعظم مع ذلك رجاءه ان لا يحول الله بينه وبينه
بعد ان رزقه الايمان واشخصه من وطنه لاجل زيارته محبة له
وتشوق الى ان ينظر الى اثاره والى حايط قبره فاذا ابلغ المسجد
فليتذكر ان فرائض الله تعالى اول ما اقيمت في تلك العرصة فليعظم
امله في الله ان يرحمه بدخول اياه خاشعا معظما وما اجدر ذلك
المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن واما زيارته صلعم فينبغي
ان يقف بين يديه ويزوره ميتا كما يزوره حيا ولا يقرب من قبره

الا كما

الا كما يقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وليعلم انه عالم بحضوره وقيامه
وزيارته وانه يبلغه سلامه وصلواته فليمثل صورته الكريمة في خياله
موضوعا بازائه وليحضر عظيم رتبته في قلبه فقد ورد ان الله تعالى وكل بقبره
ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف
بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة
مشهده الكريم اذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة قال الصادق عم اذا فرغت
من الدعاء عند قبر النبي صلعم فأت المنبر وامسحه بيدك وخذ برمانتيه
وهما السفلاوان وامسح عينيك ووجهك به فانه يقال انه شفاء
للعين وقم عنده فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك فان رسول الله صلعم
قال ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة
من ترع الجنة والترعة هي الباب الصغير وسئل ع روضة اليوم قال
نعم لو كشف الغطاء لرايتم   قال النبي صلعم من زار قبري بعد موتي
كان كمن هاجر الي في حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا الي بالسلام
فانه يبلغني وقال صلعم لعلي ع يا ابا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر
ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصات من عرصاتها وان الله
جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة
والاذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم الى الله
ومودة منهم لرسوله اولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون
حوضي وهم زواري وجيراني غدا في الجنة يا علي من عمر قبورهم
وتعاهدها فكانما اعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس
ومن زار قبورهم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام

البقعة هي القطعة من الارض ... العرصة بالفتح كل بقعة بين الدار ... بناء ...

وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه فابشر يا علي
وبشر اوليائك ومحبيك من النعيم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم
كما تعير الزانية بزناها اولئك شرار امتي لا انالهم شفاعتي ولا يردون
حوضي وقال الصادق ع لو ان احدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن
علي ع لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله ص لان حق الحسين
فريضة من الله واجبة على كل مسلم والاخبار في فضل زيارة الائمة
المعصومين عليهم السلام وثوابها ولا سيما زيارة ابي عبد الله الحسين وابي
الحسن الرضا ع وفضلها على الحجة والعمرة والغزوة اكثر من ان تحصى
ولعل السر في فضل زيارتهم على تلك العبادات ان في زيارتهم صلة
وبرا لهم ولرسول الله وامير المؤمنين وفاطمة وشيعتهم ومحبتهم
بل ساير النبيين والوصيين صلوات الله عليهم اجمعين وادخال سرور عليهم
واجابة لهم وتجديد عهد لولايتهم واحياء لامرهم وتبكيتا لاعدائهم
وفي ذلك كله رجاء لما عند الله الذي لا يخيب من رجاه وطلب
رضاه سبحانه الذي يرضى لمن ارضاه وهي مع ذلك كله عبادة
لله عز وجل ومسرة له عز ذكره من جهة ادخال السرور على رسوله
وعلى ذريته واوصيائه ومن جهة الاتيان بعبادته المامور بها
ومسرة لهم من هذه الجهة ايضا وقد ثبت وتقرر جلالة قدر المؤمن
عند الله وثواب صلته وبره وادخال السرور عليه من جهة كونه مؤمنا
فحسب فما ظنك بمن عصمه الله عن الخطأ وطهره من الرجس وجعله اماما للمؤمنين
وقدوة للمتقين وله خلق السموات والارضين وجعله صراطه وسبيله وعينه
ودليله

ودليله وبابه الذي يؤتى منه وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسله وانبيائه
وحججه واوليائه هذا مع ان مقابرهم مشاهد زوارهم والبقاع المقدسة
ومحال حضور اشباحهم البرزخية النورية فانهم هناك يشهدون وانهم
احياء عند ربهم يرزقون وبما اتاهم من فضله فرحون واما الحجة
والعمرة والغزوة وغير ذلك فانها وان كان فيها انفاق اموال
ورجاء آمال واشخاص ابدان وهجران اوطان وتحمل مشاق وتجديد
ميثاق وشهود مشاهد وحضور مشاعر الا انها ليست بتلك
المثابة في المثوبة لان هذه انما هي عبادة الله سبحانه واجابة له عز
عن ذكره ومسرة له ولاوليائه بالاتيان بالعبادة فحسب وليست فيها
جميع تلك الامور التي نبهنا عليها هناك مع انها تتأتى من كل
مدع للاسلام وان كان ناصبيا بخلاف تلك فانها لا تتأتى
الا ممن كان يعرف قدرا من قدرهم وحظا من منزلتهم ولو ناقصا
قال الرضا ع ان لكل امام عهدا في عنق اوليائه وشيعته وان من تمام
الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة
في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاءهم يوم
القيمة

في ساير الاعمال الصالحة وفيها خمسة ابواب

في التوبة وهي تنزيه القلب عن الذنب والرجوع
الى الرب وبعبارة اخرى ترك المعاصي في الحال والعزم
على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير وهي فرض على كل مكلف في كل حال
وعلى الفور ومن شرطها ان تكون لله سبحانه لا لمال او جاه او خوف
من سلطان او عدم اسباب وان يندم اما الندم فهو الم القلب وحزنه

على الذنب الذي هو روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة حقيقة وانما المقدور
تحصيل اسبابه من العلم والايمان وتحقيقهما في قلبه قال النبي صلعم الندم توبة
اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم
محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره والطريق اليه ذكر ما ورد في فضلها
والعلم بقبح الذنوب وشدة العقوبة وضعف النفس عن الاحتمال
وشرف الاخرة وخساسة الدنيا وقرب الموت ولذة المعرفة والمناجاة
المنقطعة مع الاصرار وخوف الابتلاء بعدم الاخذ الحالي والآجل ورجاء
الاحسان وقطع الاسباب الاصرار وهي الغرور وحب الدنيا وطول
الامل قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون
وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب
وقال عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال
رسول الله صلعم التائب حبيب الله والتائب عن الذنب كمن لا ذنب له
وقال الباقر ع ان الله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته
وزاده في ليلة ظلماء فوجدها وقال الصادق ع في قوله تعالى توبوا الى الله
توبة نصوحا قال هو الذنب الذي لا يعود فيه ابدا قيل واينا لم يعد
قال يا فلان ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني كثير الذنب
كثير التوبة وقال اذا تاب العبد توبة نصوحا احبه الله فستر عليه
قيل وكيف يستر عليه قال ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله
الى جوارحه والى بقاع الارض ان اكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله حين يلقاه
وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب اعلم انه مهما اشرق

نور

نور الايمان على القلب ثم نار الندم على الذنب فتألم به القلب حيث يبصر
باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس
وقد كان في ظلمة فسطع عليه النور بانقشاع سحاب او انحسار حجاب
فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران الحب في قلبه فينبعث
بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد
المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان
مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على الندم
وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع
المتأخر كما اشرنا اليه فمن نظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي
ثم الى الوجوب ما معناه فلا يشك في ثبوتها له وذلك بان علم
ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة
من هلاك الابد وعلم ان لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء
الله وان كل محجوب عنه شقي لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق
بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع
الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب
ما لا بد فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة
القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا
للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته
وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين
اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله
وكل علم يراد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء

من الايمان وهو المراد بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
وما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت
وليس الايمان بابا واحدا بل هو كما ورد نيف وسبعون بابا اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله
قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون
موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة
بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث
حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول
مخالبها واظفارها فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب
البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد
والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقود العينين فاقد
لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا
حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف
عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان
وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تقتلع شجرة ايمانه اذا صدمتها
الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت
ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم تنتشر في الاعمال
فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ملك الموت وخيف عليه
سوء الخاتمة الا ما سقي بالطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ
وثبت فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطعت نياط العارفين
خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون

فصل

اعلم ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك
عنه احد البتة قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور
البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى
المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا يكمل غريزة العقل
الا بعد كمال الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل
الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين
واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات
جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما
بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما
كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما
ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبي والشاب
قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به
الانس والالف لا محالة بمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه
ويتعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده
ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو
لم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال
لاحتنكن ذريته الا قليلا وان قوي العقل وكمل كان اول شغله
قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع
على سبيل القهر والغلبة الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع
عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود
آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة للشيطان

قال بعض الاحبا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى لكن شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة
الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم

متقدمة على غريزة التي هي عدة الملكية فكان الرجوع عما سبق اليه
على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان . واما بيان وجوبها
على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه فان خلا
في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا
عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة
عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته
وباثاره بحسب طاقته وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بتشاغل
اضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور
الخلو في حق الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير
فاما الاصل فلا بد منه الا ان الانبياء والاوصياء عليهم السلام ليس ذنوبهم
كذنوبنا وانما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات وحرمانهم
زيادة الاجر بسبب ذلك قال الصادق ع ان رسول الله ص كان يتوب
الى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب ان الله يخص
اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب يعني من غير ذنب
كذنوبنا فان ذنب كل احد انما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله
ثم اعلم انه لا يكفي في تدارك الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو
اثارها التي انطبعت في القلب بنور الطاعات قال النبي ص اتبع السيئة
بالحسنة تمحها وينبغي ان تكون الحسنة الماحية للسيئة مناسبة لتلك
السيئة فيكفر سماع الملاهي بسماع القران وبحضور مجالس الذكر
ويكفر القعود في المسجد جنبا بالعبادة فيه والى ذلك وليس ذلك شرطا
وقد روى ان رجلا قال لرسول الله ص اني عالجت امرأة فاصبت منها

[illegible]

كل

١٤٧

كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله فقال اما صليت فقال بلى فقال
ان الحسنات يذهبن السيئات ولا بد ان يكون عن قرب عهد
بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها قبل ان يتراكم الرين على القلب
فلا يقبل المحو قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد به قال وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الان قال الصادق ع ذلك اذا عاين امر الاخرة وذلك لان التوبة
مقبولة الى ان يعاين كما ورد عن رسول الله ص ومن ترك المبادرة
الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم
الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني
ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك
ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف
اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فقد
فان الناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القران علموا ان كل
سليم مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة في جوار الله وعلموا ان القلب
خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما يفوته السلامة
بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وان نار الندم
تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة
وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام
الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض
الصابون والماء الحار الا ان يتراكم الذنوب حتى تصير طبعا

معام
ارينكم ونراكم اجمعين
قال
الرين صدا ... الحار
الطبع ... كطبع السكة وطبع الدراهم ... من الختم ...
اعلم انك

ورينا وهذا اشد ان يعوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب
ودخله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وان قال بلسانه تبت
وهذا البيان كاف لقبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله تعالى
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب
وقال النبي ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ
وقال لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم
وقال الباقر عليه السلام يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة
له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة اما والله انها
ليست الا لاهل الايمان قال قلت فان عاد بعد التوبة والاستغفار
في الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم اترى العبد المؤمن
يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته
قلت فانه فعل ذلك مرارا يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد
المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور
رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان تقنط المؤمنين
من رحمة الله وقال الصادق عليه السلام ان الرجل ليذنب فيدخله الله به الجنة
قيل يدخله الله بالذنب الجنة قال نعم انه ليذنب فلا يزال منه
خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة اعلم ان الذنوب
تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد والاول
اما مغفور واما مرجو المغفرة قال امير المؤمنين عليه السلام الذنوب ثلثة
فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه
قيل يا امير المؤمنين فبينها لنا قال نعم اما الذنب المغفور فعبد عاقبه

الله

الله على ذنبه في الدنيا والله تعالى احلم واكرم من ان يعاقب عبده
مرتين واما الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض
ان الله اذا برز لخليقته اقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي
لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء
الى الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لاحد على احد مظلمة
ثم يبعثهم الله للحساب واما الذنب الثالث فذنب ستره الله
على خلقه ورزقه التوبة منه فاصبح خائفا من ذنبه راجيا لربه فنحن له
كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب ولعله عليه السلام اراد
بالتوبة التوبة المشكوك في شروطها لما عرفت ان التوبة الجامعة
للشرائط مقبولة فاذا كانت مقبولة فالذنب لا محالة مغفور
وتقسيم ثانية تنقسم الذنوب الى صغائر وكبائر قال الله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل
والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال النبي الصلوات
الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنب الكبائر وقد كثرت
الاقوال في تعيين الكبائر واختلف الروايات فيها فعن الصادق عليه السلام
في قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قال الكبائر
التي اوجب الله عليها النار وعنه عليه السلام انه سئل عن الكبائر فقال
هن في كتاب علي عليه السلام سبع الكفر بالله وقتل النفس وعقوق
الوالدين واكل الربا بعد البينة واكل مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف
والتعرب بعد الهجرة قيل له فاكل درهم من مال اليتيم ظلما اكبر ام ترك
الصلوة قال ترك الصلوة قيل فما عددت ترك الصلوة في الكبائر

فقال اي شيء اول ما قلت لك قال الكفر قال ان تارك الصلوة كافر يعني
من غير علة وعن الكاظم ع انه سئل عن الكبائر كم هي وما هي فكتب
الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته اذا كان مؤمنا
والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين واكل الربا
والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار من الزحف
وعن الجواد ع قال سمعت ابي يقول سمعت ابي موسى بن جعفر يقول
دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله ع فلما سلم وجلس تلا هذه الاية
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال له
ابو عبد الله ع ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب
الله فقال نعم يا عمرو واكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله ومن
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وبعده الاياس من روح الله
لان الله يقول انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ثم الامن لمكر الله لان الله يقول فلا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون ومنها عقوق الوالدين لان الله جعل العاق جبارا
شقيا وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق لان الله يقول فجزاؤه
جهنم خالدا فيها الى اخر الاية وقذف المحصنة لان الله يقول
لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم واكل مال اليتيم لان الله
يقول انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا والفرار
من الزحف لان الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس
المصير واكل الربا لان الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون
الا كما

الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والسحر لان الله يقول
ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق والزنا لان الله يقول
ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه
مهانا واليمين الغموس الفاجرة لان الله يقول الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة والغلول
لان الله يقول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ومنع الزكوة المفروضة
لان الله يقول فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وشهادة
الزور وكتمان الشهادة لان الله يقول ومن يكتمها فانه اثم قلبه
وشرب الخمر لان الله نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وترك
الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله لان رسول الله ص قال
من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله
ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله يقول لهم اللعنة ولهم سوء
الدار قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال
برايه ونازعكم في الفضل والعلم ان قيل كيف ورد الشرع بالابهام في
هذه قلنا ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا جاز ان يتطرق
اليه الابهام والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث
انها كبيرة فان موجبات الحدود معلومة باساميها وانما حكم
الكبيرة ان اجتنابها يكفر الصغائر وان الصلوة الخمس لا يكفرها
وهذا امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل
وحذر فلا يتجرؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس واجتناب
الكبائر ثم اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة

والارادة كمن تمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره وكان امتناعه لعجز او خوف او نحو ذلك فلا يصلح للتكفير وكذلك من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار فصل اعلم ان الصغيرة قد تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة قال الصادق ع لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توالٍ فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر وقال الباقر ع في قوله تعالى لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار ومنها ان يستصغر الذنب فان العبد كلما استعظمه من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة قال الصادق ع قال رسول الله ص اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر قيل وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك وقال ان الله يحب العبد ان يطلب اليه في الجرم العظيم ويبغض العبد ان يستخف بالجرم اليسير وقال الكاظم ع لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب

الذنوب فان الذنوب يجتمع حتى يكون كثيرا وخافوا الله في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف ومنها السرور بالصغيرة والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه فان الذنوب مهلكات واذا وقع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان ياتي بالذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او ياتي به في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذي سدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وهذا لان من صفات الله سبحانه ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة قال الرضا ع قال رسول الله ص المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له وقال الصادق ع من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله عليه فنحوه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم

الابريسم والذهب واخذه مال الشبهة واطلاقه اللسان في الاعراض ونحو ذلك
فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت ويبقى شره مستطيرا في العالم فطوبى
لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه فعلى العالم وظيفتان احدهما ترك الذنب
والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف اوزاره فكذلك يتضاعف ثوابه
على الحسنات اذا اتبع   في الحديث النبوي ما من يوم طلع فجرها
ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول
احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذ خلقوا
علموا لماذا خلقوا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا
بما علموا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا
وقال امير المؤمنين ع لا تبدين عن واضحة وقد عملت الاعمال الفاضحة
ولا تأمن البيات وقد عملت السيئات وقال الباقر ع ان الله
قضى قضاء حتما ان لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها اياه حتى يحدث
العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة وقال ع ما من شيء افسد للقلب من خطيئة
ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله
وقال ع ان العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق وقال ع
اما انه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب
وذلك قول الله عز وجل في كتابه ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير وقال ع ما يعفو الله اكثر مما يؤاخذ به وقال ان الرجل
يذنب الذنب فيحرم صلوة الليل وان العمل السيء اسرع في صاحبه
من السكين في اللحم وقال ع يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد
اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وقال ع

من اهم

من اهم بسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالى
فيقول وعزتي لا اغفر لك بعد ذلك ابدا وقال الكاظم ع حق
على الله ان لا يعصى في دار الا اضحاها للشمس حتى تطهرها وقال رسول
الله ص ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وانه لينظر الى ازواجه
في الجنة يتنعمن وعن امير المؤمنين ع انه قال لقائل بحضرته استغفر الله
ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين
وهو اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني
العزم على ترك العود عليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين
حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة
عليك ضيعتها تؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت
على السحت فتذيبه بالاحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما
لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة
المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله وقال ع ترك الخطيئة ايسر
من طلب التوبة وكم من شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا والموت
فضح الدنيا ولم يترك لذي لب فرحا   في مصباح الشريعة
قال الصادق ع التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة
التوبة على كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء
من اضطراب السر وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة
الاصفياء من التنفيس وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة
العام من الذنوب ولكل واحد منهم معرفة وعلم في اصل توبته ومنتهى
امره وذلك يطول شرحه هنا فاما توبة العام فان يغسل باطنه

من الذنوب بالحسرة والاعتراف بجنايته واثمه واعتقام والندم على ما مضى
والخوف على ما بقي من عمره والمستصغر ذنوبه فيجذبه ذلك الى الكسل ويديم
البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه عن الشهوات ويستغيث
الى الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود الى ما سلف ويروض نفسه
في ميدان الجهاد والعبادة ويقضي الفوايت من الفرايض ويرد المظالم
ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر دائما في عاقبته
ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه وضرائه ويثبت عند المحن
والبلايا كيلا يسقط عن درجة التوابين فان في ذلك طهارة من ذنوبه
وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عز وجل فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

في المحاسبة والمراقبة

قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
وقال عز وجل ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم
الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء
قدير وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها
وبينه امدا بعيدا وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
فعرف ارباب البصاير من جملة العباد ان الله تعالى عز وجل لهم بالمرصاد

وانهم

وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات
وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة
ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات
فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه وحضر عند السوال
جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت
في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي سيئاته وقال عم اذا اراد
احدكم ان لا يسأل ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون
له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئا
الا اعطاه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها فان في القيمة خمسين
موقفا كل موقف مقام الف سنة ثم تلا في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة فتفريع المحاسبة على الامر بالياس من الناس والرجاء
من الله يدل على ان الانسان انما رجوا الناس دون الله
في عامة امره وهو غافل عن ذلك وان عامة المحاسبات انما ترجع الى ذلك
وذكر الوقوف في مواقف القيمة بعد الامر بمحاسبة النفس يدل على ان
الوقفات هناك انما تكون للمحاسبات فمن حاسب نفسه في الدنيا
يوما فيوما لم يحتج الى تلك الوقفات في ذلك اليوم قال الله تعالى ولتنظر
نفس ما قدمت لغد وورد في الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات
ساعة يحاسب فيها نفسه وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع لو لم يكن
للحساب مهولة الا حياء العرض على الله عز وجل وفضيحة هتك
الستر على المخفيات لحق للمرء ان لا يهبط من رؤس الجبال ولا يأوي
الى عمران ولا يشرب ولا ينام الا عن اضطرار متصل بالتلف

ويمثل ذلك بنفسه بين يدي القيمة باهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس
ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار روح يأخذ نفسه بالمحاسبة
كأنه الى غد يحاسبها بعد موته وفي غمراتها مسئول قال الله عز وجل وان كان
مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فصل معنى المحاسبة
ان يطالب نفسه اولا بالفرائض التي هي بمنزلة رأس ماله فان اداها
على وجهها شكر الله عز وجل عليه ورغبها في مثلها فان فوتتها من اصلها
طالبها بالقضاء فان اديتها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكبت معصية
اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط منها م
كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط
فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي
ان يتقي غائلة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها
اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب
ما سيتولاه غيره في صعيد القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره
وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه
لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر
ما ادي الحق منه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليها
فليثبته عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه
على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفى منه الديون
اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة
له على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي
من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء

عتب عليه عتابا من باب ضرب فهو عاتب وعتاب وجد عليه والاسم سخط

الغائلة الفساد والشر مجمع

قال الكاظم ع

قال الكاظم ع ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة
استزاد الله وان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب اليه وقال
الباقر ع لا يغرنك الناس من نفسك فان الامر يصل اليك دونهم
ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك عملك
فاحسن فاني لم ار شيئا احسن دركا ولا اسرع طلبا من حسنة
محدثة لذنب قديم وقال الصادق ع ان رجلا اتى النبي ص فقال له يا رسول
الله اوصني فقال له رسول الله فهل انت مستوص ان انا اوصيتك
حتى قال له ذلك ثلثا وفي كلها يقول له الرجل نعم يا رسول الله
فقال له رسول الله ص فاني اوصيك اذا انت هممت بامر
فتدبر عاقبته فان يك رشدا فامضه وان يك غيا فانته عنه
وهذه الوصية من محاسبة النفس بل هي رأسها فصل ينبغي للعبد
ان يراقب نفسه عند الخوض في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالية
فانها ان تركت طغت وفسدت ثم يراقب الله في كل حركة
وسكون وذلك بان يعلم بان الله مطلع على الضماير عالم بالسراير
رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب
في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد
من ذلك قال الله تع الم يعلم بان الله يرى وقال ان الله
كان عليكم رقيبا وقال النبي ص الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فانه يراك وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف فقامت
فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة
جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وفي الحديث القدسي

الرُشد والرَشد خلاف الغي يستعمل استعمال الهداية ره

فان لم تكن تراه ص

احاديث ل

انما لیسکن جنات عدن الذین اذا هموا بالمعاصی ذکروا عظمتی فراقبونی والذین
انحنت اصلابهم من خشیتی وعزتی وجلالی انی لاهم بعذاب اهل الارض
فاذا نظرت الی اهل الجوع والعطش من مخافتی صرفت عنهم العذاب فهذه
المعرفة اذا صارت یقینا یعنی انها اذا خلت عن الشک ثم استولت
بعد ذلک علی القلب استجرت القلب وقهرته علی مراعاة جانب الرقیب
وصرفت الهمة الیه والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم علی درجتین احدهما
مراقبة المقربین وهی مراقبة التعظیم والاجلال وهی ان یصیر القلب مستغرقا
بملاحظة ذلک الجلال ومنکسرا تحت الهیبة فلا یبقی فیه متسع للالتفات
الی الغیر وهذا هو الذی صار همه هما واحدا وکفاه الله سایر الهموم
والثانیة مراقبة الورعین من اصحاب الیمین وهم قوم غلب یقین
اطلاع الله علی ظواهرهم وبواطنهم ولکن لم یدهشهم ملاحظة الجمال
والجلال بل بقیت قلوبهم علی حد الاعتدال متسعة للتلفت الی الاحوال
والاعمال والمراقبة فیها وغلب علیهم الحیاء من الله فلا یقدمون ولا یحجمون
الا بعد التثبت ویمتنعون عن کل ما یفتضحون به فی القیمة فانهم یرون الله
مطلعا علیهم فلا یحتاجون الی انتظار القیمة فان العبد لا یخلو اما ان یکون
فی طاعة او معصیة او مباح فمراقبته فی الطاعة بالاخلاص والاکمال
ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات ومراقبته فی المعصیة بالتوبة
والندم والاقلاع والحیاء والاشتغال بالتکفیر ومراقبته فی المباح
بمراعاة الادب بان یقعد مستقبل القبلة وینام علی یده الیمنی مستقبلا
الی غیر ذلک فکل ذلک داخل فی المراقبة وبشهود المنعم فی النعمة وبالشکر
علیها وبالصبر علی البلاء فان لکل ذلک حدودا لا بد من مراعاتها

بدوام

بدوام المراقبة ومن یتعد حدود الله فقد ظلم نفسه الباب الثالث
فی التفکر والتدبر قال الله تعالی ویتفکرون فی خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال افلا یتدبرون القران ام علی قلوب اقفالها
وقال النبی صلعم تفکر ساعة خیر من عبادة سنة وقال امیر المؤمنین ع التفکر
یدعو الی البر والعمل به وقال ع نبه بالتفکر قلبک وجاف عن اللیل
جنبک واتق الله ربک وقال الصادق ع افضل العبادة ادمان التفکر
فی الله وفی قدرته لیس المراد بالتفکر فی الله التفکر فی ذات الله
سبحانه فانه ممنوع منه لانه یورث الحیرة والدهش واضطراب العقل
بل المراد منه النظر الی افعاله وعجایب صنعه وبدایع امره فی خلقه
فانها تدل علی جلاله وکبریائه وتقدسه وتعالیه وتدل علی کمال علمه
وحکمته وعلی نفاذ مشیته وقدرته واحاطته بالاشیاء ومعیته لها وهذا
تفکر اولوا الالباب قال الله عز وجل ان فی خلق السموات والارض
واختلاف اللیل والنهار لآیات لاولی الالباب الذین یذکرون الله
قیاما وقعودا وعلی جنوبهم ویتفکرون فی خلق السموات والارض ربنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانک فقنا عذاب النار وقال عز وجل
ومن آیاته ومن آیاته فی مواضع کثیرة فتلک الآیات هی مجاری
التفکر فی الله وفی قدرته لاولی العلم لا ذاته سبحانه ففی الحدیث
المشهور عن النبی ص انه قال تفکروا فی آلاء الله ولا تفکروا فی الله
فانکم لن تقدروا قدره وقال الباقر ع ایاکم والتفکر فی الله
ولکن اذا اردتم ان تنظروا الی عظمته فانظروا الی عظم خلقه
وقال الصادق ع من نظر فی الله کیف هو هلک واما التفکر الذی

يدعوا الى البر والعمل فهو اعم من هذا فانه يشمل التفكر في الحسنات والسيئات
فان العبد اذا تفكر في حسناته هل هي تامة او ناقصة موافقة للسنة او مخالفة
لها خالصة عن الشرك والشك او مشوبة بها يدعوه لا محالة هذا التفكر الى
تدارك ما فيها من الخلل وكذا اذا تفكر في سيئاته وما يترتب عليها
من العقوبات والبعد عن الله يدعوه ذلك الى الانتهاء عنها
وتدارك ما اتى بها بالتوبة والندم واذا تفكر في صفات الله
وافعاله من لطفه بعباده وحسن احسانه اليهم بسوابغ النعماء وبسط الآلاء
والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب جزيل وتسخيره
له ما في السموات والارض وما بينهما الى غير ذلك يدعوه ذلك
لا محالة الى البر والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي
وهذا التفكر للمتوسطين والمشار اليه بقول الرضا ع ليس العبادة
كثرة الصلوة والصوم انما العبادة التفكر في امر الله وسئل الصادق ع
عما يروي الناس ان تفكر ساعة خير من قيام ليلة كيف تتفكر قال
تمر بالخربة او بالدار فتقول اين ساكنوك اين بانوك ما لك
لا تتكلمين وهذا التفكر المفسر به الحديث النبوي دون الاولين
في الفضل ولعل الحديث النبوي اعم منه وانما فسره الصادق ع على قدر
رتبة المخاطب فان تفكر كل احد انما يكون بحسب فهمه ورتبته
وقد اوردنا مجاري التفكر بتفاصيلها في كتابنا الموسوم بعلم اليقين
من اراده رجع اليها فصل في مصباح الشريعة قال الصادق ع
اعتبروا بما مضى من الدنيا هل بقي على احد وهل فيها باق
من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو وكذلك
ما لم

ما لم يأت منها بما مضى اشبه من الماء بالماء قال رسول الله ص كفى بالموت
واعظا وبالعقل دليلا وبالتقوى زادا وبالعبادة شغلا وبالله
مونسا وبالقرآن بيانا قال ص لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة وما نجا
من نجا الا بصدق الالتجاء وقال نوح ع وجدت الدنيا كبيت له
بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر هذا حال صفي الله فكيف
حال من اطمأن فيها وركن اليها واضاع عمره في عمارتها وفرق دينه
في طلبها والفكرة مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضياء القلوب
وفسحة للخلق واصابة في صلاح المعاد واطلاع على العواقب واستزادة
في العلم وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها قال رسول الله ص فكرة ساعة
خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة الفكر الا من قد خصه الله بنور التوحيد
والمعرفة فصل قال الصادق ع ابن آدم لو اكل قلبك طائر لم يشبعه
وبصرك لو وضع عليه خرق ابرة لغطاه تريد ان تعرف بهما ملكوت
السموات والارض ان كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق
الله فان قدرت ان تملأ عينيك منها فهو كما تقول اراد ع بالقلب
اللحم الصنوبري المعروف ولهذا جعله ماكولا وظاهره انه لا يصح
ان يعرف به ملكوت السموات والارض كما لا يصح ان يعرف
بالبصر لانهما من عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت فالخطاب
خاص بمن لا يتجاوز درجة الحس والمحسوس من افراد بني آدم المشار اليهم
بقوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها فاما من جاوزها منهم وبلغ
الى درجة العقل والمعقول فهم اصحاب القلوب الملكوتية المشار اليهم
بقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فلهم ان يعرفوا

بقلوبهم ملكوت السموات والارض لان قلوبهم من الملكوت ولهذا حث الله
على النظر في الملكوت في غير موضع من كتابه قال سبحانه اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث
بعده يؤمنون وقال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين الى غير ذلك من الايات بل ان ذاته تعالى لا يجوز ان تكتنه
بالقلب كما لا يجوز ان يدرك بالبصر بل انما يجوز ان يطلع بالقلب على شيء
من عظمته بحسب **الباب الرابع** في ذكر الموت وقصر الامل قال الله تعالى
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح
عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
وقال النبي اكثروا ذكر هادم اللذات قيل وما هو يا رسول الله قال
الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة الا ضاقت عليه الدنيا
ولا في شدة الا اتسعت عليه وقال الموت كفارة لكل مسلم
وقال تحفة المؤمن الموت وقال الموت الموت الا ولا بد من الموت
جاء الموت بما فيه جاء بالروح والراحة والكرة المباركة الى جنة عالية
اهلها دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وقال اذا استحقت
ولاية الله والسعادة جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء الظهر
واذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الامل بين العينين وذهب
الاجل وراء الظهر وسئل اي المؤمنين اكيس فقال اكثرهم ذكرا للموت
واشدهم له استعدادا وقال امير المؤمنين ع ما انزل الموت حق منزلته
من عد غدا من اجله وقال ع اطال عبد الامل الا اساء العمل وكان يقول
لو راى العبد اجله وسرعته اليه لابغض العمل من طلب الدنيا وقيل للباقر ع
حدثني

حدثني بما انتفع به قال اكثر ذكر الموت فانه لم يكثر ذكره انسان الا زهد
في الدنيا وقال الصادق ع اذا انت حملت جنازة فكن كانك انت
المحمول وكانك سالت ربك الرجوع الى الدنيا ففعل فانظر
ماذا تستانف ثم قال عجبا لقوم حبس اولهم عن اخرهم ثم نودي فيهم
بالرحيل وهم يلعبون وقال ما خلق الله يقينا لا شك فيه اشبه
بشك لا يقين فيه من الموت وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع
ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ويقلع منابت الغفلة
ويقوي القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر اعلام الهوى
ويطفي نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى ما قال النبي فكر ساعة
خير من عبادة سنة وذلك عند ما يحل اطناب خيام الدنيا ويشدها
في الاخرة ولا تسكن نزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة
ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر
وتحيره في القيمة فلا خير فيه قال النبي ع اكثروا ذكر هادم اللذات
ثم ذكر تمام الحديث كما مر قال ع الموت اول منزل من منازل الاخرة
واخر منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن اكرم عند النزول بها وطوبى
لمن احسن مشايعته في اخرها والموت اقرب الاشياء
من بني ادم وهو يعده ابعد فما اجرى الانسان على نفسه وما اضعفه
من خلق وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين لذلك اشتاق
من اشتاق وكره من كره قال النبي ص من احب لقاء الله احب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فصل اعلم ان الناس
اما منهمك في الدنيا مكب على غرورها محب لشهواتها واما تائب مبتدي

او نفار منه اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره ليتأسف
على دنياه ويشتغل بمذمته ويفر منه اولئك الذين قال الله تعالى فيهم قل
ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا يزيده ذكر الموت من الله
بعدا الا ان يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا وينتقص عليه نعيمه
ويتكدر عليه صفو لذته واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به
من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة
من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور
في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله من كره لقاء الله
كره الله لقاءه لان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف
فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء
الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها
للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه
والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت
دائما لانه موعد للقاء حبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب
وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار
العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين واعلى رتبة منهما
من يفوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة
بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب
والولاء الى درجة التسليم والرضا فصل اعلم ان الموت
هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره

ليس

فصل

١٥٧

ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر
الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت
الذي بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر
فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه
وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه
ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب
ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا
اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم
وانقطعت آثارهم واوحشت ديارهم فمهما تذكر رجلا رجلا
وفصل في قلبه حاله وكيفية حيوته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده
وامله في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة
الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو
وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه
كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله
وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك
وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج
اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر
وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له
صورة ملك الموت وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك
ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم والسعيد من وعظ بغيره
فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة

وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم صح

غافل صح

المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى ينصب عليه بحيث يصير الموت
نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار
الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى
فى التحذير والتنبيه ومهما طلب قلبه بشئ من الدنيا فينبغى ان يتذكر
فى الحال انه لا بد من مفارقته فصل واما قصر الامل فقد قال النبى صلعم
اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث
نفسك بالصباح وخذ من دنياك لاخرتك ومن حياتك لموتك
ومن صحتك لسقمك فانك لا تدرى ما اسمك غدا وقال ان اشد
ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع
الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يحبب الدنيا
ثم قال ان الله يعطى الدنيا من يحب ويبغض واذا احب الله
عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا
من ابناء الدين الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة
قد اتت مقبلة الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم يوشك
ان تكونوا فى يوم حساب ليس فيه عمل وروى انه صلعم قد اطلع
ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله
عز وجل قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال تجمعون ما لا تاكلون
وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وروى
ان اسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار
الى شهر فقال النبى صلعم الا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر ان اسامة
لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت

ان شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى وظننت
انى واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا اسيغها
حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بنى ادم ان كنتم تعقلون فعدوا
انفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ان ما توعدون لات وما انتم
بمعجزين فصل اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل
والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها
ولذاتها وعلائقها ثقلت على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر
فى الموت الذى هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه
والانسان مشغوف بالامانى الباطلة فيمنى نفسه ابدا ما يوافق
مراده وانما يوافق مراده البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقرره
فى نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل
ودار واصدقاء ودواب وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه
عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر
قربه فان خطر له فى بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له
سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم
تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا واذا صار شيخا قال
الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع
من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير
مسكن له او تفرغ عن قهر هذا العدو الذى يشمت بك
ولا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض فى شغل الا ويتعلق باتمام
ذلك الشغل عدة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم

ونقضی به الی شغل بل الی اشغال الی ان تختطفه المنية فی وقت لا يحتسبها
فيطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون
واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذی يدعوه
الی التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا
ويظن انه يتصور ان يكون للخائض فی الدنيا والحافظ لها فراغ
قط وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته وما انتهى
ارب الا الی ارب واصل هذه الامانی كلها حب الدنيا والانس
بها والغفلة عن قوله احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل
فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب
وليس يتفكر المسكين فی ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل
من عشر اهل البلد وانما قلوا لان الموت فی الشبان اكثر والی ان يموت
شيخ يموت الف صبی وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت
فجاءة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان بعيدا فالمرض فجاءة
غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا
ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب
وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونهار لعظم اشتغاله
بالاستعداد له واستشعاره ولكن الجهل بهذه الامور وحب
الدنيا دعواه الی طول الامل والی الغفلة عن تقدير الموت
القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر
نزوله به ووقوعه فيه ويشيع الجنائز ولا يقدر ان يشيع جنازته لان
قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره فاما موت نفسه فلم يألفه

ولا يتصور

169

ولا يتصور ان يألفه فانه لم يقع فاذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعده
فهو الاول وهو الاخر واذا عرفت ان سبب طول الامل الجهل
وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافی
من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة
واما حب الدنيا فالعلاج فی اخراجه من القلب شديد وهو الداء
العضال الذی اعيى الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان
باليوم الاخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما
حصل اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير
هو الذی يمحو من القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا
ونفاسة الاخرة استنكف ان يلتفت الی الدنيا كلها
وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح
بها او يترسخ فی القلب حبها مع الايمان بالاخرة فنسأل الله
تعالی ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده **الباب
الخامس** فی الاخاء والالفة قال الله تعالی فی معرض الامتنان
لو انفقت ما فی الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم وقال عز وجل فاصبحتم بنعمته اخوانا يعنی بالالفة ثم ذم التفرقة
وزجر عنها فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وقال النبی صلعم اقربكم منی
مجلسا يوم القيمة احسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون
ويؤلفون وقال المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف
ولا يؤلف وقال عم فی الثناء على الاخوة فی الدين من اراد الله به

في الحديث المؤمن كالجمل الانف والجمل الانف اي المألوف الذي عقر المشتكي انفه فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به وكان الاليق مانوف لانه مفعول كما يقال مصدور ومبطون للذي يشتكي صدره وبطنه وانما جاء هذا على الشذوذ وقيل الانف الذلول ويروى الآنف بالمد وهو بمعناه صح

خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال من اخى
اخا في الله رفع الله له درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله
وقال ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي
وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وحقت محبتي للذين
يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي
وقال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله
اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث وقال
المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ
على صخرة استناخ وقال امير المؤمنين ع اعجز الناس من عجز
عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به وقال
النبي ص اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
والتولي لاولياء الله والتبري عن اعداء الله وقال السجاد ع
اذا جمع الله الاولين والاخرين قام مناد فنادى يسمع الناس
فيقول اين المتحابون في الله قال فيقوم عنق من الناس فيقال لهم
اذهبوا الى الجنة بغير حساب قال فتلقاهم الملئكة فيقولون
الى اين فيقولون الى الجنة بغير حساب قال فيقولون فاي حزب
انتم من الناس فيقولون نحن المتحابون في الله قال فيقولون
واي شيء كانت اعمالكم قالوا كنا نحب في الله ونبغض في الله
فيقولون لهم
قال نعم اجر العاملين وقال الباقر ع اذا اردت ان تعلم ان فيك
خيرا فانظر الى قلبك فان كان يحب اهل طاعة الله ويبغض اهل معصيته
ففيك خير والله يحبك وان كان يبغض اهل طاعة الله ويحب
اهل معصيته

الانف ... الانف البعير ... عن ... لا ينقاد ... الزمام ... وهو ... صح

قوله ومن عليهم ... التدابر ... صح

وقيل ... والتدابر ... والمصارمة والهجران ... من ... بعضهم ... صح

هين على ... فيعل اي سهل ... هين بالتخفيف ... قوم هينون لينون صح

اهل معصية فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من احب وقال ع
ما التقى مؤمنان قط الا كان افضلهما اشدهما حبا لاخيه وقال
كل من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له فصل
اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وانما ينكشف الغطاء عنه
بان يعلم ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار
او بسبب الاجتماع في مدرسة او سوق او سفر او على باب السلطان او غيره
والى ما ينشأ اختيارا او بقصد وهو الذي يجب على الاخوة في الدين
اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة
عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد بها
الانسان غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد
مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب
ومقصود وراءه واما ان يحب ليتوصل به الى مقصود وذلك المقصود
اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا
بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام
اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته وذلك ممكن وهو
ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تتلذذ برؤيته ومعرفته
ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من
ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان
والاستحسان يتبع المناسبة والملايمة والموافقة بين الطباع
ثم ذلك المستحسن اما ان يكون الصورة الظاهرة اعني الخلقة واما
ان يكون الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق

حسن الافعال الامجة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن
عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف
القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة
في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة
والموافقة فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة
خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها
وعنه عبر رسول الله صلعم بقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين
والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف ويدخل
في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة
فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة
حتى يستلذ بالنظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح
المشوب بالحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا
الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو الحب بالطبع وشهوة النفس
ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل به غرض
مذموم صار مذموما والا فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم
القسم الثالث ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة
الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب ولذلك يحب
الناس الذهب والفضة من حيث انهما وسيلة الى المقاصد
كما يحب الرجل سلطانا للانتفاع به ويحب خواصه لتحسينهم
حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصودا
لفائدة

لفائدة دنيوية لم يكن من جملة الحب في الله ثم ينقسم ذلك الى مذموم
ومباح القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير
غير راجع الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الاخرة وهذا
ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به
الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة فهذا
من جملة المحبين لله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم
وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به الى درجة التعظيم في ملكوت
السماء قال عيسى من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت
السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل هذا الكمال
فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه فهو محب لله
بل نزيد ونقول من يجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة
تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة
المحبين لله وكذا الواجب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين
فقد احبه في الله بل نزيد على هذا فنقول من احب من يخدمه
بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك
للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ
للعبادة فهو محب في الله القسم الرابع ان يحبه لله وفي الله
لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى
الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان
من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب
ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب

ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثنى عليه
محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه قال المجنون : امر على الديار
ديار ليلى : اقبل ذا الجدار وذا الجدارا : وما حب الديار شغفن قلبى :
ولكن حب من سكن الديارا : فاذن المشاهدة والتجربة تدل ان
على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يتعلق به ولو من بعد
ولكن ذلك خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفى فيه وقد مضى تمام
الكلام فيه فى باب المحبة ثم اعلم ان من يحب فى الله لا بد وان يبغض
فى الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله
فان عصاه لا بد وان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومهما
متى زمان وكل واحد منهما دفين فى القلب وانما يترشح بظهور فعال
المحبين والمبغضين فى المقاربة والمباعدة وفى الموافقة والمخالفة
فاذا ظهر فى الفعل سمى موالاة ومعاداة وروى ان الله اوحى
الى نبى من الانبياء اما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك
الى فقد تعززت لى ولكن هل عاديت فى عدوا او واليت
فى وليا وقال عيسى ع تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصى وتقربوا
الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح
الله من نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى علمكم
كلامه ومن يرغبكم فى الاخرة عمله فصل قال الباقر ع قام
رجل بالبصرة الى امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن الاخوان
فقال الاخوان صنفان اخوان الثقة واخوان المكاثرة فاما اخوان
الثقة فهم الكهف والجناح والاهل والمال فاذا كنت من اخيك

على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه وعاد
من عاداه واكتم سره وعيبه واظهر منه الحسن واعلم ايها السائل
انهم اقل من الكبريت الاحمر واما اخوان المكاثرة فانك تصيب
لذتك منهم فلا تقطعن ذلك منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم
وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان
والبشر التبسم كاشره كشف له انيابه وقال الص ع قال امير المؤمنين ع لا عليك
ان تصحب ذا العقل وان لم تحمد كرمه ولكن انتفع بعقله واحترس
من سيئ اخلاقه ولا تدعن صحبة الكريم فان لم تنتفع بعقله ولكن انتفع
بكرمه بعقلك وافرر كل الفرار من اللئيم الاحمق وقال الص ع عليك
بالتلاد واياك وكل محدث لا عهد له ولا امان ولا ذمة ولا ميثاق
وكن على حذر من اوثق الناس فى نفسك فان الناس اعداء النعم
وقال ع لا تكون الصداقة الا بحدودها فمن كانت فيه هذه الحدود
او شئ منها فانسبه الى الصداقة ومن لم يكن فيه شئ منها فلا تنسبه الى شئ
من الصداقة فاولها ان يكون سريرته وعلانيته لك واحدة
والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه والثالثة
ان لا تغيره عليك ولاية ولا مال والرابعة ان لا يمنعك
شيئا تناله مقدرته والخامسة وهى تجمع هذه الخصال ان لا يسلمك
عند النكبات وفى مصباح الشريعة قال الص ع قد قل ثلثة اشياء
فى كل زمان الاخاء فى الله والزوجة الصالحة الاليفة فى دين الله
والولد الرشيد ومن اصاب احد الثلثة فقد اصاب خير الدارين
والحظ الاوفر فى الدنيا واحذر ان تواخى من اراد لطمع

وفى الحديث عليك بالتلاد واياك وكل محدث لا عهد له ولا امانة ولا ذمة ولا ميثاق قيل بالتلاد والمحدث الصاحب القديم المجرب والمتجدد ولم يتصف بصفات الكمال بعد

او فشل

او خوفا وقتل او اكل او شرب واطيب مواخاة الاتقيا ولو في ظلمات الارض ولو افنيت عمرك في طلبهم فان الله عزوجل لم يخلق على وجه الارض افضل منهم بعد النبيين وما انعم الله على العبد بمثل ما انعم من الموفق بصحبتهم قال الله عزوجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين واظن ان من طلب في زماننا هذا صديقا لا عيب فيه بقي بلا صديق الا ترى ان اول كرامة اكرم الله بها انبياءه عند اظهار دعوتهم بصديق امين او ولي وكذلك من اجل ما اكرم الله به اصدقاءه واولياءه وامناءه وصحبة انبيائه وهو دليل على ان ما في الدارين نعمة اجل واطيب وازكى من الصحبة في الله والمواخاة لوجهه خاتمة الكتاب

اعلم ان ما اوردناه في هذا الكتاب وحققناه في هذه المقالات والابواب من الاسرار الدينية والمعارف اليقينية وما اشرنا اليه من رموز العقايد وما بسطنا الكلام فيه من بيان الاخلاق المحمودة والمذمومة ومن اسرار الاعمال الحسنة والسيئة قل ما يوجد في غيره من الكتب بهذا التنقيح والتهذيب وهذا التوضيح والترتيب مع ابتناء ماخذ جملها على الاصول الاصيلة التي لا اعتماد الا عليها ولا وثوق الا بها من الكتاب والسنة واحاديث اهل بيت النبوة دون آراء الناس من اصحاب الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ولقد وفقني الله تعالى لجمعها وتاليفها في مدة اشهر قلايل من سنة تسعين والف هجرية حين كنت اشرفت على الرحيل وكان قد مضى من عمري ثلث وثمانون ونيف وقليل وكان قد اكتنفتني اسباب اختلال الاحوال وتشتت البال

من اهوال

من امراض وعلل جسمانية غير مرجوة الزوال وانما وفقني الله لذلك بسبب ما انعم الله به علي من العقايد الحقة وبما تفضل الله به علي من موالاة اوليائه ومعاداة اعدائه لعداوة اعرفني الله اولياءه واعداءه بوحي منه سبحانه الى رسوله وتبليغ رسوله الى عباده وتسليمي له بمعونته وارشاده واما فائدة هذا الجمع والتاليف وجدواه فهي ان يطلع عليه من كان من اهله ورزق التوفيق من الله وتوثيب همته وبلغ سعيه منتهاها فيعمل بمقتضاه ثم يفوز بمبتغاه ومن كان دونه يعمل به بقدر مقدوره وعلى حسب ميسوره وهكذا الى من ينتفع به بشيء يسير ولو بوزن سنبلة من بيدر كبير واما امثال من الذين يقولون ما لا يفعلون وينسون انفسهم اذا كانوا بالبر يامرون ففائدته في حقهم زيادة بصيرتهم في تقصيرهم وقصورهم حتى يصير ذلك سببا لمقتهم انفسهم وذلهم وانكسارهم واطلاعهم على بواطن عيوبهم وفضايح غيوبهم وازجارهم فان الايمان يقتضي ان لا يرضى العبد المؤمن لنفسه ما لا يرضى الله به مولاه فاذا لم يرض به يكون لا محالة دائم الحزن والندم كثير الغم والالم فاذا كان كذلك يرجى له ان يتداركه الله بالرحمة والمغفرة فان الله غفور رحيم وقد ورد ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة وما خرج عبد من ذنب الا بالاقرار والاعتراف بالذنب كفارة له ومن اذنب ذنبا فعلم ان الله مطلع عليه ان شاء عذبه وان شاء غفر له غفر الله له وان لم يستغفر ومن يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زل به القدم او طغى

يعني سؤام

به انقلم ومن اقوالنا التي لا يوافقها اعمالنا ومما ادعيناه واظهرناه
من العلم والبصيرة بدين الله مع التقصير فيه ومن كل علم وعمل قصدنا به
وجهك الكريم ثم خالطه غيره ومن كل وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا جهه
في الوفاء به ومن كل نعمة انعم الله بها علينا فاستعملناها في معصيته
ومن كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به
ومن كل خطرة دعتنا الى التصنع والتكلف تزينا للناس في كتاب
سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ثم نرجع اليه
بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا
او كتبه او سمعه ان يتفضل علينا بالمغفرة والرحمة والتجاوز
عن جميع السيئات فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف
الخلايق فائض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله
وكرمه فقد قال رسول الله صلعم ان لله مائة رحمة انزل منها
رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم
الله بها عباده يوم القيمة الهي درست الامال وتغيرت
الاحوال وكذبت الالسن واخلفت العداة الا عدتك فانك
وعدت مغفرة وفضلا اللهم صل على محمد وال محمد واعطني
من فضلك واعذني من الشيطان الرجيم سبحانك وبحمدك
ما اعظمك واحلمك واكرمك وسع حلمك تمرد المستكبرين
واستغرقت نعمتك شكر الشاكرين وعظم حلمك عن احصاء
المحصين وجل طولك عن وصف الواصفين كيف لولا فضلك حلمت

عن

عمن خلقته من نطفة ولم يك شيئا فربيته بطيب رزقك وانشأته في تواتر
نعمك ومكنت له في مهاد ارضك ودعوته الى طاعتك
فاستنجد على عصيانك باحسانك وجحد نعمتك في سلطانك
كيف لولا حلمك امهلتني وقد شملتني بسترك واكرمتني بمعرفتك
واطلقت لساني بشكرك وهديتني السبيل الى طاعتك وسهلتني
المسلك الى كرامتك واحضرتني بسبيل قربتك فكان جزاؤك
مني ان كافاتك عن الاحسان بالاساءة حريصا على ما اسخطك
منتقلا فيما استحق به المزيد من نقمتك سريعا الى ما ابعد من رضاك
مغتبطا بغرة الامل معرضا عن زواجر الاجل لم يغنني
حلمك عني وقد اتاني توعدك باخذ القوة مني حتى دعوتك
على عظيم الخطيئة استزيدك في نعمك غير متأهب لما قد اشرفت
عليه من نقمتك مستبطئا لمزيدك ومتسخطا لميسور رزقك مقتضيا
جوائزك بعمل الفجار كالمراصد رحمتك بعمل الابرار مجتهدا
اتمنى عليك العظائم كالمدل الامن من قصاص الجرائم فانا لله
وانا اليه راجعون مصيبة عظم رزؤها وجل عقابها بل كيف
لولا املي ووعدك الصفح عن زللي ارجو اقالتك وقد جاهرتك
بالكبائر مستخفيا عن اصاغر خلقك فلا انا راقبتك وانت معي
ولا انا راعيت حرمة سترك علي باي وجه القاك وباي
احسان اناجيك وقد نقضت العهود والايمان بعد توكيدها لسان
وقد جعلتك علي كفيلا ثم دعوتك متقحما في الخطيئة فاجبتني ودعوتني تني
واليك فقري فلم اجب فواسوأتاه وقبح صنيعاه ايتها جراة

بجرأت وأي تعزز عززت نفسي سبحانك فبك أتقرب إليك وبحقك
أقسم عليك وبك منك أهرب إليك بنفسي استخففت عند معصيتي
لا بنفسك وبجهلي اغتررت لا بحلمك وحقي أضعت لا عظيم حقك
وبنفسي ظلمت وبرحمتك رجوت وبك آمنت وإليك
أنبت وتضرعت فارحم إليك فقري وفاقتي وكبوتي لحر وجهي
وحيرتي في سوءة ذنوبي إنك أرحم الراحمين ولنختم الكلام حامدين
لله ومصلين على نبيه وأهل بيت نبيه عليه وعليهم الصلوات والتحيات والحمد
لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا

لقد وفقني الله لنسخ هذه النسخة المسماة بالحقائق المشتملة على الغرائب والبدائع
من النكات والدقائق وأرجو من الله المعين أن يهدينا الحق
ومنار الطالبين لكشف الحقائق المكنونة بها واستشراف
الدقائق المخزونة فيها المضنونة بها عن غير أهلها [illegible] وأصحبه في هنى
العيش وأرغده وجعلها تذكرة لمن رام أن ينهض بجناح التقط
للعروج إلى مدارج السعادة بسماء الدائرة الفانية
أنا أقل العباد إلى الله الغني المبدئ والمعاد عبد الصالح بن محمد هاشم
الموسوي الحسيني عفا الله عما جرى [illegible]
١٤ [illegible] شهر رجب المرجب من شهور ١١٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وصلوته على عباده الذين اصطفى وبعد فإن من سوابغ
نعماء الملك المنان تعالى مجده عن أن يقوم بواجب شكره اللسان
والجنان والأركان أن وفقني تعالى وتقدس لمطالعة هذا الكتاب
الآخذ بمجامع قلوب أولي الألباب الذي ينبئ مرحله عن منازل
السائرين ويشير مجملاته إلى مفصلات حقائق مقامات العارفين
يهدي المبتدي إلى سلوك سبيل العرفان ويحدو السالك في بيداء
الجد والاجتهاد على نيل أعلى مراتب الإيقان فمرة يبين لك
أسرار العبادات وتارة يكشف النقاب عن وجوه الصفات المهلكات
والأخلاق المنجيات وطورا يريك لامعا من جانب الطور الأيمن
يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار وأوانا يوقد لك في ظلمات الحيرة
مشكاة في زجاجة تقتبس من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولعمري إنه لمن رام تهذيب
الأخلاق نعم الناصر ولمن حام حول حمى الاستقامة نعم الدليل الماهر
وهو إحياء لعلوم الدين المبين وتجديد لمعالم الشرع المتين وفيه
ذريعة الراغب وبغية الطالب وبه يعرف التخلق بأخلاق ذي
الجلال ومنه تقوت قلوب أرباب الحال فعليكم أيها الطالبون
للنجاة في الأخرى ولتهما كون مسالك أهل الهدى بتحديق بصر
البصيرة على حور عين مخدرات في خيام سطور هذا الرق المنشور
والتعرض لنفحات الحكمة اليمانية الساطعة أنوارها من صفحات
الكتاب المسطور فهو الجدير بأن يكبه أرباب النهى بتبر الذكاء على صفحات

الحجي والحقيق بان يرسمه الكتبة الكرام باقلام النور في صدور منشرحة للاسلام
وكيف لا وهي توصل الى تحصيله ببذل النفوس والمهج فقد توسل اليه بثمن
بخس من البهرج شكر الله تعالى جميل مساعي مؤلفه وجزيل احسانه
وسقاه من كاس القرب لديه جميل امتنانه اسأل الله ان يخلص قلبي
من غرور الاماني والمنى لعلي اتيكم منها بقبس من جانب طور
الايمن بجذوة او اجد على النار هدى اللهم وفقنا لمحو الاثار
ونفض غبار التعلق بالاغيار يا منتهى رغبة الراغبين وغاية
آمال العارفين وكتب هذه الاسطر بيمناه الداثرة الجانية
افقر المربوبين الى غفوريه الغني محمد ابراهيم بن محمد معصوم الحسيني
جعل الله سبحانه خير يوميه غده ولا اورس من الاعتصام
بحبل توفيقه بيده في شهر محرم الحرام سنة ١١٢٦ حامدا مصليا مستغفرا

فارغا ه

سعدی شیرازی صاحب دل بمدرسه آمد ز خانقاه
بشکست رسم و عادت اهل طریق را گفتم میان عالم و عابد چه فرق بود
تا اختیار کردی از آن این فریق را گفت آن گلیم خویش برون میبرد
ز آب این سعی میکند که بگیرد غریق را قال العارف السعدی
شنیدم که وقت سحرگاه عید ز گرمابه آمد برون بایزید یکی طشت
خاکسترش بی خبر فرو ریختند از سرایی بسر همی گفت شولیده دستار
و موی کف دست شکرانه مالان بروی که ای نفس من در
خور آتشم ز خاکستری روی درهم کشم

قال رسول الله صلعم
انما يعرف الفضل
لاهل الفضل اهل
الفضل

اللعن علی یزید فی الشرع یجوز والاکثر یحوز حسناتی یفوز

قد صح لدی انه مستحق واللعن مضاعف فی هذا مجوز

سوال الطاهری در بیان ...

ای ماه صبح رهبر روی ... گذر کن

در حضرت ... ما ... دعا را

بعد از دعا ... کن ... حافظ

هر چند هست مشکل مشکل شده است ما را

گشته ... هم ... شرط ... حر

باشد که ما ... آن ... را

... هر کس ... اسباب مدعا

جواب صحیح از ... ما کدام است

... حظ را

... حوادث ... ری

... صحیح ... ما را

... مشکل ... ما را

... خواندن ... طمع ...

هر چند ... الحجه ... را

... ما ما ... ماند

و ... آن ... را





